(ISSUE No. 1532) 28/12/2002 - 3/1/2003 (Year 33)

(١٥٣٢) ٢٤ - ٣٠ شوال ١٤٢٣هـ / ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٢م - ٣ يناير ٢٠٠٣م (السنة ٣٣)

المجتمع

AL-MUJTAMA'A

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

رسالة من مرشد الإخوان

محاكمة «بليانا».. وفضيحة العدالة الدولية

التلفاز السويدي ينتصر للحجاب

١٥ عاماً على انطلاقها

ثلاثية حماس

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

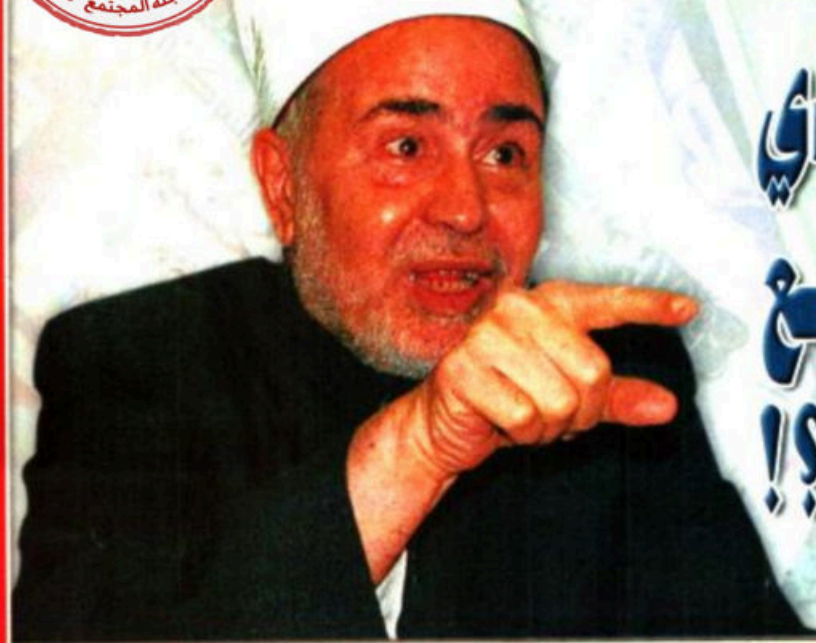

يا شيخ الأزهر:

كيف تحول الحرام الذي أجمعت عليه المجامع الفقهية إلى حلال ؟!

دراسة فقهية

الكويت ٥٠٠ فلس، السعودية ٦ ريالات، البحرين ٦٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، سلطنة عمان ٧٠٠ بيسة، الأردن ١ دينار، لبنان ٢٠٠٠ ليرة، المغرب ١٥ درهما

USA $ 3 - Canada $ 4 - Australia AUD 4 - URB 3 € - India INR 65 - Pakistan PRS 65 - Turkey TL 450000 - UK £ 2

جمعية النجاة الخيرية

لجنة زكاة العثمان

العرس الجماعي الثاني

في فندق كويت ريجنسي بالاس يوم الاثنين ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٣

- نستقبل المعاريس الراغبين بالمشاركة في العرس الجماعي الثاني والإستفادة من تبرعات أهل الخير وتوفير تكاليف العرس
- نستقبل الراغبين والراغبات في الزواج
- خدمة مجانية لوجه الله في لجنة الزواج

ت : ٢٦٦٧٧٨٠ داخلي رجال ٢١ - ٢٠ نساء ١٩

بيت التمويل الرئيسي - حساب رقم ٨ / ١٥٥٠

هاتف المتبرعين : ٩٤٠١٠١١

حولي - شارع تونس - خلف سوق الموعد - بجانب مسجد الشايجي

ت : ٢٦٦٧٧٨٠ - ٢٦٢٩٨٤٣ - فاكس ٢٦٦٧٧٨١

مؤسسة ركن الإصدارات للإنتاج الإعلامي

بالتوزيع بالتعاون مع تسجيلات شعاع الهداية

الإسلامية بالدمام

الآن في التسجيلات

من أجل حياة سعيدة

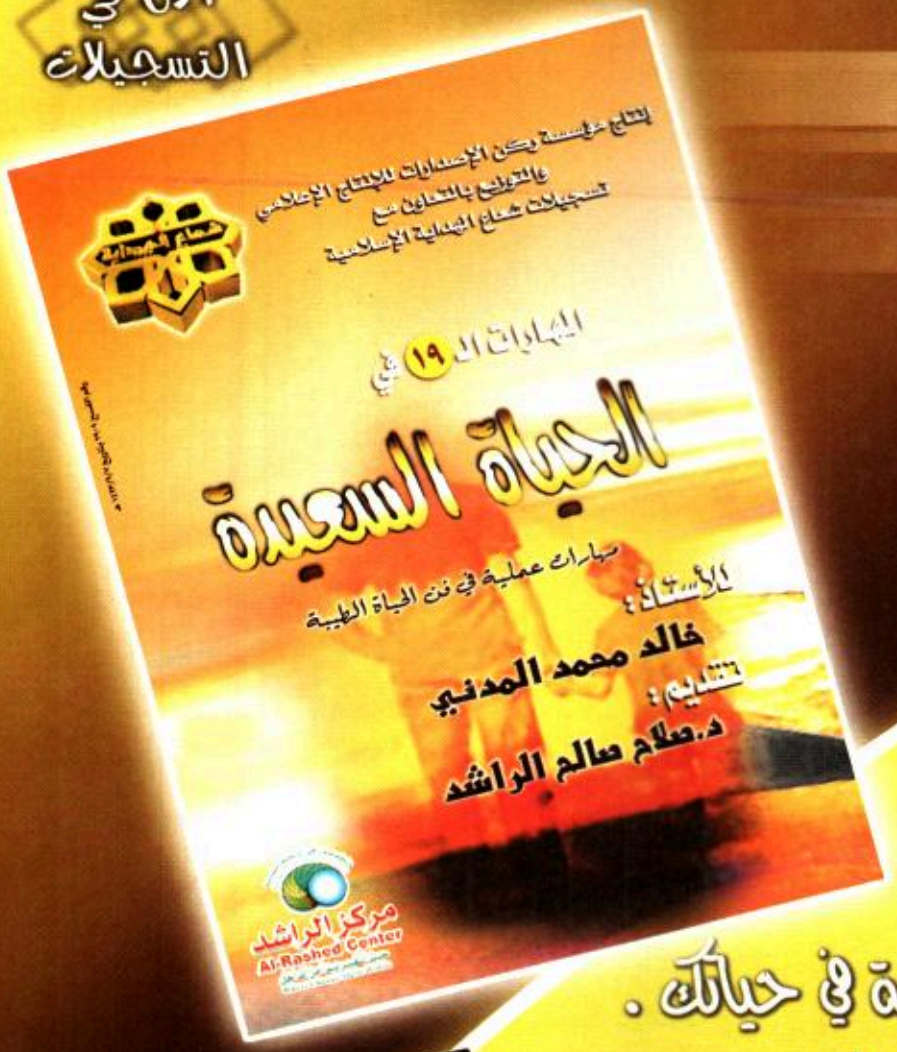

ألبوم مكون من شريطين

في هذا الألبوم :

- كيف تكون أكثر إيجابية في حياتك .
- كيف تربط نفسك بالنجاح .
- كيف تحقق أفضل النتائج بأيسر الطرق.
- كيف تتعامل مع المشاعر .

جميع الحقوق محفوظة

Al Amri 057859834

مطلوب موزعين في دول الخليج للإستفسار

الإتصال على رقم ٠٥٤٨٢٧٦٥٩

الدمام طريق الملك فهد بن عبد العزيز هاتف : ٨٤١٣٣٣٢

فاكس : ٨٤٦٦٠١٠

E-mail-tshalhedaia@hotmail.com

رأي القارئ

قبل أن نحاسب

لو أعدنا النظر في حالنا، لوجدنا أننا في أشد الحاجة للرجوع إلى الله أكثر من أي وقت مضى.. لأن حالنا اليوم يبكي ويضحك.

نحن نعيش في جاهلية صنعناها بأنفسنا، ولن ننجو منها إلا بالعزيمة والإصرار والجهد على تحقيق ما خلقنا من أجله، وكفانا جاهلية أننا مازلنا عبيداً للمال يجلبنا ولا نجلبه، يدوسنا ولا ندوسه، وكفانا اعتقاداً باطلاً أن الشرف لا يكون إلا في النسب والسلالة والمال والثراء وحمرة اللون أو بياضه.

لقد أراد الله خيراً بكل من لا يهتم إلا بنجاته من لهيب النار، الذي تخلص من آلام هذه الدار الفانية التي لا تستحق حتى التعب من أجلها، من أجل دار أعدت للمتقين، من أجل التغني وسط الجنان وحور العين الحسان.

ولكنّا جهلنا هذا الطريق، وغفلنا عنه وحققنا للشيطان مراده.. فهجرنا القرآن، وما عاد يقرأ إلا في رمضان، تناسينا أن القرآن هو شفيعنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.. وما نجاتنا إلا به، فلنحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب.■

وفاء مكي.المدينة المنورة

من يحمل هم الدعوة؟

إن السؤال الذي يطرح نفسه على كل مكلف من المسلمين العارفين والعالمين بما أوجبه الله عليهم في شؤون دينهم ودنياهم هو: هل أنا سبب فيما يحدث ويجرى على الساحة الإسلامية اليوم؟ سؤال تصعب الإجابة عنه من كثير من المسلمين، وفي الحقيقة إن الكثير منا سبب فيما يحدث ويجري على ساحتنا الإسلامية، ومن الأسباب بعدنا عن منهج الله الذي أرسل الله به الرسل ويتمثل ذلك في سياساتنا ومناهجنا وإعلامنا وأحكامنا ومعاملاتنا وتقاليدنا التي أصبح الكثير منها مشابهاً لأعدائنا فكيف نريد عزاً ونصراً ونحن نحكم في كثير من أمورنا بغير ما أنزل الله؟ إن الأمة بحاجة لإصلاح أحوالها من الداخل في جميع شؤونها فإذا صلح الداخل صلح الظاهر بإذن الله، ثم إن الأمة بحاجة إلى قائد رباني.. عالم بشؤون دينه أولاً ثم بشؤون دنياه، ثم إذا وجد القائد فلابد له من أعوان يعينونه على تحمل المسؤولية لا كما نجد اليوم كثيراً من الأعوان يثبطون القادة ولا يثبتونهم ولا يذكرونهم بما أوجب الله عليهم.

لذلك ترى كثيراً من المحسوبين على الأمة يسعون وراء الملذات والشهوات ولا يراقبون رب الأرض والسماوات إلا من رحم الله وقليل ما هم، لقد نام الكثيرون عن الدعوة إلى الله، وبسبب هذه الغفلة استغل أعداؤنا وأذنابهم هذه الفجوة وأخذوا يدعوننا إلى ماعندهم من ضياع ولأن تكون مجتمعاتنا غارقة في بحر الرذيلة التي طالما أرادوا الخروج منها ولكن لتعثرهم أحبوا أن يجروا غيرهم إلى ما هم فيه وأصبح المنبر اليوم يرتجز بارائهم ومقترحاتهم بدعوى إصلاح مجتمعاتنا، ولو كنا مسلمين صادقين ما تجرأ متجرئهم على أن يتفوه بكلمة، ولكن تشتتنا وتمزقنا فتح لهؤلاء القوم باباً يدخلون منه، ويجب إغلاق هذا الباب في وجوههم وعدم السماع أو السماح لهم بأن يتدخلوا ولو بمجرد الرأي، لأننا نستمد إصلاحنا وإصلاح مجتمعاتنا من كتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا محمد ﷺ، إننا على حق في دعوة الناس إلى إصلاح مجتمعاتهم فهل قام مسؤول من أمتنا يدعو هؤلاء القوم إلى إصلاح مجتمعاتهم أم أننا ركنا إلى الدنيا وما فيها؟ نحن أمة ليست مثل باقي الأمم.. أمة دعوة قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠). وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ (فصلت) فهل طبقنا هذا أم أننا بدأنا بالأخذ بتشريعات الأمم المتحدة؟ إننا بحاجة ماسة إلى العودة بجد وإخلاص وتعاون وتفانٍ في سبيل الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبل فوات الأوان، ويا دعاة الحق، ويا من توليتم شؤون الدعوة والإرشاد لا تأخذكم في كلمة الحق لومة لائم ولا تقيدوا الدعاة بقيود ما أنزل الله بها من سلطان، فمن يحمل هم الدعوة؟■

يحيى الحارثي.جدة

من ينقذ ابنتي من سرطان العظام وأجره على الله؟

سبق وأن أدرجت قضيتي على صفحات مجلتكم الكريمة عام ٢٠٠٠م بخصوص ابنتي الشابة المريضة بسرطان العظم بساقها اليسرى، ولقد وصلني حينها الحوالة البريدية الوحيدة من أحد المحسنين عن طريقكم بمبلغ ٢٥٠ دولاراً أمريكياً مشكورين.

الذي دفعني إلى كتابة هذه السطور الأليمة مجدداً، تألم ابنتي المريضة من نقص الأدوية والحقن، وحتى أجور نقلها إلى مدينة فرتسواف، حيث المستشفى هناك للعلاج، التي تبعد عنّا مسافة ٧٥كم. وهي تحتاج إلى مصروف شهري لا يقل عن ٣٠٠ دولار أمريكي لشراء الأدوية والحقن الغالية جداً، بالإضافة إلى النقل من وإلى المستشفى، في الوقت الذي لا يتعدى دخلي الشهري ٢٥٠ دولاراً أمريكياً، ويوماً بعد يوم تزداد الحياة هنا صعوبة، وعائلتي مكونة من ثمانية أفراد، ولا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلي القدير.

مرة أخرى أكتب لطرح قضيتي على أهلي من الإخوة المسلمين المقتدرين على تقديم يد العون والمساعدة، لتخفيف ألم المرض عن ابنتي المريضة، وأجركم كبير إن شاء الله عند ربنا عز وجل. ومن فرّج عن مؤمن كُربةً من كُرب الدُّنيا فرَّجَ اللهُ عنه كُربةً من كُرب يوم القيامة. والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.■

أخوكم:أحمد عبيد

Ahmed.H.A ABAID
UI, tukasinskiego 46/5
59-220 Legnica - POLAND

المجتمع: نأمل أن تبحث إحدى الهيئات الخيرية هذه الحالة وتقدم لها المساعدة.

الجهاد الأكبر

إن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد في المعركة لابد وأن يكون قد خاض معركة أعتى وجهاداً أكبر مع نفسه، مع الشيطان، مع هواه وشهواته مع مطامعه ورغباته مع مصالحه ومنافعه الشخصية مع مصالح ونوازع عشيرته وقومه مع كل شارة غير شارة الإسلام ومع كل دافع إلا العبودية لله وتحقيق سلطانه في الأرض وإخضاع الطواغيت المغتصبين لسلطان الله. إن نفوسنا هي عدونا الأول فإذا انتصرنا عليها كنا على غيرها أقدر.■

محمد عويس خورشيد

حرية الاحتشام.. ممنوعة!

لقد المني وأحزنني ما حدث في أرض الكنانة بلد الأزهر الشريف حيث عمم قرار على المدارس هناك يقضي بمنع أي منقبة من الدخول للمدارس سواء كانت مُدرسة أو طالبة وكأن مصر بدأت تحذو حذو تركيا التي ما كادت تأخذ هذا الاتجاه إلا وأصابها الانهيار والصغار.

لذا أناشد كل مسؤول في مصر وغيرها أن يتقي الله في رعيته ومسؤوليته وأذكره بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠)﴾ (النور).■

د. مفرح محمد السعيد

كرامة الإنسان في الإسلام

إن كرامة الإنسان وحرمته في الإسلام لا تعدلها حرمة، ولو كانت حرمة الكعبة، فقد طاف رسول الله ﷺ يوماً بالكعبة وقال: ما أطيبك وأطيب ريحك، وما عظمك وأعظم حرمتك، ولحرمة العبد المؤمن عند الله أشد حرمة منك: دمه وماله وعرضه.

لقد قرر الرسول ﷺ أن يخوض حرباً مع المشركين وعلى رضهم ثاراً لكرامة إنسان مسلم هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، حينما أرسله رسول لله ﷺ في العام السادس من الهجرة سفيراً إلى ريش يخبرهم أنه لم يأت لقتال، إنما جاء معتمراً ومعه لهدي تعظيماً لبيت الله الحرام، فاحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام، وأشيع بين المسلمين أنه قُتل، فغضب رسول ﷺ لذلك غضباً شديداً، وقال: لا نبرح حتى ناجز القوم، وطلب من أصحابه أن يبايعوه على القتال والثبات حتى النصر أو الشهادة، فيما يسمى في لسيرة ببيعة الشجرة أو الرضوان.

وحين قتل الملك الغساني سفير الرسول ﷺ لحارث بن عمير الأزدي، جهز الرسول ﷺ جيشاً وامه ثلاثة آلاف مقاتل، وغزا الغساسنة الصليبيين في قر دارهم، وحدثت هناك غزوة مؤتة المشهورة.

وهذه الأرواح التي تزهق كل صباح ومساء على أيدي اليهود في أرض الإسراء أليس لها حرمة؟ أليس لأبناء الأمة التي ينتسبون إليها كرامة؟

أم أن الأموال التي تدمر على شكل بيوت تنسف، وحقول وبساتين تجرف، ليست أموال مسلمين موحدين تستحق الغضب لها؟ أم أن الأعراض التي تنتهك، والمقدسات التي تدنس، لا تمت للمسلمين بصلة؟ أم أن الأطفال الأبرياء الذين تمزق صواريخ العدو أجسادهم أو تدفنها تحت أنقاض منازلهم ليسوا أبناء مسلمين موحدين؟

إنها مهزلة، ذلك الصمت العربي والإسلامي والبرود تجاه ما يحدث على أرض فلسطين من جرائم، لا نفهم مغزى له سوى أن المسلمين ينتظرون إبادة شعب فلسطين عن آخره.

إن سكوت العرب والمسلمين واكتفاءهم بالتسلي بما يشاهدونه على شاشات التلفاز، من أخبار وصور للفظائع يدل على أنهم لم يعودوا يفهمون أي معنى لكرامة المسلم، ولا لحمية المسلمين.■

محمود الحمامي - الكويت

قصة جارتي

في ليلة من ليالي رمضان زارتني إحدى جاراتي، هي امرأة متوسطة الدين، لم تحدثني عن الأسعار السلع والتخفيضات، كما هي عادتها في كل مرة بل كان معظم حديثها عن الجنة ونعيمها الذي يفوق الخيال، الذي أدهشني أكثر هو لهفتها لدخول الجنة حتى أنها راها في منامها.

وتركتها تسترسل في كلامها عن الجنة وأنا سعيدة بها ومحتارة في أمرها، حتى زال الغموض وعرف السر... إنه «عمرو خالد»... فهي تتابع دروسه على جميع القنوات الفضائية، وهو كثيراً ما يتحدث عن الجنة والشوق إليها، مما جعل جارتي تتشوق إلى الجنة بعد أن كانت الدنيا أكبر همها ومبلغ علمها.

وتابعت حديثها قائلة: إن زوجي لم يكن يصلي الفجر، ولكن منذ أن بدأ يتابع دروس عمرو خالد فهو لا يفوته صلاة الفجر «في المسجد»!!.. ثم قالت بحدة يشوبها الحزن... ماذا فعل عمرو خالد حتى يُستبعد يمنع من إلقاء الدروس؟.

إن هذا غيض من فيض، مآثر الرجل، وأياديه البيضاء على الكثيرين من أمثال جارتي، وهذا يدل على إخلاصه وتجرده في دعوته حتى فتح الله له القلوب قبل الآذان، فانطلقت الزفرات وسالت العبرات على وجوه لم تكن بالأمس القريب تسجد لله سجدة، تلك الوجوه التي أنكرها بعض المتدينين وترفعوا عن مجالستها وإسداء النصح لها، ورماها البعض الآخر بالفسوق والانحراف... وإذا بعمرو خالد يتمكن - بتوفيق الله - أن يحول أصحاب تلك الوجوه إلى عشاق للجنة، فكان جزاؤه الإيقاف والاستبعاد... وهذا ليس بمستبعد، فقد قالها ورقة بن نوفل منذ مئات السنين لرسول الله ﷺ: «لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا أخرجه قومه»... وهذا هو شأن أصحاب الدعوات والرسالات، فرسول الله ﷺ كُذِّب وعُذِّب وقوطع ونُفي، وكذلك جميع الأنبياء من قبله والمصلحين والصالحين من بعده الذين ورثوا العلم بعد انقطاع الوحي، وهذه سنة الدعوات الربانية، تكويها نار الابتلاء والمحن، فلا يزيدها ذلك إلا قوة وصلابة ويأبى الله إلا أن يتم نوره وما ذلك على الله بعزيز.■

أم أسامة - المدينة المنورة

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب).

ازدواجية المعايير

تعاد محاكمة الدكتور سعد الدين إبراهيم في مصر للمرة الثالثة بعد الحكم عليه بسبع سنوات سجن، وقد أسس الرجل منذ سنوات مركز ابن خلدون للدراسات وثبت أن مهمة المركز كتابة تقارير عن مصر قدمت لحلف الناتو وغيره وهو ما يفسر في العرف العام بالتجسس، وقد دافعت عنه بعض الصحف الأمريكية وتحدثت عن الظلم الذي تعرض له وتدخل السفير الأمريكي للإفراج عنه باعتباره يحمل الجنسية الأمريكية مما يؤكد أنه مزروع لمهمة يؤديها من خلال مركزه. ونتساءل عن مغزى هذه المعاملة في حين يساق أبرياء دون جريرة لمحاكم عسكرية ودون أن يرتكبوا شيئاً يهدد أمن البلاد؟.■

محمد علام - السعودية

ردود خاصة

● **الأخ/ مصعب السالم:** شكر الله لك ما كتبته في رثاء الشيخ مصطفى مشهور رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجزاك الله خيراً على ما أبديته من عاطفة وثقة يعتمل بهما قلبك المؤمن.

● **الأخ/ عبدالله اليوسف - الرياض - السعودية:** الذين يصفون الكيان اليهودي والشخصيات اليهودية بالأوصاف الحسنة يقولون إنهم يلتزمون الموضوعية في كتاباتهم لكن هذا الادعاء سرعان ما ينكشف عندما يكون الحديث عن إنسان أو جهة إسلامية فتراهم لايتورعون عن الاتهام بغير دليل والتشهير الذي لا مبرر له كأنهم لا يتحلون بالموضوعية إلا تجاه أصدقائهم اليهود.

● **الأخ/ علي بن سليمان الدبيخي - بريدة - السعودية:** المسلمون قاطبة شعوباً وحكومات مسؤولون عما يجري لإخوانهم في مختلف البقاع من اضطهاد وظلم ومطالبون كل حسب استطاعته وصلاحيته بالتحرك لإنقاذ المستضعفين من براثن البغي والعدوان.■

تنبيه

نلفت نظر الإخوة القراء إلى أن تكون الرسائل موقعة ومكتوبة بخط واضح على وجه واحد من الورقة، ونفضل أن تكون الرسائل مناقشة أو تعليقاً لما ينشر في المجلة، وتحتفظ المجلة بحق النشر من عدمه، وكذا اختصار الرسائل، وعدم الالتفات إلى أي رسالة غير مذيلة باسم صاحبها كاملاً وواضحاً.

المراسلات باسم رئيس التحرير.. والمقالات والآراء المنشورة تعبر عن رأي أصحابها.. ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

AL - MUJTAMA'A

المجتمع

إسلامية - أسبوعية تأسست عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م
تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت
العدد ١٥٣٢ السنة (٣٣)

رئيس مجلس الإدارة: عبدالله علي المطوع
رئيس التحرير: د. محمد البصيري
نائب رئيس التحرير: محمد الراشد
مدير التحرير: أحمد عز الدين
سكرتير التحرير: شعبان عبد الرحمن
المخرج الفني: حسام قاسم

المراسلات
العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة - الرمز البريدي (13049)

البريد الإلكتروني
التحرير: info@almujtamaa.com
الاشتراكات والتوزيع: sales@almujtamaa.com
المجتمع على الإنترنت: almujtamaa.com
موقع جمعية الإصلاح الاجتماعي ومجلة المجتمع - الكويت: www.eslah.com

هاتف التحرير: ٢٥١٩٥٣٩ - ٢٥١٤١٨٠ - ٢٥١٣٦١٦ - ٢٥٢٨٦٨٤ (داخلي ١٠٥).
الاشتراكات والتوزيع: ٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٥٦٠٥٢٦
فاكس المجلة: ٢٥٦٠٥٢٤ - ٢٥٢١٨٢٦

الاشتراكات
للأفراد: الكويت ودول الخليج ٢٠ ديناراً كويتياً أو ما يعادلها.. باقي أنحاء العالم ١٠٠ دولار أمريكي.
للمؤسسات والشركات: ٤٥ ديناراً كويتياً.. باقي دول العالم ١٥٠ دولاراً أمريكياً.
الإعلانات: امتياز الإعلان: دار الوطن - ت: ٤٨٤٠٤٥١/٢/٣ ف: ٤٨٤٠٦٣١ الكويت.

وكلاء التوزيع
الكويت: شركة الخليج ت: ٤٨٤١٠٦٧ - ٤٨٤١٠٤٥ - ف: ٤٨٤١٠٢٦ - ٤٨٣٦٦٨٠
السعودية: الشركة السعودية للتوزيع ت: ٦٥٣٠٩٠٩ ف: ٦٥٣٣١٩١ جدة. الموقع على الإنترنت: www.saudi-distribution.com
البريد الإلكتروني: info@saudi-distribution.com
البريد الإلكتروني المخصص للاشتراكات والمبيعات: orders@saudi-distribution.com
الهاتف المجاني: (8002440076).
قطر: مكتبة الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ - ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين: مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع ت: ٧٢٥٠١١١ ف: ٧٢٣٧٦٣
المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - الدار البيضاء - ص.ب 13.683 - ت: ٢٤٠٠٢٢٣ (١٠ خطوط مجموعة) - فاكس: ٢٢٤٦٢٤٩
الأردن: مؤسسة البرق للتوزيع - عمان ٩٢١١١ - ص.ب ٩٢٢٨٥٩ ت: ٥٦٧٨٦٦٦ - ف: ٥٦٧٣٦١٩
U.K: UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY Tel: 0181-742 3344 Fax: 0181-742 1280.
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM Tel. (90-1) 5120190 - Fax. (90-1) 5140883.

طبعت بمطابع الوطن بالكويت

باختصار

القاهرة.. والفصائل الفلسطينية

قبل أسابيع... دعت القاهرة حركتي حماس وفتح للالتقاء فيها ثم عاودت ودعت حركة الجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية للقاء مع المسؤولين المصريين.

ومن حيث المبدأ، من المهم أن تحتفظ القاهرة بعلاقات مع مختلف الفصائل الفلسطينية، ولا تحصر اتصالاتها في إطار دائرة السلطة الفلسطينية، ولكن الأهم هو ما تدور حوله تلك اللقاءات، وما تسفر عنه المباحثات. ويرى المراقبون أن الحكومة المصرية والسلطة الفلسطينية تعولان على نجاح حزب العمل الصهيوني في الانتخابات العامة المقبلة، ولذلك فهما تضغطان على منظمات المقاومة الفلسطينية لوقف العمليات، وبخاصة الاستشهادية حتى لا تكون سبباً لزيادة شعبية حزب الليكود وزعيمه مجرم الحرب شارون، ولا ندري ما أسباب ذلك الارتياح المصري لفوز حزب العمل، وقد ارتكب زعماؤه السابقون أفظع الجرائم بحق الفلسطينيين، فرابين صاحب جرائم تكسير عظام أطفال الانتفاضة، وبيريز مجرم مذبحة قانا في لبنان، وباراك قائد الاغتيالات، أما زعيمه الحالي متسناع فإنه يتوعد بتحطيم الفلسطينيين وتشويه وجوههم، ويضم في قوائمه الانتخابية أسوأ المتطرفين، ليزايد بهم على متطرفي شارون، إرضاء للناخب الصهيوني المتطرف.

ما تتوقعه الشعوب العربية والإسلامية من مصر، وهي أكبر قوة عربية في المنطقة، وصاحبة أكبر جيش عربي، أن يكون لها دور رائد وشجاع في الدفاع عن الفلسطينيين، ووقف المذابح التي ترتكب بحقهم، وأن تنحاز إلى الحق الفلسطيني في وقت عزّ فيه النصير، ولا تخضع لأي ضغط مهما كان للتحول عن هذا الموقف.

ومصر حين تفعل ذلك، إنما تدافع عن نفسها بالقدر الذي تدافع فيه عن الفلسطينيين، لأنه إذا ضاعت فلسطين، فسيأتي الدور على مصر وغيرها لا قدر الله، تحقيقاً للأهداف اليهودية واطماعهم من النيل إلى الفرات، فلا مجال إذن للتقاعس أو التسويف.■

في هذا العدد

الأسباب الحقيقية لرفض الاتحاد الأوروبي انضمام تركيا (٣٨)

رسالة إلى الشعوب الإسلامية من المرشد العام للإخوان المسلمين (٣٤)

١٦ التلفاز السويدي ينتصر للمحجبات

٢٠ السودان: مستقبل مفاوضات السلام في مهب الريح

٢٢ بعد ١٥ عاماً من ميلادها.. حركة حماس.. إلى أين؟

٣٦ عمرو خالد ومفيد فوزي..

٣٨ أمير الحلقة الإسلامية لشمال أمريكا يتحدث لـ المجتمع عن أسباب الدعم الأمريكي لـ«إسرائيل»

٤١ محاكمة «بليانا» نموذج فاضح للعدالة الدولية

٤٢ كيف تحول الحرام المجمع عليه بين المجامع الفقهية إلى حلال؟!

٤٨ الخفي التقي

٥٩ مسابقات محرمة لأنها قمار

٦٢ هل الحيوانات الأليفة أفضل من الأزواج؟!

منتجات شهية ... ذات قيمة حقيقية

أووو ... ما أطيب فتودي

للمعلنين

في المملكة العربية السعودية

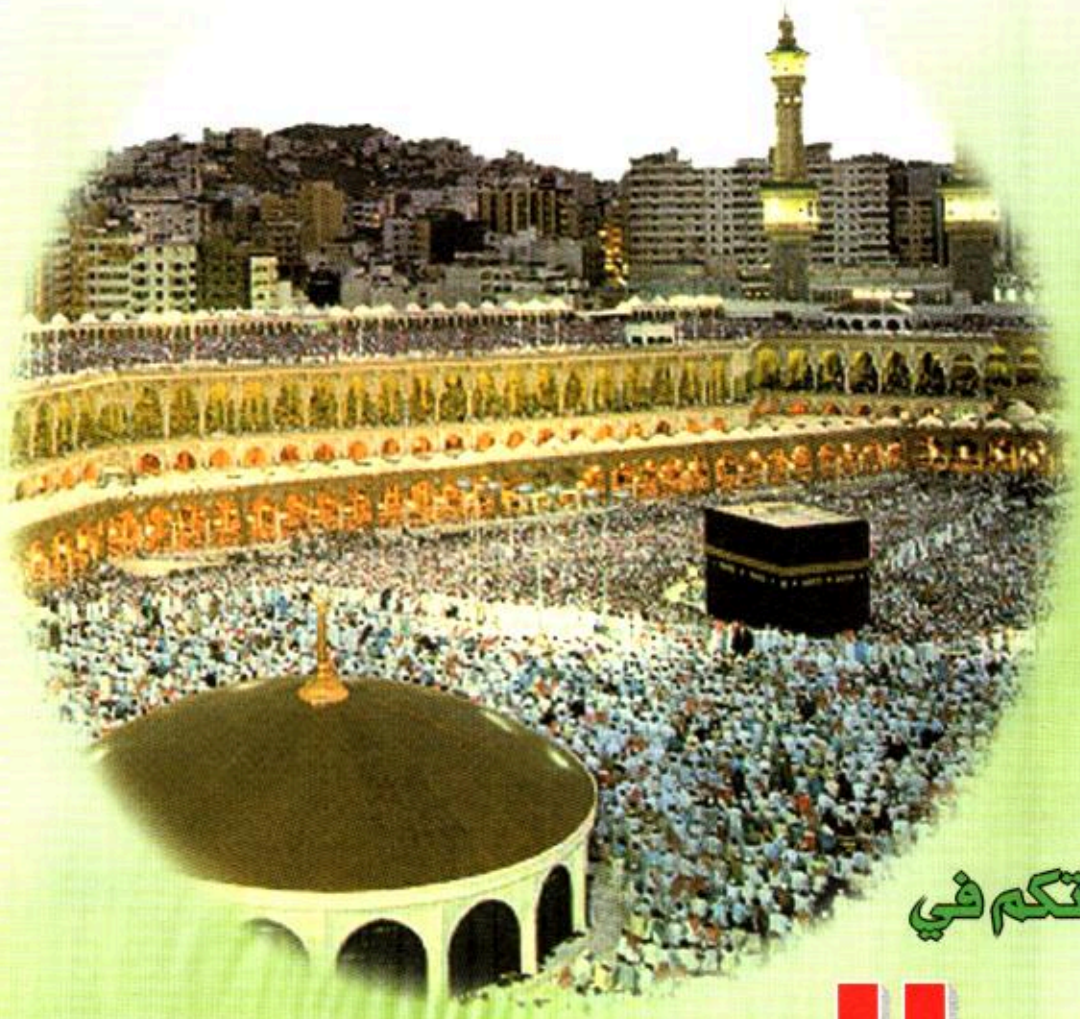

لإعلاناتكم في

المجتمع

مكتب الرياض

هاتف ٤٧٢٠١٢٣ - ٤٧٢١٢٣٤ فاكس ٤٧٦١١٩٣

مكتب جدة

هاتف ٦٦٧٤٧٣٨ - ٦٦٧٦٤٠٣ فاكس ٦٦٧٦٤٢٥

رسِّخوا في مناهجنا عقيدة الأمة وقيمها وثوابتها

صدق الله القائل: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢١٧)﴾ (البقرة)

اللجنة التي شكلها وزير التربية الكويتي برئاسة الدكتور محمد المسيليم الوكيل المساعد لشؤون المناهج لمراجعة مفاهيم محددة في المناهج الدراسية، وتغيير وحذف بعض ما فيها - حيث تمّ تحديد مجموعة من المفاهيم الخاصة بالعقيدة الإسلامية للنظر فيها، مثل: الحثّ على الجهاد، محاربة اليهود، التعصب، العنف، عدم التسامح، وغيرها - إن تشكيل هذه اللجنة يمثل حدثاً مهماً في تاريخ التعليم بالكويت، لأن مستقبل تعليم الأجيال صار مرهوناً بما تقرره تلك اللجنة من مناهج تشكل عقول ابنائنا وتبني ثقافتهم وشخصيتهم وقناعتهم بل واسلوب تفكيرهم.

ولخطورة هذا الأمر، واهميته القصوى، يجدر بنا ان نطرح رؤيتنا إخلاصاً لله وحباً للوطن، وحرصاً على ابناء الكويت واجيالها في الحاضر والمستقبل، ونسوق في هذا الخصوص الملاحظات التالية:

أولاً: إن تشكيل هذه اللجنة التي تعنى في المقام الأول بمراجعة مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية جاء خالياً من كبار الأساتذة المختصين، كعميد كلية الشريعة، واساتذتها، وغيرهم من الخبراء المشهود لهم بالكفاءة والخبرة والدراية بالمناهج، التي ينبغي ان تدرس واهدافها التربوية والتعليمية.

ونرجو الا يكون التشكيل الذي تم بعيداً عن الكفاءات الشرعية والخبرة التربوية الإسلامية قد جاء لتحقيق رغبات معينة، وذلك امر نربأ بوزير التربية ورئيس اللجنة ان يقعا فيه، ولذلك فإننا نطالبهما بإعادة النظر في تشكيل اللجنة لتضم عناصر جديدة ممن سبق الإشارة إليهم.

ثانياً: إن قرار تشكيل اللجنة جاء وسط تطورات دولية وإقليمية خطيرة حفلت باتهامات غير صحيحة من الغرب للتعليم الإسلامي بالإسهام في صناعة الإرهاب والتطرف من خلال مناهجه ومواده الدراسية، وقد تطورت هذه الاتهامات إلى حملة وراءها الصهيونية، حيث قام خبراء سياسيون امريكيون يُعرفون بـ(المجموعة ١٩) بتقديم دراسة إلى جهاز الأمن القومي الأمريكي تحت عنوان: «الجوانب النفسية للإرهاب الإسلامي»، ترى إلزام الدول العربية بتغيير مناهج التعليم والإعلام خصوصاً التي تحضُّ على كراهية اليهود، وهم يرون ان التغيير في المناهج يجب ان يبدأ من المرحلة الابتدائية، وحيث لا يمكن تغيير القرآن، فقد طالبوا بتغيير المفاهيم التي يدعو إليها القرآن من خلال تغيير مناهج التعليم، ومازالت تلك الحملة متواصلة تطالب بتغيير مناهج التعليم الإسلامي، بل والدعوة لإغلاق المدارس والمعاهد الدينية، وتقليص المناهج الإسلامية، وتفريغها من محتواها واهدافها، وليس بخاف على احد ان هذه الحملة حققت بعضاً من اهدافها عند اولئك المصبوغين بالثقافة الغربية الذين كانوا ولا يزالون اعداء لدينهم وعقيدتهم وامتهم من العلمانيين وعملاء الغرب، ومازالت الحملة الغربية متواصلة بالضغوط وعرض المساعدات لإغلاق تلك المعاهد والمدارس تماماً وإنشاء اخرى بديلة لا علاقة لها بالدين والقيم والأخلاق.

وهكذا فإن الواضح والمؤكد ان هدف الغرب الحيلولة بين ابناء الإسلام في بلادهم وتعلم مبادئ دينهم ومعرفة تاريخ امتهم او بالأحرى هدفه قطع الصلة بين المسلمين وإسلامهم، ليصبحوا فاقدين لهويتهم، ضعفاء في عقيدتهم فيسهل تطويعهم وتجنيدهم للمشاريع التغريبية والصليبية التي يجرى ترويجها اليوم.

ثالثاً: إن الحملة الغربية الدائرة اليوم على التعليم الإسلامي والمدارس والمعاهد الدينية في العالم الإسلامي هي امتداد لحملات الاستعمار القديم على بلادنا، لا تختلف عنها في اهدافها ومخططاتها، فقد قلص الاستعمار التعليم الإسلامي، وزرع مؤسسات تعليمية نصرانية وتغريبية، اشرفت عليها إرساليات التنصير ورجال الاستعمار، ومازالت هذه المؤسسات تقوم بدورها المشبوه المدمر حتى اليوم.

وبعد رحيل الاستعمار، تواصلت الحملات ضد مناهج التعليم في الدول الإسلامية، وعقد اكثر من مؤتمر دولي في اوروبا وامريكا حضرها للأسف مسؤولون عن التعليم في بعض بلداننا، وعادوا لينفذوا التعليمات والتوجيهات الداعية للتطبيع مع أعداء الإسلام، واليوم يضغط الغرب على العالم الإسلامي لإزاحة التعليم الديني الإسلامي عن الساحة، وتحويل المناهج الإسلامية إلى مناهج تقليدية لا تصلح فساداً، ولا تقوّم اعوجاجاً، ولا توقظ المشاعر والأحاسيس الإسلامية في عقول وقلوب الأجيال الناشئة.

وفي التحليل الأخير، فإن المطلوب غربياً واستعمارياً إلحاق المسلمين بعالم المجون والمتع والشهوات في الغرب، وإقصاء الشريعة الإسلامية عن حياة المسلمين، والحيلولة بين الإسلام والتأثير في مسيرة الحياة الحضارية وإشاعة الأمراض الثقافية والفكرية والأخلاقية، لتصبح الأمة عاجزة عن صد الغزوات الاستعمارية الرامية لابتلاعها.

في ضوء تلك المعالم التاريخية والتحديات الحضارية والمشاريع والحملات الاستعمارية، نرجو ان يضع وزير التربية ورئيس لجنة دراسة المناهج كل هذه التحديات أمام انظارهم، ونطالب الحكومة ووزير التربية بعدم المساس بثوابت الأمة وعقيدتها وهويتها وتاريخها الإسلامي، وقضاياها وبصفة خاصة ما يتعلق بالصهاينة وعدوانهم المجرم على إخواننا في فلسطين، وتاريخهم الأسود مع الإسلام والمسلمين، وعدم الإذعان في هذا الصدد لترسيخ التطبيع في مناهجنا مع العدو، استجابة لمطالب الكيان الصهيوني عبر القنوات الأمريكية، فاي تنازل او استجابة تعد ردة عن المنهج الإسلامي، تعرّض العاملين عليها لسخط الله والخزي في الدنيا والآخرة.

إن التغيير المطلوب في المناهج ينبغي ان يكون لترسيخ عقيدتنا وقيمنا واخلاقنا وثوابتنا خاصة في هذه المرحلة الحرجة التي تكاثرت فيها التحديات والأعباء.

إننا نثق في ان وزير التربية ورئيس اللجنة واعضاءها يضعون هذه المحاذير في اعتبارهم، ونثق في انهم سيقفون في النهاية إلى جوار ما يحفظ هوية امتهم وعقيدتها الإسلامية، والتاريخ دائماً يسجل دون نسيان المخلصين والمفرطين... نسأل الله سبحانه وتعالى لنا جميعاً الإخلاص لديننا وعقيدتنا وثوابتنا.

وصدق الله القائل: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢١٧)﴾ (البقرة). ■

في ندوة

«التطرف في الكويت.. رؤية واقعية»

الشطي: المبالغة في الدفاع عن أمريكا وتحويل دورها في تحرير الكويت إلى أحد المقدسات قد يكون أحد أسباب التطرف

المكاشفة ومواجهة الذات، هي أولى درجات التشخيص الضروري لعلاج أزماتنا المعاصرة، من هنا استمدت ندوة «التطرف في الكويت.. رؤية واقعية» أهميتها وفاعليتها.

د. إسماعيل الشطي

الندوة التي استضافها معرض الكويت السابع والعشرين للكتاب مساء السبت الماضي ٢٠٠٢/١٢/٢١م توزعت على محورين:

تناول في أوله الدكتور علي الزميع «التطرف الديني بين جذوره وأسبابه»، فيما عرض المحور الثاني لنتائج هذا التطرف في الكويت وسبل علاجه ببحث للدكتور علي الطراح عقّب عليه الدكتور إسماعيل الشطي.

وقد حدد في بداية الجلسة الدكتور الزميع مفهوم التطرف وأسبابه، داعياً إلى إحياء فقه الأولويات وفقه الواقع وفقه المقاصد، والتفريق بين ما هو أصيل في ديننا وما هو من عاداتنا وتقاليدنا، واختتم بحثه بالقول: إنه ليس من مصلحة الكويت ولا الأمة ولا أي من الاتجاهات السياسية ضرب الحركة الإسلامية، إذ إنها حركات وطنية.

وعقّب عليه الكاتب خليل حيدر صاباً جام غضبه على كل التيار الإسلامي، داعياً إلى تجفيف منابعه بمحاربة الشريط الإسلامي، والكتاب الإسلامي، ومراقبة خطب الجمعة في المساجد!.

وأشار الدكتور علي الطراح عميد كلية الخدمة الاجتماعية في بحثه «الإرهاب والتطرف... تداعيات وجذور» إلى أن التيار اليساري هو أول من قام بالإرهاب في السيتينيات، لكنه عطف بالقول: إن المسلمين هم السبب في معظم الأعمال «الإرهابية» التي تحدث في العالم، إذ من كل ١٨ حادثاً إرهابياً في العالم، يكون المسلمون السبب في ١٢ منها، وهم من بدأوا بالحرب في البوسنة والهرسك!! وغيرها.

ثم عقّب الدكتور إسماعيل الشطي على رؤية «الطراح» لظاهرة الإرهاب، وفق الخطاب السياسي الأمريكي، واقتصاره على الحديث عن العنف المرتبط بالخطاب الديني الإسلامي، وهو ما لا يفسر العنف في كثير من بقاع العالم التي لا شأن للإسلام بها مثل إيرلندا وإسبانيا أمريكا وغيرها.

واستطرد الشطي منتقداً عدم إشارة الطراح إلى دور الغرب في إيصال الرأي العام الغربي والإسلامي إلى حالة الغليان ومخزون الغضب الذي يرتفع فيها التطرف والعنف، وأشار الشطي إلى تغافل المحاضر عن الاستفزازات شبه اليومية التي يتعرض لها الشرق أوسطيون، وقال: إن رفضه نقد سياسات أمريكا لا يصح، فكيف يمكن معالجة خلل لا تمارس فيه حرية النقد والتعبير، وتفسير حوادث العنف بأنها بسبب نقد أمريكا تفسير سطحي غير علمي، يتجاهل وضع الكويت كجزء من الأمة العربية والإسلامية.

وأكد الشطي أن المبالغة في الدفاع عن أمريكا وتحويل دورها في تحرير الكويت إلى أحد المقدسات التي تمنعنا من نقدها، وقد يكون السبب في إثارة الغضب عليها.

واختتم الشطي بسؤال منطقي: هل نملك في الكويت نخباً متسامحة تؤمن بالحوار بدلاً من العراك؟ وهل يمكن التصدي للتطرف في مثل هذه الأجواء؟!. ■

محطات محلية

● أكد وزير الإعلام الشيخ: أحمد الفهد عدم وجود نية لفتح مكاتب للمعارضة العراقية في الكويت، ووصف النظام العراقي بأنه مخادع ومراوغ ليس له أدنى مصداقية ولا يمكن الوثوق به.

● قال الناطق الرسمي باسم الحركة الدستورية الإسلامية النائب الدكتور: محمد البصيري إن جلسة مناقشة قانون التأمينات المقرر عقدها في ٢٠٠٢/١٢/٣٠م تتضمن التصويت على القانون الحالي والتعديلات الحكومية»، وأكد د.البصيري: «المطلوب إلغاء القانون الحالي والعودة إلى القانون السابق»، وأوضح أن الحركة الدستورية تتبنى قانون الجزاء الإسلامي الذي قدمته لجنة العمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية، ضمن سعيها إلى أسلمة القوانين».

● تحت اسم «الحسم المشترك» جرت مناورات لقوات رجال الأمن: الداخلية والدفاع والحرس الوطني الكويتي في جزيرة «فيلكا»، تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ الكويت، وشارك فيها أكثر من ٣٥٠ فرداً وقيادياً. ■

الحجي: المجاعة تجتاح إثيوبيا وتهدد ٢٠ مليوناً من المسلمين

يوسف الحجي

قال السيد يوسف جاسم الحجي رئيس اللجنة المشتركة للإغاثة إن المجاعة تهدد ملايين المسلمين في إثيوبيا بالموت وأن مناطقها تعاني حالياً من جفاف وتصحر ضربها لمدد طويلة فأصابت الحرث والضرع والزرع، وأضاف الحجي أن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تسلمت خطاباً من سفير الكويت في إثيوبيا الأخ عبدالعزيز عبدالله الدعيج، يوضح ظروف الحياة الرديئة التي يعيشها المسلمون تحت وطأة الفقر والمجاعة والجهل والأمية في إثيوبيا، فهناك أكثر من ٢٠ مليوناً يكادون يشرفون على الموت المحقق من أصل ما يربو على ٣٣ مليون نسمة، ما لم نبادر بإغاثتهم على وجه السرعة خاصة في مناطق واقاليم أروميا وعفر والإقليم الصومالي وإقليم أمهرة وإقليم تجري.

وأشار الحجي إلى أن ٥٧٪ من السكان تحت خط الفقر والجوع والعوز نتيجة الجفاف والتصحر وما خلفته الحروب من تعطل خطط التنمية وعجز الدول المانحة عن القيام بواجبها لإغاثة المنكوبين حسب ما أوردته التقارير الدولية.

وأكد الحجي أن ما نشرته وسائل الإعلام المختلفة للواقع الإثيوبي المر، يتطلب منا جميعاً أن نمد يد العون انطلاقاً من روابط الأخوة والتكافل تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠)، وحديث المصطفى ﷺ: «مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ولفت الحجي إلى أن تحرك اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة يأتي استكمالاً للدور الحكومي المساند لإثيوبيا لتجاوز هذه المصيبة الأليمة التي راح ضحيتها الوف القتلى جوعاً مما يستوجب التحرك الإغاثي السريع على مستوى الحكومات والشعوب.

وأعلن الحجي أن اللجنة فتحت المجال لجمع التبرعات المالية لصالح المنكوبين والمتضررين في إثيوبيا تحت حساب رقم (٩٣٣٢/٠) في بيت التمويل الكويتي ويخصص ريعه لصالح ضحايا المجاعة في إثيوبيا. ■

الوطن الدولي

رسالة الكويت إلى العالم

يلبي احتياجاتك الاعلانية
في أوروبا والولايات المتحدة

طلب العمالة الأجنبية المتخصصة
للوصول للكفاءات العربية في أوروبا وأمريكا
طلب وكلاء وتوكيلات للكويت والخارج

الوطن الدولي

الكويت - للإعلان : 3 / 2 / Tel:4840451 - للإشتراكات : 4835091
لندن- للإعلان: Tel:(0044)208 7422022 - Fax:(0044)208 7422224
للإشتراكات : Tel:(0044)208 7422344 - Fax:(0044)208 7421280

المجتمع الإسلامي

وإنما ذُكِرَ اسم الله في بلد
عددتُ أرجاءَهُ من لُبِّ أوطاني

السجون العسكرية امتلأت

نقلت صحيفة معاريف العبرية عن مصادر في جيش الاحتلال وصفتها بـ«العليا»، قولها إن الجيش اتخذ قراراً بوقف ملاحقة ومحاكمة الجنود الفارّين من الخدمة، بعد تزايد أعدادهم بصورة كبيرة، وازدحام السجون العسكرية بهم بشكل لم يعد يسمح باستيعاب المزيد منهم. ووفقاً لتلك المصادر فإن عدد الجنود الفارّين من الخدمة وصل إلى ٢٧٢٢ جندياً، غصّ بهم السجن العسكري رقم (٤) والسجن رقم (٦) للجنود الهاربين، والسجن رقم (٤٠٠) المخصص للمجنّدات الهاربات من الخدمة.■

مخالفات إجرائية.. تضاف إلى المخالفة الشرعية تؤكد:

بطلان فتوى الأزهر بإباحة فوائد البنوك

أكد علي لبن نائب الإخوان المسلمين في مجلس الشعب المصري، بطلان الفتوى التي أصدرها مجمع البحوث الإسلامية للأزهر مؤخراً عن إباحة فوائد البنوك.

قال النائب في بيان عاجل تقدم به للمجلس: إن هناك مخالفات قانونية صاحبت صدور الفتوى متعلقة بعملية التصويت عليها، إذ وافق على الفتوى ٢٠ عضواً بالمجمع من ٣٣ عضواً حضروا اجتماع إصدارها، وهو ما يخالف المادة ٢٢ من القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م الخاص بتنظيم شؤون الأزهر التي اشترطت لصحة قرارات

مؤتمر مجمع البحوث أن تصدر فتواه وقراراته بأغلبية أصوات أعضائه الخمسين عضواً، على ألا يقل تمثيل أعضاء المجمع من غير المصريين عن ٣٥٪ من عددهم (٣٠ عضواً من مصر، و٢٠ عضواً من خارجها) وهو ما لم يتوافر في فتوى المجمع الخاصة بفوائد البنوك، إذ لم يحضر اجتماع المجمع سوى ٢٣ عضواً، كلهم من مصر.

وأشار النائب إلى أن الفتوى صدرت باسم مجلس مجمع البحوث ولم تصدر باسم مجمع البحوث، وهو المجلس الذي يضم أعضاء المجمع من مصر فقط، مما يؤدي في النهاية إلى محاولة قصر دور الأزهر على الجانب المحلي والبعد به عن رسالته العالمية، وهو ما يخالف نص قانون تنظيم الأزهر الذي نص على أن الأزهر هو الهيئة العلمية العالمية الإسلامية الكبرى التي تقوم بحفظ تراث الإسلام، وتحمل دعوته لكل الشعوب.

وقال النائب: إن الفتوى خالفت أيضاً المواد ٢٧/٢٨ من اللائحة التنفيذية لقانون الأزهر، إذ تشترط هذه المواد أن يُدرج الموضوع محل البحث على مجمع البحوث في الخطة الزمنية لأبحاث المجمع على أن تُعتمد هذه الخطة من المجلس الأعلى للأزهر، ثم يعهد بالموضوع المطروح إلى اللجنة المختصة، وهو ما لم يحدث، وباعتراف بيان المجمع الخاص بالفتوى ذاتها الذي أشار إلى أن الفتوى صدرت بناءً على طلب مقدم من د.حسن عباس زكي إلى شيخ الأزهر في ٢٢/١٠/٢٠٠٢م، وهو الطلب الذي عرضه شيخ الأزهر على المجمع وانتهى بالموافقة عليه في ٣١/١٠/٢٠٠٢م، دون ضمه لخطة المجمع الزمنية أو موافقة المجلس الأعلى للأزهر عليه، أو عرضه على اللجنة الفقهية المختصة.

وأضاف لبن أن أعضاء المجمع من اللجنة الفقهية اعترضوا على الفتوى في أثناء التصويت عليها، وهي اللجنة المختصة بدراسة وبحث مثل هذه الموضوعات، مشدداً على أن كل ذلك يؤدي إلى بطلان التصويت على الفتوى، وبالتالي بطلان صدورها. (اقرأ ص٤٢ ـ ٤٧).■

إيران طلبت التنسيق لما بعد صدام والعرب رفضوا!

قالت مصادر سياسية وإعلامية مصرية إن القاهرة رفضت طلباً إيرانياً دبلوماسياً بالتنسيق بينها وبين عدد من الدول العربية الكبرى في قضية العراق ومستقبل المنطقة في حالة تم الغزو الأمريكي للعراق وتغيير نظام الحكم فيه، بيد أن غالبية الدول العربية ردت سلبياً علي إيران باستثناء سورية.

تزامن هذا مع ما كشفه الدكتور وحيد عبد المجيد مساعد مدير مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ـ في ندوة حول الحرب المنتظرة في العراق بقناة المجد الفضائية السعودية الخاصة يوم ١٨ ديسمبر التي شارك فيها مراسل المجتمع نقلاً عن مصادره من أن الإيرانيين طلبوا من مصر وسورية ودول عربية أخرى التنسيق من أجل الاستعداد لمرحلة ما بعد سقوط الحكم الحالي في العراق، وعدم ترك الساحة للأمريكيين ليرسموا المنطقة وفق هواهم، ولكن جاءهم رد من عواصم عربية منها مصر بالرفض تأسيساً على أن هذه لعبة أمريكية لا تشترك فيها مصر رغم أن تخلي الدول العربية عن التدخل في تحديد مستقبل العراق معناه ترك الساحة تماماً للأمريكان!

وقد حاولت المجتمع التأكد من المعلومة من مصدر في السفارة الإيرانية بالقاهرة، بيد أن رد المسئول الإعلامي بالسفارة (حسينيان) جاء مقتضباً داعياً لسؤال المصادر التي كشفت عن هذه المعلومة عن هذا دون إيضاح هل قدمت إيران العرض لمصر والدول العربية أم لا؟

وتشير مصادر سياسية مصرية إلى أن رد المسئول الإعلامي الإيراني ربما جاء على هذا الشكل لعدم إحراج السلطات المصرية وعدم الدخول في خلافات علنية خصوصاً أن هناك خطوات تجري منذ فترة لتطبيع العلاقات بين البلدين، وأن هناك تحركاً إيرانياً حقيقياً لحجز مقعد في قطار التسوية العراقي ما بعد صدام وفق قناعة بأن الحرب قادمة، والحكم الحالي ذاهب لا محالة.■

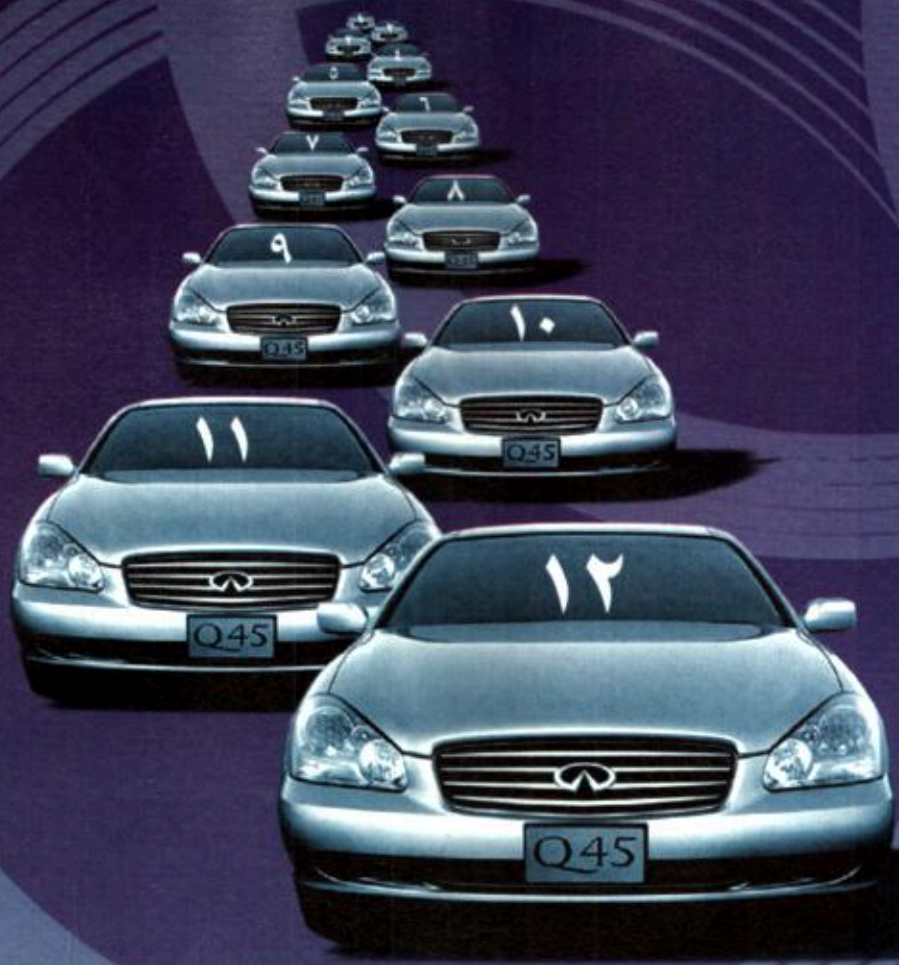

شارك واربح في

مسابقة سيارة الحمر

مع bbc

أسبوعياً سيارة انفنيتي

لصاحب الحظ السعيد

برعاية

شركة الحمراني المتحدة

محمد علي الحمراني وإخوانه (شركة تضامن)

Alhamrani United Co.

عضو مجموعة شركات الحمراني

جدة - طريق المدينة - ت ٦٦٩٦٦٩٠

شد الرحال المقدسية

دعا «ائتلاف الخير» وهو تجمع يضم عدداً من المؤسسات الخيرية الإسلامية إلى دعم مشروع شد رحال الفلسطينيين إلى المسجد الأقصى بصفة دائمة على مدار السنة.

وكان المشروع الذي بدأ في رمضان الماضي وتبنته لجنة التراث الإسلامي بالتنسيق مع ائتلاف الخير قد تمكّن من نقل أكثر من ٤٣ ألف مصلٍ من مختلف المناطق المحيطة بمدينة القدس وهي: الرام وضاحية البريد ومخيم شعفاط والثوري، وسلوان، وجبل المكبر، والعيسوية، والطور، والزعيم، والعيزرية، وشرفات، وصور باهر. بكلفة إجمالية تجاوزت ٤٣ ألف دولار.

ودعا القائمون على المشروع إلى استمراره طيلة أيام السنة وأن لا يقتصر فقط على شهر رمضان المبارك، نظراً لأهميته وحيويته، وأن البحث جار عن جهة تتبنى المشروع لسنة كاملة على الأقل، لضمان سيره على الوجه الأكمل.

وحفاظاً على إنجازات المشروع فقد قررت اللجنة تسيير حافلات يوم الثلاثاء من كل أسبوع لحضور درس الثلاثاء في المسجد الأقصى المبارك، إلى أن يتم تبني المشروع بشكل كامل.■

ولاية أفغانية تنادي بالعودة لتطبيق الشريعة

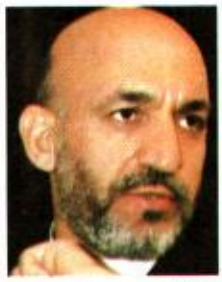

قرضاي

وصلت معاناة حكام الأقاليم الأفغانية ذروتها، في كيفية فرض سيطرة الأمن على الناس، الذين راح القوي فيهم يأكل الضعيف، دونما أي خوف من السلطات المحلية، وعجزت فرق الشرطة من فرض هيبتها للحد من وقوع الجرائم المالية والأخلاقية وغيرها.

فقد طلبت ولاية هلمند الواقعة غرب أفغانستان، من الحكومة المركزية في كابل، الإذن لها في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، التي كانت تطبق وقت طالبان.

ووصف طلب الولاية حجم ومقدار وارتفاع معدل الجريمة في الولاية، فقد خرجت الأمور عن السيطرة، مما اضطر قائد الشرطة في الولاية، عبد الرحمن إلى قطع يد السارق، في محاولة لإعادة الوضع الأمني إلى ما كان عليه في وقت طالبان، وناشد مسؤولو الولاية الحكومة المركزية الموافقة على طلب تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، التي يرون فيها الخلاص لهم وللناس الذين كثرت شكاواهم من ارتفاع معدل الجريمة في الولاية.

معاناة ولاية هلمند هي نموذج ليس أكثر، فمعظم الولايات الأفغانية تعيش المأساة نفسها، حتى كابل التي يحميها ٤٥٠٠ جندي من القوات الدولية «ايساف»، تعاني فقد الأمن، وبعد وقوع العديد من الانفجارات فيها فقد المواطن الثقة بقوات الحكومة الأفغانية، أو الدولية على حد سواء.

ويدرك الجميع في أفغانستان أن نعمة الأمن التي تمتع بها المواطن الأفغاني في عهد طالبان، لم تكن لتعتمد على قدراتهم أو أسلحتهم المتطورة، حتى وصل الأمر بصاحب المتجر أن يذهب إلى الصلاة ويترك متجره مفتوحاً وبداخله المال، ولكن الأمر في حقيقته كان في قوة تأثير أحكام الشريعة الإسلامية التي تتناسب مع فطرة الإنسان في الردع، والتي بدا الناس يرون أنها تطبق أمامهم، فخافوا وهابوا فكفوا فأمن الناس.

فهل تستجيب حكومة حامد قرضاي؟■

الجنود الروس: مغتصبون ومجانين!

أرجعت فحوص نفسية أُجريت على أول ضابط روسي كبير يُحاكم بتهمة ارتكاب جرائم ضد المدنيين الشيشانيين جرائمه تلك إلى أنه أُصيب بجنون مؤقت عندما ارتكبها؛ الأمر الذي يخفف عقوبته بقدر كبير!.

ويواجه العقيد يوري بودانوف تهماً بقتل الفتاة الشيشانية إيلزا كونغاييفا (١٨ عاماً) خلال استجوابها في قاعدة روسية بالشيشان أوائل عام ٢٠٠٠م وذلك بعد اغتصابها. ويطالب محاموه بإطلاق سراحه لأنه أُصيب بجنون مؤقت وقتذاك بحسب زعمهم، فيما يقول بودانوف «المجنون»: إنه لم يكن يقصد قتل الشيشانية في أثناء استجوابها «دون ذكر لجريمة التعذيب والاغتصاب»!.

وعقوبة الاتهامات التي يواجهها بودانوف هي السجن مدة قد تصل إلى ٢٠ عاماً، إلا أنها ستُخفف كثيراً على الأرجح في حالة ثبوت أن المتهم لم يكن في كامل قواه العقلية وقت ارتكاب الجريمة.

وكانت المحاكمة بدأت في فبراير ٢٠٠١م بمدينة روستوف أون دون جنوبي روسيا، إلا أنها توقفت مرات عدة لإعادة تقويم حالة بودانوف النفسية. وصرح مسؤولون في مكتب المدعي العسكري الروسي بأن نتائج فحص بودانوف نفسياً ستعلن في وقت لاحق.■

إعلان القاهرة ضد الهيمنة الأمريكية ومناصرة فلسطين

انتهى مؤتمر شعبي شهدته العاصمة المصرية في الأسبوع الماضي إلى إصدار «إعلان القاهرة ضد الهيمنة الأمريكية والحرب على العراق ومناصرة فلسطين» الذي دعا إلى تفعيل آليات المواجهة الشعبية الدولية ضد الحرب على العراق.

تضمنت توصيات المؤتمر - الذي دام يومين وضم ناشطين عرباً وأجانب ممارسة ضغوط شعبية من أجل عدم تقديم أي تسهيلات للقوات الأمريكية.

ونص الإعلان على برنامج عمل في مختلف الدول العربية من أجل معارضة الحرب التي تهدد واشنطن بشنها على العراق، داعياً في هذا الإطار إلى تشكيل «فرق تفتيش شعبية دولية لمتابعة عملية التفتيش التي تجري حالياً» في العراق، مؤكداً أن هذا المؤتمر «ينبغي أن يكون نقطة انطلاق لآلية دولية شعبية» تهدف إلى معارضة ضربة أمريكية للعراق.■

MPH

أوتو ترايد

AUTO

مجلة السيارات الرائدة في الشرق الأوسط

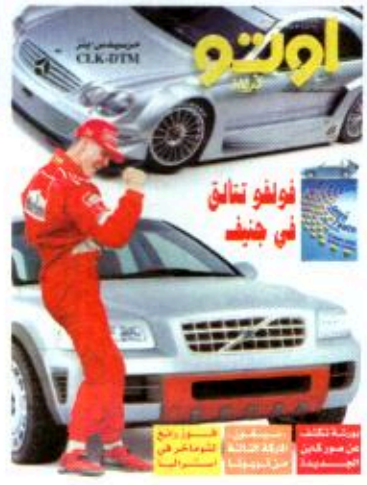

- جديد السيارات لدى الوكلاء في الخليج
- كل ماهو جديد في عالم السيارات
- متابعة ساخنة للراليات وسباقات الفورميولا -١
- عرض موسع للتقنيات الجديدة
- إصدار أدلة مبتكرة عن السيارات وملحقاتها
- متابعة المنتجات البحرية وأنشطتها الرياضية

التوزيع والاشتراكات:

شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٤٨٤١٠٦٧ / ٤٨٤١٠٤٥ فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠

هل لجأ إليها بوتفليقة لمواجهة خصومه؟

«الزوايا» تدعو للمصالحة وترفض الاستئصال والانفصال

الجزائر: فاروق أبو سراج الذهب

تعرف منطقة القبائل الجزائرية تحولات سياسية وثقافية ودينية خطيرة على اعتبار أنها منذ شهر أبريل ٢٠٠١ تعيش حركة احتجاج عارمة راح ضحيتها أكثر من مائة قتيل من المواطنين وأكثر من ٦٠٠٠ جريح وعدد لا بأس به من الموقوفين والمعتقلين وعلى رأسهم رئيس اللجان الشعبية لعروش القبائل «بلعيد عبريكا»... وما تزال إلى اليوم هذه الأزمة ذات الطابع الإثني الانفصالي تشكل بؤرة توتر ذات خطر على وحدة الجزائر خاصة مع بروز مؤشرات التقارب الجزائري الأمريكي في مقابل توتر علاقات الجزائر مع فرنسا، وهذه الأخيرة تمسك بخيوط كثيرة وحساسة في أزمة العروش القبائلية في الجزائر.

وبعد لقاءات متعددة ووساطات مختلفة لم تستطع السلطة الجزائرية الوصول إلى حل للأزمة التي عزلت المنطقة من باقي محافظات الوطن وأصبحت قاب قوسين من الانفصال كيف لا وقد دعا أحد الشخصيات (فرحات مهني منشق عن حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية القبائلي الذي يتزعمه الدكتور سعيد سعدي وهذا حزب ذو طابع ثقافي جهوي يؤمن بالجهوية المكيفة) إلى الانفصال ووزع مشروع الحكم الذاتي على المواطنين وأسس لحركة سياسية سماها (حركة الحكم الذاتي).

الوضعية في منطقة القبائل تعفنت وأصبحت لا تطاق بل وصارت ورقة من الأوراق السياسية الرابحة للضغط على الجزائر من أجل قبول مشاريع غربية والالتحاق بمنظمات لا تغني شيئاً.

وفي مبادرة جد حكيمة عقدت الجمعية الوطنية للزوايا الجزائرية ملتقاها السنوي في مدينة تيزي وزو المنطقة الأكثر حساسية للقبائل يوم ١٤ ديسمبر ٢٠٠٢، ضمن استراتيجيتها لاسترجاع مكانتها وتأكيد الروابط التاريخية والدينية بين منطقة القبائل وباقي مناطق القطر، وربما لعب دور جسر بين السلطة والمنطقة في هذه المنطقة التي يميزها بروز نزعة انفصالية صريحة تتخذ من بلاد «الزوايا» ـ أماكن ومدارس تحفيظ القرآن الكريم ـ منبراً لها.

اجتمع في عاصمة جرجرة تيزي وزو ممثلو ومقدمو الزوايا من ٢٨ محافظة، ٤٥٠ مندوباً، وقد ناقش الملتقى السنوي قضايا تخص أساساً إعادة الاعتبار للزوايا في الجزائر والعمل على استرجاع نفوذها كمرجعية

متى يحدث ذلك في بعض قنواتنا العربية؟

التلفاز السويدي ينتصر للحجاب

ستوكهولم: يحيى أبو زكريا

أصبح بإمكان المرأة المسلمة في السويد المحجبّة حجاباً شرعياً كاملاً أن تعمل في التلفزيون السويدي وأن تطلّ بحجابها على ملايين المشاهدين السويديين لتحدثّهم في مختلف البرامج دون تمييز أو مضايقة، فقد اتخذ التلفزيون السويدي الرسمي قراراً يؤكّد على أنّ السويد دولة تحترم الثقافات والديانات وأنّ الحريّة الدينيّة مكفولة.

وتجدر الإشارة إلى أن التلفزيون السويدي الرسمي يعد محافظاً.. وربما أكثر من بعض وسائل الإعلام العربية المرئيّة فأفلام العهر محظورة برمتها، والدعاية للخمور محظورة أيضاً.

وباتخاذه هذه الخطوة يكون التلفزيون السويدي أول وسيلة إعلامية غربية تجيز لمحجبّة أن تطلّ على مشاهدين من أغلبية غير مسلمة وتخاطبهم بلغتهم وقد تتناول مواضيع ذات صلة بحياتهم، وقد بات مألوفاً في السويد أن يصادف المرء فتيات محجبات في مختلف العمل بدءاً بالبريد وإلى المستشفيات ودور العجزة ومعاهد التعليم وغيرها.

وحسب القوانين فإن أي محجبة تتعرض للتمييز العنصري أو الديني بسبب لباسها؛ لها أن ترفع دعوى عاجلة على رب العمل الذي عاملها بسوء بسبب زيها، وقد رفعت فتاة سويدية مسلمة ـ فصلت من عملها كبائعة ملابس في أحد أكبر محلات الألبسة في السويد بسبب حجابها ـ دعوى على رب العمل فأنصفتها الدائرة الحكوميّة التي تنظر في قضايا التمييز وعادت إلى عملها وحصلت على تعويض محترم.

وبسبب هذه القوانين فإن السويد تكاد تخلو من ظاهرة محاربة المحجبات كما يحدث في بلجيكا وفرنسا وبعض الدول الغربية الأخرى. كما أن وسائل الإعلام السويدية تخلو من التهكم على المحجبّات.

وللمرأة المحجبة السويدية وغير السويدية أن تحصل على جواز سفر أو بطاقة هوية رسمية أو أي بطاقة مهمة دون أن تزيل الخمار عن رأسها وتقبل الدوائر الحكومية صورة المرأة المحجبة دون احتجاج. وفي الوقت الذي يقبل فيه التلفزيون السويدي بالمذيعة المحجبة فإنّ بعض التلفزيونات العربية لا تقبل ذلك بل تعتبر التبرّج والتعري شرطاً في الحصول على منصب مذيعة أو منشطّة، وفي الجزائر طردت مذيعة من عملها وهي نعيمة ماجر أخت اللاعب الجزائري رابح ماجر من عملها في التلفزيون الجزائري بسبب حرصها على الحديث باللغة العربية الفصيحة، وهذا ما أزعج الذين يريدون أن يكون لسان الجزائر ولسانها من وحي الثقافة الفرنسية، وفي مصر منعت عشرات من المذيعات من الظهور بعد ارتدائهن الحجاب.■

ينية محافظة في مواجهة التيارات الإسلامية الأخرى التي كانت سببا في لأزمة الدموية بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد اجتمعت على هذه المنطقة الغربان المستغربة المنادية بالانفصال المنصرون الذين تشرف عليهم أطراف فرنسية.

ويرى رئيس تنسيقية زوايا محافظة تيزي وزو القبائلية «أمزيان إيجري» ن الملتقى جاء لإلقاء الضوء على وضعية الزوايا عبر الوطن وهي وضعية سيئة كما قال، ورفض القول بأن للملتقى أهدافاً أخرى ويؤكد أن احتضان لاد زواوة لاجتماع الجمعية جاء من منطلق أن منطقة القبائل كانت تسمى منطقة زواوة» لكثرة وجود زوايا تحفيظ القرآن بها حيث تعد أكبر محافظة ن حيث عدد المساجد.

وفي المقابل ترى أوساط سياسية أن هذا الملتقى مسعى من مساعي جسير العلاقة بين الرموز الدينية للمنطقة ممثلة في الزوايا ورفع الحصار ن بعض الجمعيات المسجدية وتشجيعها على الشروع في حملة توعية لقطع طريق أمام دعاة الانفصال والجمعيات التنصيرية التي حافظت على وجودها المنطقة منذ الاستقلال، ولم تلجأ السلطة إلى هذه الزوايا والجمعيات إلا بعد شل محاولات إنهاء الصراع بالمنطقة ورفض السماع لرموز الدولة.

وتقف رئاسة الجمهورية ـ حسب مصادرنا ـ وراء تمويل العملية، وقد حظيت المنطقة بثناء الكثير من ممثلي الزوايا عبر الوطن، وأشار عبد الرزاق لقاسمي ممثل الزاوية القاسمية ـ الهامل ـ بالجنوب الجزائري إلى أن علماء زواوة لعبوا دوراً عظيماً في نشر الإسلام وخدمته والحفاظ عليه كما ساهموا ي توضيح الرؤية للمؤمنين بسورية في مرحلة انتشر فيها التكفير، وبفضلهم بعد الله ـ استرجع الجامع الأموي في دمشق دوره.

فهل تكون لمبادرة الزوايا في الجزائر لحل أزمة عروش القبائل حصيلة ذكر أم أنها مجرد ورقة في يد رئاسة الجمهورية لضمان فترة ثانية في لرئاسة سنة ٢٠٠٤؟■

..وشخصيات مثقفة سويديّة تقبل على الإسلام

بات مألوفاً أن يصادف الإنسان ي مسجد من مساجد السويد طبّاء أو أساتذة جامعيين أو باحثين كتّاباً يبحثون عن ماهيّة الإسلام يطرحون أسئلة خاصة تتعلق الإسلام على المشرفين على هذا لمسجد أو ذاك.

وقد جرت العادة في السويد أن قوم تلاميذ المدارس بزيارات دوريّة لمساجد للتعرّف على دور العبادة، تندرج هذه الزيارات في سياق لمنهج التربوي القاضي بتعليم لتلاميذ ميدانياً.

وفي هذا السيّاق يشار إلى أنّ ناك قصوراً كبيراً في ترجمة كتب الإسلامية المهمة إلى اللغة لسويدية، فلا يوجد على سبيل لمثال قرآن مفسر تفسيراً كاملاً إلى لغة السويدية، كما أنّ أمهات كتب التي تتحدث عن حضارة لإسلام واستيعابه لكل مناحي حياة مفقودة بل ومنعدمة باللغة سويدية. وتعوض جزءاً من هذا شحّ المعرفي المناقشات العابرة حياناً والعميقة أحياناً أخرى مع لمشرفين على المساجد، الذين لا يتمتع بعضهم ـ رغم إخلاصه ـ بثقافة إسلامية عالية وبالأخصّ في مجال المناظرة مع الآخر غير المسلم.

ويتردد العديد من أصحاب الشأن العلمي والاجتماعي من أطبّاء ومحامين وحتى قساوسة على المساجد للتعرف على الإسلام، ويقول المشرفون على المساجد في السويد إنّ العديد من الشخصيات العلمية والثقافية أعلنت إسلامها كما جرى مؤخراً في مسجد أوبسالا القريب من العاصمة حيث أسلم أحد القساوسة وطبيب بالإضافة إلى عدد من الطلبة، والأمر ذاته حصل في مساجد ستوكهولم ويوتوبوري ومالمو وغيرها.

وقد بدأت بعض الجمعيات الإسلامية تتدارك هذا القصور فراحت تصمّم صفحات إسلامية باللغة السويديّة على شبكة الإنترنت وهو الأمر الذي قد يسدّ ثغرة ما خصوصاً مع انتشار استخدام الإنترنت بشكل مكثّف.■

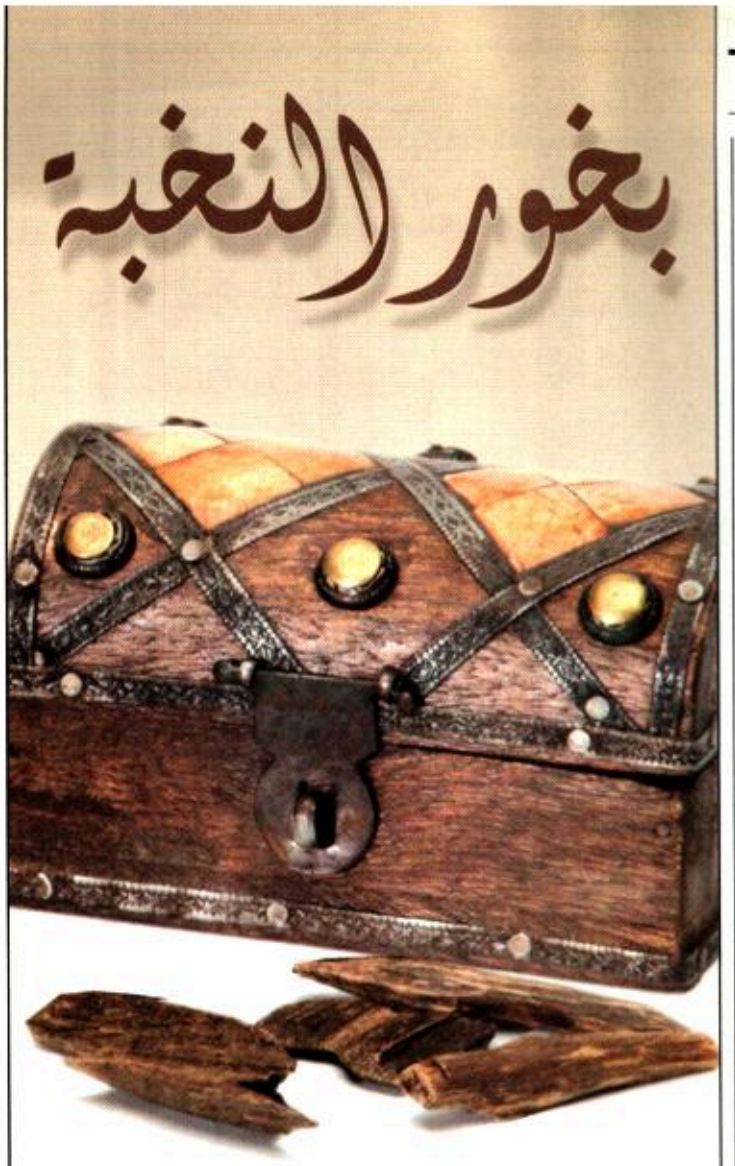

تم افتتاح فرعينا في مارينا مول وجمعية الجيش

السعودية
• مكة المكرمة - مركز مكة التجاري
• مكة المكرمة - مجمع الضيافة
• الخبر - مجمع الراشد

دبي - سيتي سنتر - محلات دبنهامز

قطر - شارع السد

الكويت - ٢٨ فرع

معارض الشايع للعطور
منذ 1928

فوز الإرهاب الهندوسي في جوجرات

كيرالا: أبو بكر المدني
إسلام آباد: مهيوب خضر

فاز حزب بهارتيا جاناتا وهو الحزب الهندوسي المتطرف الحاكم في الهند، بانتخابات ولاية جوجرات التي أجريت مؤخراً، والتي كانت محط اهتمام العالم، لما تمثله نتيجة الانتخابات من أبعاد استراتيجية على سياسة الهند في المستقبل.

وكانت نتيجة الانتخابات التي بلغت نسبة التصويت فيها ٦٣٪ بمشاركة ٣٣مليون ناخب، أن حاز بهارتيا جاناتا ثلثي مقاعد برلمان الولاية (١٢٧ من أصل ١٨٢)، بينما حصل حزب المؤتمر المعارض على ٥٠ مقعداً فقط، وتمثل هذه النتيجة ارتفاعاً واضحاً لأسهم بهارتيا جاناتا في الولاية، رغم الاتهامات والانتقادات الكبيرة التي واجهها، إبان فترة حكمة الماضية بسبب تفريطه في حماية الأقلية المسلمة من أعمال عنف قام بها أعضاء الحزب راح ضحيتها أكثر من ألفي مسلم.

ووصف زعماء حزب المؤتمر المعارض فوز بهارتيا جاناتا في جوجرات بأنه انتصار للإرهاب، متهمينه باستخدام أساليب طائفية، في التفريق بين المسلمين والهندوس لدعم مشروعه الانتخابي، في تأجيج الرأي العام الهندوسي المعتدل منه والمتطرف ضد المسلمين.

وقد حاولت الأقلية المسلمة في جوجرات والتي يبلغ تعدادها ١٠٪ تقريباً من السكان، دعم حزب المؤتمر، تحت قاعدة أخف الضررين، إذ إنهم بأصواتهم المعدودة لا يمكن لهم تحقيق أي فوز مؤثر، خصوصاً وأن حزب بهارتيا جاناتا يسيطر على حكومة الولاية منذ عقود.

ويتخوف المسلمون في الهند من أن تثير نتيجة انتخابات جوجرات شهية حزب بهارتيا جاناتا، في ارتكاب مجازر جديدة ضدهم في بقية الولايات، وبالتالي الصعود على دمائهم لتحقيق مكاسب أكبر تحت شعارات التطرف المناهضة لوجود المسلمين في الهند.

ويعتقد الكثير من الدبلوماسيين الأجانب الذين شهدوا انتخابات جوجرات، أن نتيجة الإنتخابات التي تقدم فيها حزب بهارتيا جاناتا عن نتائج الانتخابات السابقة في الولاية، تمثل ضربة قوية للعلمانية في الهند، خصوصاً بعد أعمال العنف الأخيرة التي استهدفت المسلمين.

ويعتبر أنصار حزب بهارتيا جاناتا وعلى رأسهم مودي رئيس وزراء الولاية الأسبق، أن فوز حزبهم هو هزيمة لأتباع باكستان في الولاية، في إشارة إلى حزب المؤتمر المتهم بالتساهل في التعامل مع باكستان.

وقد أذاعت القناة الرابعة البريطانية، تقريراً تحدث عن جمع الكثير من المؤسسات الهندوسية الخيرية في بريطانيا الأموال ولا سيما منظمة «سيوا» لصالح تمويل مشاريع وأهداف الهندوس المتطرفين في الهند، الذين شعارهم «الهند بلد هندوسي فقط»، وهم يطرحون ثلاثة خيارت أمام المسلمين لا رابع لها وهي:

١- الدخول في الهندوسية.
٢- الهجرة إلى باكستان.
٣- القبر.

ويدل الفوز الذي حازه حزب بهارتيا جناتا في جوجرات على أن المجزرة البشعة التي وقعت للمسلمين في الولاية هي التي صعدت بشعبيته فوق أشلاء المسلمين. وإذا كان من عادة السياسيين استغلال الاضطرابات الطائفية ضد خصومهم، ففي جوجرات تبدل الحال إذ تحولت الأشلاء المحترقة للمسلمين أصواتاً لصالح الهندوس المتطرفين، حتى انهم يفكرون الآن كم صوتاً يحصلون في الانتخابات القادمة بقتل واحد من المسلمين أو إحراق نسائهم وأبنائهم. وتتجمد الدماء في العروق حين نسمع أهل جوجرات التي ولد فيها غاندي صاحب مبدأ «اللا عنف» الذي اعتبر قتل الهوام والحشرات من الموبقات، يفخرون بالنجاح الذي تحقق على جثث المسلمين.

لقد أصبح نريندرا مودي رئيس وزراء جوجرات الذي مهد الطريق للمتطرفين والجنود لارتكاب المذبحة، الشخص الأكثر شعبية عند الناخبين، حتى إنه تمكن من أن يجمع الهندوس من مختلف الطبقات ضد المسلمين.

وتعود سيطرة الأحزاب الهندوسية المتطرفة على جوجرات إلى عام ١٩٩٠، وقد لجأت في سبيل ذلك إلى طريقين: الأولى، اجتذاب الهندوس من طبقات الصفوة التي كانت تعتبر «بنوكاً صوتية» لحزب المؤتمر، المعارض. والثانية تكريس الجهود لمحو التفرقة والعداوة بين الصفوة والمنبوذين من الهندوس، بتوجيه عداوة الجميع ضد المسلمين، كما حاولوا إقناع الهندوس من الطبقة السفلى بأن المسلمين هم العدو الأول لهم. ونتيجة لهذا المكر تحولت طبقة المنبوذين من كونها ضحية لمظالم الصفوة إلى مرتبة كلاب الصيد للمتطرفين ليصطادوا بهم المسلمين.

وقد نجح التطرف الهندوسي في سعيه نجاحاً ملحوظاً إلى الآن، ومما يستنبط من هذه الانتخابات أن العلمانية، التي تتمسك بها الأقليات بالهند باعتبارها حاجزاً يحول دون سيطرة الأغلبية الهندوسية، صارت مرفوضة من الطوائف الهندوسية السفلى التي تملك أوفر عدد من الأصوات.

ويزيد الطين بلة قول رئيس الوزراء مودي عقب فوزه: «إن أمواج الهندوسية التي ظهرت في انتخاب جوجرات غير محصورة في هذه الولاية فحسب بل إنها تنساح منها إلى سائر أنحاء البلد حتى تكون الهند كاملة دولة هندوسية في مدة سنتين». أما رئيس وزراء الهند فاجباي فحين سأله الصحفيون: هل يتكرر هذا الفوز في سائر الولايات؟ قال: إذا تكررت حادثة حريق القطار في أي بقعة يتكرر هذا الفوز أيضا هناك. وهي إشارة إلى حادثة القطار الذي اندلعت فيه النار في جوجرات وقتل فيها عدد من الهندوس، واتهم المسلمون زوراً بتدبير الحادث، وقد اثبتت الفحوص والتحقيقات أن النار قد اضرمت من داخل القطار لا من خارجه، وأن نوافذ القطار كانت عالية لدرجة لا يمكن معها سكب النفط من الأرض إليها. وقد نشرت الصحف المنصفة ذلك، وبينت أن حادث إحراق القطار والجرائم التي تلته بحق المسلمين كانت مؤمرة منظمة من قبل الهندوس المتطرفين ■

ني الذكرى العاشرة لهدم المسجد البابري

من ناحية أخرى شددت الحكومة
هندية من إجراءاتها الأمنية، حول
لمسجد البابري، بمناسبة الذكرى
عاشرة لتدميره، على أيدي متطرفين
ندوس، في ديسمبر عام ١٩٩٢م.

وقد نشرت القوات الهندية أكثر
ن ١٥٠٠ جندي، في محاولة لمنع
تظاهري الهندوس، من الوصول إلى
وقع المسجد، المتنازع عليه، حيث
جمع المئات منهم، منتهكين بذلك قرار
لحكمة العليا، التي أصبحت الجهة
لرسمية الموكلة بحل النزاع حول
لكية أرض المسجد، بين المسلمين
الهندوس.

والجدير بالذكر أن النزاع حول
لمسجد البابري، الذي يقع في أيوديا،
حدى مدن ولاية أتار براديش، كان
د خلف أكثر من ثلاثة آلاف قتيل من
لمسلمين، الذين حاولوا منع الهندوس
ن هدم المسجد، في العام المذكور.

وبينما يؤكد المسلمون أحقية
لكيتهم لأرض المسجد، الذي بني في
لقرن السادس عشر، يدعي الهندوس
ن المسلمين أقاموا مسجدهم، على
نقاض معبد لهم، دون إظهار أي دليل
لموس على ذلك، كما هو حال
صهاينة مع قصة هيكل سليمان.
يصف المسلمون في الهند، يوم
سادس من ديسمبر من كل عام
ه اليوم الأسود» إلا أن الهندوس

المتشددين يعتبرونه يوم نصر.

ويعد لال كريشنا أدفاني نائب رئيس الحكومة الهندية ووزير الداخلية، من أشد الهندوس المتعصبين الذين يدعمون مساعي مجلس الهندوس العالمي، في بناء معبد الإله رام المزعوم على أنقاض المسجد البابري، ولذلك فإن المسلمين في الهند لا يثقون بنزاهة الحكومة، كما جاء على لسان كمال فاروقي عضو اتحاد القانونيين المسلمين للدفاع عن المسجد البابري الذي قال: «الحكومة الحالية لا تريد أي فصل لصالح المسلمين حول قضية المسجد البابري تحت أي ظرف من الظروف». وبينما تدعم باكستان موقف الأقلية المسلمة في الهند، التي تصر على بناء المسجد البابري من جديد، يناشد مسلمو الهند، بقية الدول العربية والإسلامية، السعي من أجل الضغط على الحكومة الهندية، لصالح قضيتهم العادلة.■

استراتيجية شيشانية شتوية

وضع قادة المجاهدين الشيشان استراتيجية جديدة لمواجهة قوات الاحتلال الروسي، تعتمد على الاستمرار في الاشتباكات والمناوشات وعمليات التفجير في العاصمة جروزني وغيرها من المدن.

في هذا الإطار، تمكن المجاهدون من قتل عدد من الجنود الروس في العاصمة، وفي منطقة شالي وقعت مناوشات أخرى بين مجموعة من المجاهدين ووحدة روسية كان المجاهدون قد كمنوا لها بتفجير لغم تسبب في تعطيل آلية مدرعة وتضررها، ثم هاجمها المجاهدون بالأسلحة الرشاشة مما أسفر عن مقتل أربعة من الجنود الروس وإصابة آخرين منهم بجروح، وقد انسحب المجاهدون إثر تقدم وحدة أخرى من القوات الروسية لنجدة الوحدة الأولى.

إلى ذلك، نقل موقع «صوت القوقاز» على الإنترنت قول زوجة القائد الشيشاني الأسير الراحل سلمان رودابيف إنها زارته بعد طلب وإلحاح لفترة محدودة محاطة بعدد من الجنود الروس، وكان سليماً في مظهره الخارجي، ولا توجد عليه آثار مرض أو إرهاق، ولكن كان يشير إلى أنه يُعذب بين الحين والآخر.. كما ذكر شقيق رودابيف أن بعض المسؤولين في الاستخبارات أكد أن سلمان تُوفي على أثر نزيف داخلي بعد أن ضرب في مواضع عدة من جسده، وفقد وعيه حتى مات!.■

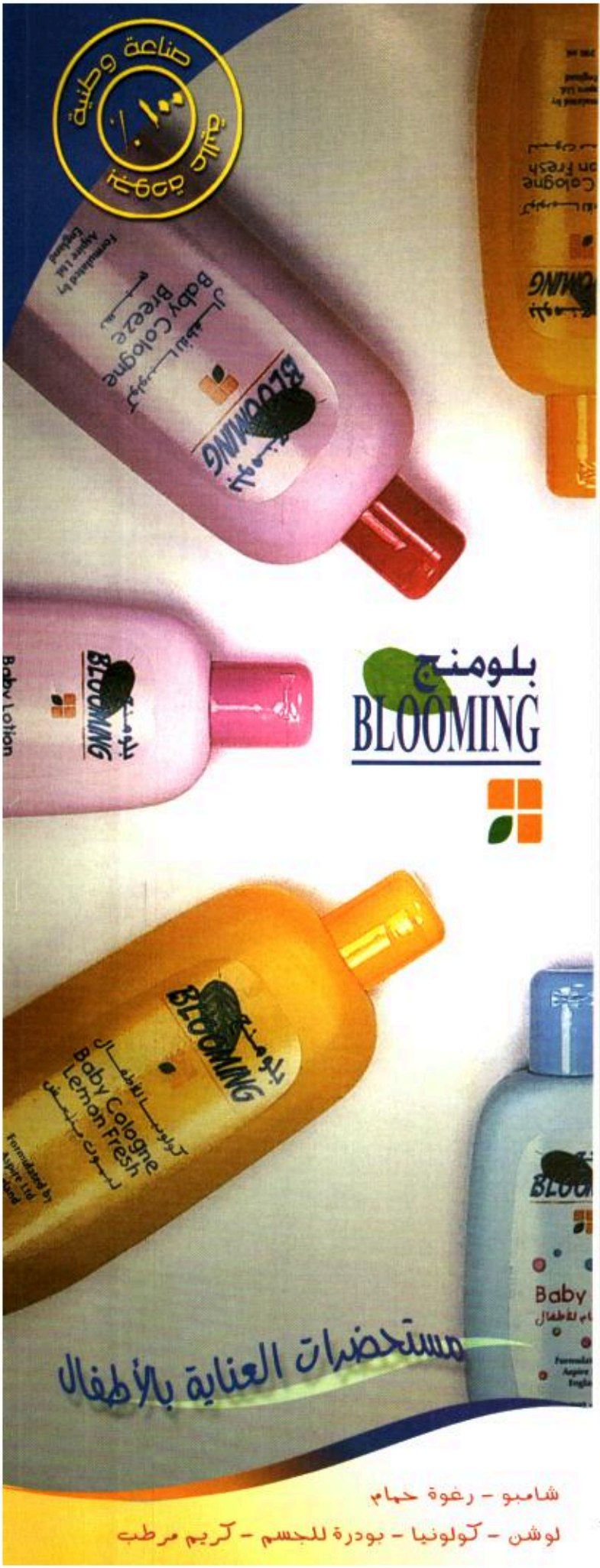

مستقبل مفاوضات السلام في مهب الريح.. والسبب جون جارانج

الخرطوم: محمد حسن طنون

يبدو أن السلام الحقيقي الذي ينشده السودانيون لوضع حد نهائي لأطول حرب أهلية في إفريقيا (١٩٥٥- ٢٠٠٢م) لايزال بعيد المنال.

لقد استبشر الجميع عند توقيع الحكومة وحركة التمرد الاتفاق الإطاري للسلام بتاريخ ٢٠ يوليو الماضي في مشاكوس ورحبت الحكومة أكثر المعارضين بالاتفاقية وتفاءلوا جميعاً بقرب نهاية المعاناة ولكن لم ينتبه الجميع لما قاله الناطق باسم المتمردين حين قال عقب توقيع الاتفاقية: الشيطان في التفاصيل!

منذ ذلك التاريخ لاحظ المراقبون أن قادة الحركة بمن فيهم المتمرد جون جارانج يدلون بتصريحات ويأتون بأقوال ويتحركون تحركات تكشف نواياهم الحقيقية وأنهم ليسوا دعاة سلام وإنما دعاة حرب لتحقيق أهداف لا تمت لقضايا السودان بصلة ولا تصب في مصلحة السودانيين وبالأخص الجنوبيون الذين يدعي جارانج سعيه لتحريرهم من «الاستعمار الشمالي»!

لقد تعلمت الحركة من اليهود الذين يدربونهم عسكرياً وسياسياً أسلوب «شيلوك» في قصة تاجر البندقية وتأهل جارانج جيداً لذلك الدور وتطبع بطباع اليهود بعد أن اعتنق دين النصارى البروتستانت وتربى في أحضانهم سنين عدداً.

أهم ما تعلمه جارانج ورفقاؤه هو التكيف حسب الأحوال، وإجادة فن المناورات ونقض العهود والمواثيق وتبديل الأقوال والأفعال بين حين وآخر لاسيما وأن الحركة ضمنت تماماً الدعم الأمريكي اللامحدود لها ومن وراء أمريكا دول الصليب المتحالفة معها في الإيجاد وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ودعم اليمين الأصولي المكون من نصارى البروتستانت المؤمنين بالعهد القديم واليهود في الكونجرس الذي أصدر قانون «سلام السودان»، هذا القانون العجيب الذي يتوعد الحكومة بتحقيق السلام المطلوب خلال ستة أشهر وإلا.. فالعقوبات الصارمة.

أبلغ دليل على أن تصرفات الحركة لا تشجع المضي قدماً نحو سلام حقيقي هو زيارة جارانج لمنطقة جبال النوبة بولاية جنوب كردفان والتحدث لمؤتمر ضم بعض أبناء جبال النوبة الذين وقعوا في حبال التنصير:

جارانج حريص على استمرار المعاناة

في هذا المؤتمر ألقى جارانج خطاباً أكد فيه أنه لا يسعى لسلام وذلك بوضعه شروطاً لايقبلها أحد إلا إذا أراد استسلاماً كاملاً للحركة، فما هذه الشروط؟

قال جارانج إن حركته ملتزمة بالحل السلمي من خلال مفاوضاتها مع الحكومة عند استئنافها في يناير في كينيا برعاية الهيئة الحكومية للتنمية ومكافحة التصحر (إيجاد)، لكنه أضاف أن المفاوضات لايمكن أن تسفر عن اتفاق سلام إلا إذا تمكنت من حل خمس قضايا هي:

١ - قضية جبال النوبة وجنوب النيل الأزرق ومنطقة أبيي وسط ولاية كردفان، وهذه المناطق لا تقع ضمن حدود الولايات الجنوبية إطلاقاً. ويعتبر جارانج أن جبال النوبة جزءاً لايتجزأ من حركته.

٢ - علمانية العاصمة القومية الخرطوم، أي عدم تطبيق الشريعة الإسلامية فيها مثل الولايات الجنوبية.

٣- وجود جيشين منفصلين خلال الفترة الانتقالية التي مدتها ست سنوات أحدهما جيش الحكومة والوطن والآخر جيش حركة التمرد ليكون صنواً ونداً لجيش السودان.

٤ - قضية الرئاسة.. كيف تكون؟

٥ - قضية توزيع الثروة: ٤٠٪ من موارد النفط للجنوب فضلاً عن نسبة ٨٠٪ من موارد السودان الأخرى وغير هذه المسائل مطالب أخرى تعجيزية واستفزازية كلها تخريب وتعويق لمفاوضات السلام ومن تلك ما قام به جارانج من إنشاء بنك مركزي وإصدار عملة خاصة في المناطق التي يحتلها وربما خرج لنا باسم لدولته التي ينشدها وعلمها ونشيدها الخاص.

إن زيارة جارانج ومعاونيه لجبال النوبة هي الأولى والأخطر من نوعها لتأجيج الصراع العنصري والقبلي وتفتيت وحدة السودان، وإطالة الحرب. لقد استغل جارانج واستثمر اتفاقية جبال النوبة التي تقضي بوقف إطلاق النار وحماية الأجنبي للمناطق التي تحتلها حركة التمرد وهي لا تتعدى الخمسة بالمائة ليسارع جارانج إلى هناك في وسط كردفان دون أن يخشى على حياته، أما قبل الاتفاقية فلم يفكر أبداً في زيارة المنطقة لأنه يعرف جيداً مصيره المحتوم هناك وسط الأغلبية الساحقة للمسلمين ولكنه وجد الفرصة تحت حماية الوجود الأمريكي ليحدث أبناء جبال النوبة عن عزمه تكوين سودان جديد من حلفا إلى نمولي بأقصى الجنوب، وما السودان الجديد الذي يحلم به المتمرد جارانج إلا السودان الخالي من العرب والمسلمين فهو في جلساته الخاصة يردد ما لقنه إياه أهل الصليب والنجمة السداسية وفحواه: فليخرج العرب من السودان كما خرجوا من الأندلس بعد خمسمائة عام.

ومن أقوال جارانج التي تجعلنا نجزم بأنه لا يسعى لسلام، ما قاله في جبال النوبة من أنه ملتزم بقضيتهم ولن يخذل أبناء النوبة الذين قاتلوا معه الشماليين ولن يصل إلى اتفاق مع الحكومة لقضيتهم ومن أخطر ما خرج به المؤتمر أنهم استغلوا وجودهم تحت الحماية الدولية وفوضوا حركة التمرد التحدث والمفاوضة باسمهم واتخذ المؤتمر قراراً يقضي بحق تقرير المصير لجبال النوبة وعدم تحكيم الدستور والقوانين المعمول بها في الشمال ومعاملته كالجنوب!

وتلقى جارانج في هذا المؤتمر بيعة فيليب عباس غبوش وهو قسيس نصره الاستعمار إبان الاحتلال البريطاني للسودان وصار معادياً للسودان، وحكم عليه الرئيس الأسبق جعفر نميري بالإعدام لقيادته حركة تمرد انفصالية ثم عفى عنه وفي عهد الأحزاب حوكم لاختلاسه ملايين الجنيهات ثم جاء في عهد الإنقاذ ليؤسس حزباً انفصالياً ومن المعلوم عنه أنه كان يزور الكيان الصهيوني دائماً.

والغريب أن المتمرد جارانج وجه نداء إلى القبائل العربية الموجودة في منطقة جنوب كردفان من حوازمة ومسيرية وشنابلة وفلاته وغيرهم باعتبارهم عنده أقلية يجب أن توفق أوضاعها وفق وضعه الجديد الذي يبتغيه ولكن الواقع أن منطقة جنوب كردفان منطقة تصاهر وتمازج وتواصل دون حواجز أو عوامل وأن الجبال شهدت قيام دولة إسلامية في القرون السابقة هي دولة تقلي العباسية فالمنطقة لها إسهامات وافرة في المسيرة الوطنية والإسلامية ولولا السياسة البريطانية التي جعلت من جبال النوبة مناطق مقفلة للتنصير لما كانت هذه المشكلة. ورغم أن اتفاقية جنيف لجبال النوبة قد فصلت قضية الجبال عن الجنوب إلا أن حركة التمرد تريد نسف جسور السلام خدمة للمخطط الصهيوني وأمريكا المتهودة.

وبعد الذي حدث ويحدث فإن السودانيين المخلصين من شماليين وجنوبيين باتوا لا يثقون في

جون جارانج ويعتبرونه مجرد رئيس عصابة احترفت القتل والنهب والسلب بجيش من المرتزقة تماماً كجيش الرب الأوغندي الذي تعتبره أمريكا منظمة إرهابية لأنها تحارب ضد النظام الأوغندي الذي ترضى عنه الولايات المتحدة في حين أن الإرهابي جارانج يتلقى كل الدعم والمساندة من أمريكا واليهود وكنائس أوروبا المتطرفة!

لقد تساءل المخلصون بقلق: ماجدوى الذهاب إلى واشنطن؟ لماذا نرسل وفد التفاوض إلى هناك استجابة لرغبة أمريكا التي لها تاريخ في مثل هذه الدعوات، كدعوة السادات في كامب ديفيد وعرفات في واشنطن لتوقيع اتفاقيات الذل والعار هناك بضغط رهيب من الولايات المتحدة؟.. السلام الأمريكي يريد نظاماً بديلاً للنظام الإسلامي القائم الآن وأمريكا ليست محايدة بل هي منحازة كلياً وعلناً للتمرد ويخشى أن تكون دعوة الحكومة ومعارضيها - الحركة والتجمع - لإملاء شروط معدة سلفاً تخدم الخط المناهض للمشروع الإسلامي في السودان تمهيداً لنصب (قرضاي) سوداني.. : وهناك احتمالات ثلاثة يراها الناس:

الأول: سلام أمريكي مذل.

الثاني: انفصال الجنوب عن الشمال.

الثالث: استمرار الحرب.

ويرى بعض الإسلاميين أن الاحتمال الأول لن يكون في وجود الدبابين والمجاهدين الذين قدموا أرتالاً من الشهداء من خيرة أبناء السودان ولذلك فالاحتمال الثاني يفضله البعض بحجة أن انفصالاً بسلام خير من وحدة بحرب ولكن هذا الاحتمال لايحقق السلام لأن حركة التمرد بعد الانفصال ستحرك جيوبها في الشمال لإثارة الحرب، وما الانفصال إلا مرحلة من مراحل الحركة للسيطرة على السودان كله.

إذن الاحتمال الأخير هو الأقرب في ظل التداعيات مادام الناس يرفضون اتفاقية تجهض المشروع الإسلامي وتقوضه من أساسه.

إيجابيات في صالح الحكومة

وفي حين شد وفد التفاوض الرحال إلى واشنطن وجهت الحكومة ضربة قاسية لحركة التمرد بنجاحها في تحقيق انسلاخ أبرز القادة الميدانيين لحركة التمرد والذي كان يشكل التهديد الرئيس لمناطق استخراج النفط في غرب النوير بالجنوب منهم قائد التمرد السابق بيتر قديت الذي وصل الخرطوم بعد حوار شاق وطويل ولكنه مثمر وتحالف مع الحكومة وانشق عن جارانج بعدما ظل يقود معظم العمليات العسكرية ضد الحكومة حول مناطق النفط مستهدفاً ضرب حقول البترول ورحيل الشركات الأجنبية خوفاً ورعباً. وبانضمامه للحكومة سيكون هو واللواء فاولينو ماتيب المتحالف من قديم مع الحكومة سنداً قوياً للجيش السوداني مما سيجعل حركة التمرد بعيداً عن حقول البترول ويبدد أحلامها بالسيطرة عليها.■

القمة الخليجية الثالثة والعشرين تدين الخطاب التحريضي ضد الكويت

انطلاق الاتحاد الجمركي العام القادم والعملة الموحدة ٢٠٠٧م

الدوحة: المجتمع

يبدو أن القمة الخليجية الثالثة والعشرين التي عُقدت في العاصمة القطرية الدوحة الأسبوع الماضي كانت على موعد مع الكارثة الثالثة التي تشهدها المنطقة كل عشرة أعوام، ففي عام تاسيس مجلس التعاون الخليجي ١٩٨١م، عُقد أول اجتماع للمجلس من أجل تشكيل نواة خليجية تتعامل مع الأخطار التي تواجه دول الخليج وخاصة الحرب العراقية الإيرانية - التي كانت قد اندلعت آنذاك - وآثارها الاقتصادية والأمنية.

ثم تكرر الأمر خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠م بغزو العراق للكويت، ووجود تهديد حقيقي جديد لأمن الخليج وبنيته السياسية والاقتصادية والأمنية مازالت مضاعفاته مستمرة.

ويأتي اجتماع القمة في العقد الثالث بالدوحة مع تزايد إمكانية اندلاع الحرب الثالثة التي ستكون هي الأخطر، حيث من المتوقع أن تغير الخريطة السياسية والاستراتيجية للمنطقة.

جاءت القمة مثقلة بخلافات خليجية حول بعض القضايا منها التعاطي مع الوجود الأمريكي في الخليج والتناول الإعلامي لبعض القضايا الخليجية، وهو ما انعكس على مستوى التمثيل في القمة إذ لم يحضرها سوى اثنين من الزعماء الستة، وهما أمير قطر رئيس الدورة الحالية، وسلطان عمان رئيس الدورة السابقة، وإن كانت الوفود نفت أي دلالة لغياب القادة الخليجيين عن الحضور، مؤكدة أن الأمر المهم هو عدم غياب أي دولة في الحضور. وكان أمير قطر أشار في الكلمة الافتتاحية له إلى ضرورة ألا يتأثر عمل مجلس التعاون الخليجي بأي خلافات ثنائية بين أعضائه، وأن القمة تعقد في ظروف غير عادية تواجهها المنطقة مما يتطلب توحيد الجهود والاتفاق على السياسات اللازمة لمواجهتها، مشيراً إلى أن مجلس التعاون الخليجي هو الصيغة الملائمة لتعزيز أمن دول الخليج وتحقيق استقرارها، وأضاف أن الوقت قد حان لتوسيع مجالات عمل المجلس وتطوير أداء مؤسساته في إطار حوار بناء يهدف إلى الارتقاء بالتعاون إلى مستوى التكامل لاسيما في المجالات الحيوية.

وقد قال وزير الخارجية القطري الشيخ

حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني: إن القمة لم تتطرق إلى أي خلاف داخلي بين دول المجلس.

وقد عكس البيان الختامي للقمة توقعات أبرز المتشائمين من التركيز على قضايا اقتصادية، والتطرق للقضايا الأمنية والسياسية بقرارات تقليدية مع عدم الإشارة من قريب أو بعيد للضربة المتوقعة على العراق، بينما أيد البيان حكومة أفغانستان وجهودها لإعادة الإعمار، وأكد على قرارات عربية وخليجية سابقة بإدانة إسرائيل، وضرورة تدخل المجتمع الدولي لحماية الشعب الفلسطيني، وإن لم يرد ذكر للانتفاضة الفلسطينية.

وقد أكد البيان الختامي رفض الخطاب الذي وجهه الرئيس العراقي صدام حسين للشعب الكويتي، على أساس أنه يخالف ما اتفق عليه في قمم عربية سابقة من التزام العراق بسيادة الكويت واحترام أراضيه واستقلاله وعدم تهديده، كما تطرق البيان إلى ضرورة العمل على وحدة واستقلال العراق، وتمنى أن تنتهي أزمته بالطرق السلمية، مع الإشادة بالمرونة العراقية في التعاطي مع القرار ١٤٤١ وتعاونه التام مع فرق التفتيش الدولية، وطالب هذه الفرق بالحيادية، والعمل بمهنية عالية في ممارسة نشاطها في العراق.

ومثلت القرارات الاقتصادية ذروة النجاح، إذ قرر المجلس البدء في تدشين الاتحاد الجمركي بين دول المجلس الست في الأول من يناير القادم، مع توحيد الرسوم الجمركية المفروضة على السلع المستوردة، التي يتم تداولها في أكثر من دولة، وتحديدها بنسبة خمسة في المائة، وكذلك تحديد تاريخ العام ٢٠٠٧م موعداً لانطلاق العملة الخليجية الموحدة، كما قرر دراسة مقترح قطري بمد شبكة أنابيب تجمع بين دول مجلس التعاون الخليجي، وتنتهي عند نقطة تصديرية واحدة في بحر العرب بسلطنة عمان.■

بعد ١٥ سنة من ميلادها

حركة حماس .. إلى أين؟

أصبحت مركبات حماس الثلاث: الإسلام والرفض والمقاومة المعبر الحقيقي عن نبض الشعب الفلسطيني

تتجاوز رؤية الإسلاميين للصراع الأدوار القطرية والعالمية وتعطيه صبغة حضارية، بحيث يصبح تحرير الأرض والإنسان جزءاً من الصراع.. وليس كل الصراع

من المفيد ونحن نخوض أقسى معركة مع الاحتلال الصهيوني، وفي ظل اختلاف المعادلات والظروف إلى درجة التناقض، أن نعرّج على انطلاقة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» التي جاءت متزامنة مع الانتفاضة الأولى وكأنها جزء منها، فكلاهما أثر على الآخر وتفاعل معه وأنتج معادلة جديدة مع الاحتلال، وكلاهما معبّر عن تغير في الوعي ضد الاحتلال بدأ منذ سنة ١٩٨٧ ولم يتوقف حتى اللحظة، وإن أخذ منحنيات في الصعود والهبوط وفي الأوهام والحقائق.

إبراهيم أبو الهيجا(*)

ibrheem2022@hotmail.com

الآن.. وصلنا إلى نقطة صعود ولحظة صدق معاً، الصدق بنهج المقاومة والصعود في أدائه، والأهم الصعود في الملتفين حوله لدرجة أصبح فيه خيار المقاومة خيار الإجماع، لأنه غدا الإمكان الوحيد للتحرير، لذا لا يمكن لباحث جاد مهما أوتي من العلم أن يتحدث عن كل تلك المتغيرات دون أن يمر أولاً على فهم لحركة مركزية مثل (حماس)، التي كانت ولا تزال قوة رئيسة في الانتفاضة والمقاومة، ولفهم حماس بعد ما يقرب على خمسة عشر عاماً من انطلاقتها، لا بد من قياس مركباتها الثلاث التي تميزت بها:

١. فلسفة الصراع القائمة على الفهم الإسلامي للقضية الفلسطينية ضمن المشروع الحضاري الكبير.

٢. أداء المقاومة المرتبط ببقاء الاحتلال والمستمر حتى زواله عن آخر شبر من الأرض.

٣. الرفض والمعاندة لخيار التسوية والحلول المرحلية أو الطروحات النهائية لحل القضية الفلسطينية، وما ترتب عليها من استحقاقات أو مفاوضات كونها تقوم على موازين مختلة ومعايير ظالمة ولا تتعاطى مع الأمور من منظور الحقوق الثابتة بل من خلال ما يتحصل من القوة الواقعة.

هذه المركبات الثلاث، لم يكن ممكناً قراءتها في ظل وهج التسوية وما رافق ذلك من غبش وخداع، أما الآن وبعد سقوط تجربة أوسلو بشكل عملي، توضحت الصورة وأصبحت مركبات حماس الثلاث: الإسلام والرفض والمقاومة، المعبّر الحقيقي

(*) كاتب وباحث فلسطيني

إذا كان المتاح شرعياً يعطي حماس سياسة لطرح هدنة أو إيقاف مؤقت للمقاومة فذلك في إطار الثوابت والرؤى دون أي خروج عنها

عن نبض الشعب الفلسطيني ووعي الأمة العربية والإسلامية، بل إن ثمة ظاهرة مهمة تعبّر عن ذلك تتمثل بانتقال العديد من معسكر المؤيدين للتسوية إلى نهج الرفض والمقاومة وهذه وحدها دلالة بالغة على ما نذهب إليه، أما التسوية وما أفرزته فقد توضحت في محادثات كامب ديفيد! أما تجربتها التفاوضية خلال عشر سنوات فهي شاهدة على عقمها، بل إن معطياتها المتناقضة أحدثت انعكاسات وأخطاراً لا يزال يعاني منها الشعب الفلسطيني.

ورغم هذه الصورة الجلية إلا أنه من المهم الغوص أكثر في تساؤلات المخالفين أو حتى المناقضين لما تؤمن به حماس، ومن الممكن أن نحصرها في ثلاث قضايا:

١. ضرورة أن توقف حماس عملها العسكري وتحديداً عمليات العمق.

٢. ضرورة أن تنسى حماس شعاراتها المثالية أو اللاواقعية بتحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

٣. ضرورة تحول حماس من الدورالجهادي إلى الدور السياسي من خلال أو تحت عنوان (المعارضة الإيجابية الفاعلة) لكي تمارس دوراً في تشكيل السلطة والحصول على مكاسب في الشرعية ومشاركة في الحياة السياسية، يمكّنها من أن تكون حركة متفاعلة مع محيطها الداخلي والإقليمي وحتى الدولي، وبما يمكّنها من حماية نفسها والالتفات إلى تطوير ذاتها وحماية أبنائها واستقطاب المزيد من الأنصار في أجواء الراحة والأمن.

جملة هذا الخليط من النصائح والتحذيرات هي ذاتها عناوين تلاحق حماس في كل محطة أو أزمة أو فعل مميز، مما يستدعي منا مراجعة في مجمل أدبيات ومواقف حماس لقياس معطيات واختبار فرضيات (الرفض والمقاومة والمعارضة) ـ والتي تشكل مثلث حماس الذهبي ـ لكي نقف على حقيقة الأمور ونخوض في تساؤلات مهمة من قبيل:

هل المطلوب من حماس إعادة قراءة نفسها مثلاً؟ أو تطوير فلسفتها، أو التخلي عن برامجها وشعاراتها؟

رؤية للصراع

من الملاحظ أن (الإسلاميين) وتحديداً حماس يتميزون برؤيتهم المختلفة للصراع ويتجاوزون الأدوار القطرية أو العالمية، ليعطوا للصراع صبغة حضارية بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد وأشكال، بل إن ذات الرؤية تتجاوز تحرير الأرض والإنسان معتبرة إياها جزءاً من الصراع، لا كل الصراع، فالرؤية تتعدى ذلك وتتحدث عن رؤية جامعة للصراع ضمن منظومة كونية تؤسس لمشروع حضاري إسلامي، فالصراع لدى حماس يتجاوز الرؤى الحزبية الضيقة أو الوطنية المحدودة أو حتى الإسلامية السطحية أو المعتزلة أو الجبرية، تتحدث عن مشروع متكامل معتبرة فلسطين ليست فقط أرضاً باركها الله، بل هي أيضاً مركز الصراع الدولي، فهي مهبط ومنطلق الديانات والرسالات ومبعث الحضارات وبالتالي تجمعت عليها مجمل الاستراتيجيات القديمة والحديثة.

وتبرز على خلفية هذه النظرة، جملة تساؤلات نلخصها بالتالي:

الأول: أين تقع المقاومة في أجندة الصراع، وبالتالي من الغايات والوسائل؟

كما تبين فإن الإجابة قد تختلط على كثير من الباحثين، فالمقاومة هي وسيلة لذات الصراع، ولكن جملة العوامل التاريخية والسياسية والحضارية بل والأفعال الصهيونية الواقعية، تجعل من المحتوم على حماس أن تكون المقاومة في الأولويات الاستراتيجية للصراع، وهي تقترب ـ أحياناً ـ من أن تكون الهدف لتحقيق الردع وإشعار العدو باستمرار المقاومة وخلق دائرة مستمرة من التفاعل ينتقل أفقها إلى الإقليم ومن الإقليم إلى العالم لكي تبقى القضية الفلسطينية في دائرة الاهتمام والمركزية.

الثاني: هل تعقيدات الصراع تحتمل القبول بالحلول المؤقتة؟

حماس ـ كما يبدو ـ بالإجمال لا تسلم نهائياً بسلطة المحتل على شبر من الأرض ولئن تأخرت السنوات أو تقدمت أو تعاقبت الأجيال، فستبقى حماس كما يبدو تتبنى القول بأحقيتها في مجمل الأرض ... لأن الأبعاد أكبر من ذات الأرض. أما طروحات الهدنة أو الإيقاف المؤقت للمقاومة فنستطيع بسهولة أن نفهم أنها تصب في فلسفة حماس للصراع ولا تنحرف عن ثوابتها، فالمتاح الشرعي يمكّن حماس من مرونة سياسية، لكنها تبقى محفوظة في ذات الثوابت والرؤى وهي تطرح ذلك لهدف وتوقيت ومصلحة.. أما الاجتهادات في كيفية التفاعل مع المرونة الشرعية السياسية المتاحة، فلا تعني وجود خلافات لأنها ببساطة لا تنحرف عن الثوابت المحددة سواء في فهم الصراع أو تحصيل الحق ونهايته.

الثالث: حماس.. تقاوم أم تصارع الاحتلال؟

رغم أن الرؤية القرآنية تشكل الذهنية المسلمة في النظرة إلى اليهود، فالعداء مع «دولة إسرائيل» لا يقوم على كونهم يهوداً، حماس في رؤيتها للصراع تنطلق أساساً من كونهم محتلين غاصبين، كما أن الشواهد الإسلامية التاريخية المتعاملة مع ذات اليهود كانت متميزة وحسنة، ولكن لما كان الصراع ذا طابع صهيوني بألوان يهودية، مضافاً إليه استعراض التاريخ وفهم خلفياته، فإن ذلك يجعل العامل الديني متشكّلاً في الوعي الإسلامي ... فإن كانت حماس لا تقاتل اليهود كونهم يهود ... فهذا لا ينفي أن الصراع غدا خليطاً من عوامل

الدين والتاريخ والمصالح في إطار حضاري كلي.

الرابع: هل موازين القوى وتعقيدات القضية تجعل من حماس حركة قادرة على التصدي للصراع؟

حماس كما تظهر لا تدعي أنها قادرة بإمكاناتها للتصدي لحجم الصراع، فهي حركة مقاومة على طريق التحرير، و التحرير برؤيتها يجب أن يكون متكاملاً مع الأبعاد العربية والإسلامية... وموازين القوى لدى حماس (غير ثابتة)، مستندة في تحليلها على شواهد التاريخ وحقائق الغلبة فيه، لكن رجحان موازين القوة لصالح الكيان الصهيوني، لا يجعل حماس تتنازل عن ثوابتها لكي تسلك سلوكاً يجاري عامل القهر والجبروت، لكنها تصبر وتقاوم، تتمسك بحقها وتقدم واجبها وتنتظر الفرصة المناسبة لتحقيق النصر معتبرة نفسها قوة مركزية فيه ومحوراً محركاً لفاعليه القطرية والأممية ـ العربية والإسلامية.

الخامس: كيف تستطيع حماس أن تحل التناقض ما بين المقاومة التي تخل عملياً بالتزامات السلطة وواجبها الملتزم بالاستمرار بالمقاومة؟.. أي كيف يمكن التوفيق بين استراتيجية الوحدة الوطنية والحفاظ على الدم الفلسطيني ووجوب استمرار المقاومة المتناقضة عملياً مع هذه الرؤية؟

حماس في سلوكها ورؤيتها تعتبر ذلك تعارضاً وليس تناقضاً، وهي كما تبدو تريد أن تخلق حالة من الأمر الواقع بين متعارضين (المقاومة والوحدة) من خلال استمرار المقاومة، تحمل الأذى تريده حماس في سبيل الوحدة وحرمة الدم، و يساعد في ذلك إجراء حوار ميداني دائم يخفف من حالة الاحتقان والمحاصرة في آن واحد ... وكما يبدو فإن حماس تريد تكريس نموذج (الجيش الأيرلندي) من خلال الفصل بين الجسم السياسي المعبر عن السياسات والاستراتيجيات، والجسم العسكري صاحب الأداة والتنفيذ، مما يمكن حماس من إبقاء ورقة المقاومة بيدها دون تناقض مع الوحدة .. وهي كذلك تسعى أن تصل إلى حالة (النموذج اللبناني) أي حيث تعتبرها السلطة الحاكمة حركة مقاومة من حقها الدفاع عن تحرير باقي الأرض المحتلة، بذلك من الممكن أن تحل التعارض المفترض، فإن لم يتحصّل ذلك، بقيت حماس تتحمل الأذى وتوجه بنادقها نحو المحتل حتى تتطور الفرصة لتصبح حالة الانسجام هي القائمة، وترافق ذلك حالة حوار دائمة تخفف المتعارضات وترتفع فوق الجراح.

ثنائية الرفض والإصلاح

هنا إشكالية تحليلية تتعلق بالرفض الذي تمارسه حماس ضد أوسلو والدور الإصلاحي الملقى على عاتقها، وبين أن تكون معارضة سياسية تؤثر على الفعل السياسي الفلسطيني وحركة مقاومة مطلوب أن تبقي وتيرة الصراع متفاعلة.. ويترتب على ذلك تساؤلات مهمة تطرح دائماً على حماس بخصوص إشكالية التحرير والبناء مثل: لماذا لا تحل حماس التعارض وتتخلى عن المقاومة إلى حين وتمارس المعارضة الإيجابية من داخل السلطة مشتركة في عملية بناء الوطن ومؤسساته؟

رجحان موازيين القوة في وقت ما لصالح العدو لا يجعل حماس تتنازل عن ثوابتها .. هي تصبر وتقاوم

توقيع اتفاقية أوسلو

حماس كما يبدو تفضل أن تسمي نفسها حركة رفض لا حركة معارضة، لأن المعارضة تستلزم تداول السلطة والمشاركة في آلياتها، صحيح أن حماس تمارس دوراً إصلاحياً في المجتمع، وقد يظهر للبعض أنها تريد الوصول للسلطة، ولكن الواقع يخالف ذلك فالمرحلة الحالية واستحقاقاتها السياسية وأمانة الصراع وأثقاله، وما تتحمله حماس يحتم عليها أن تكون حركة رفض وتصد ومقاومة إلى جانب دورها الإصلاحي، فثنائية (الإصلاح والمقاومة) لا يمكن فصلها عن بعضها البعض، ولا يجوز أن تكون واحدة على حساب الأخرى، لأنهما تؤثران على بعضهما البعض وتساهمان في تحقيق الأهداف الكلية من أسلمة المجتمع إلى طرد المحتل ولن تكون هذه دون تلك، لذا لابد من ممارسة الاثنتين معاً، كل ذلك يجعل مقارنة حماس بمثيلاتها من الحركات الإسلامية، مقارنة خاطئة لا تقرأ واقع ومهمات وأمانات حماس المختلفة عن غيرها، مع أننا نرى أن مركزية القضية الفلسطينية يجب أن تكون أولويات مجمل الحركات الإسلامية، ولكن لحين حدوث ذلك، فإن المطلوب من حماس هو دون شك أكبر لأنها في موقع الحدث وفي دائرة الاحتكاك.. أما الحديث النظري عن عجز حماس عن تقديم برامج سياسية محددة فهو غير صحيح لا على المستوى السياسي ولا الإداري... فوثائق وطروحات حماس تتحدث عن أشياء محددة: نوقف قتل المدنيين مقابل كذا وكذا، نقبل بهدنة ما مقابل كذا وكذا، نرى في إصلاح الوضع كذا وكذا؟ بل إن لحماس رؤى في إعلان الدولة وحتى في القانون الأساسي، مع أننا لا نقع بوهم يقول إن وجود برنامج سياسي هو الإشكال، فكم من أحزاب كتبت مجلدات، ولكنها لم تقدم قطرة دم أو سدت رمق جائع، والواقع أحياناً قد يكون أقوى من البرامج النظرية.

وفي ضوء فهم حماس لهذا الرفض تبرز جملة تساؤلات مهمة أيضاً:

١ـ هل تسعى حماس لإفشال أوسلو وإسقاط ما أتت به السلطة؟

من الواضح إن حماس ترفض اوسلو بالكلية وهي دون شك تسعى لتأكيد فشله سياسياً، و هي لم تتوان يوماً في بيان عيوبه وأخطاره، ولكن حماس تريد إفشاله دون اللجوء إلى عنف، أو تصادم مع استراتيجية الوحدة، أو حرف للصراع عن تناقضه الرئيس مع العدو الصهيوني. ويبدو أن لدى حماس تفريقاً ذكياً يحسب لها، بين ما ترفضه من استحقاقات والفرح لإيجابيات مثل الانسحاب من شبر من الأرض رغم رفضها المبدئي للصفقة ككل أو الثمن المدفوع أو المستحقات المترتبة أحياناً والتي تمس حماس مباشرة.. وكذا لم تظهر حماس حتى الآن أنها تريد تعطيل انسحاب ما أو إحراج أحد ما أو تهديد سلطة أحد أياً كان، وقراءة موضوعية لمجمل أعمالها العسكرية يظهر بوضوح إلى أي حد هي ذكية في تحقيق ذلك، والجمع بين المتعارضات رغم أنها تدفع الثمن في كل مرة.

وبالإجمال فإن رؤية حماس لاتفاقات أوسلو تتأكد اليوم صحتها لما نراه من تبدل المواقف تجاه التسوية وبالتالي تجاه ممارسة المقاومة وإعادة تعريف الاحتلال

٢ـ لماذا لا تشترك حماس في المفاوضات النهائية.. أو تقدم بدائل تفاوضية؟

حماس تدرك أن الأمور التفاوضية وصلت إلى نقطة لا يمكن السلطة من العودة إلى مشروع يتناسب مع أدنى متطلباتها ناهيك عن إدراكها الكلي للصراع أو رفضها للتسوية أو تحكم موازين القوى فيها، وما يترتب على ذلك من فهم لما سيعطيه العدو من فتات ولعل مفاوضات كامب ديفيد شاهد حي على ذلك، وعليه فإن تقديم البدائل والمقترحات لن يقدم أو يؤخر، فهو حديث نظري يحاول تسجيل النقاط وتوريط حماس ومحاولة للتشويش على نضالها ليس إلا .. والانتفاضة الحالية ومواقف الشارع الصهيوني تصدّق كل ذلك.

٣ـ استمرار حماس في المقاومة ـ برأي البعض قد يحطم منجزات السلطة ويعطي الفرصة لشارون لكي يستمر بالعدوان ويهرب من استحقاقات التسوية والتساؤل هنا: لماذا تستمر حماس في هذه السياسة المدمرة ولا تتبنى

سياسة أكثر «واقعية» أو أقل ضرراً؟

كما نقرأ، فإن حماس رغم دورها الإصلاحي والمقاوم في آن واحد، لا ترى نفسها ملزمة بتبني سياسة بديلة غير القائمة، لأن الرؤية قائمة على موازين ظالمة مما يجعل الحلول والرضا بهذا الواقع، انسياقاً مع واقع ظالم، لا مع حل عادل، وهي ترى أن تمسكها بالإصلاح والمقاومة هو الأسلم في الحفاظ على الحقوق، لأنها لا تفهم الصراع وكأنه لحظة زمنية بل إنها تدرك أنه طويل ومعقد ويحسم بالتراكم، لكنها إضافة إلى ذلك تتمسك بالأمل والنصر المحتوم بناء على بشائر دينية وقراءة تاريخية، كما أنها تدرك جيداً ضمن القراءة المنطقية لطبيعة الاحتلال انه لن يتوقف عن كل إشكال الاحتلال والعدوان مهما قدم من وعود وقطع من مواثيق، وتجربة أوسلو مرة أخرى دليل على ذلك فالاستيطان تعاظم وحالة القتل والاستهداف ما زالت مستمرة، وهي تطول الآن الجميع دون تفريق مما يعني أن استمرار المقاومة أو توقفها لن يؤخر أو يقدم شيئاً جديداً، ناهيك أن استمرارها كما يبدو هو الحل الوحيد لتحقيق توازن الرعب، أما المراهنة على أدوار أمريكية تقترب من الحياد فقد ثبت بطلانها وحتى الدول الأوروبية في لحظات الحسم تجد نفسها مع الموقف الأمريكي، فثمة استراتيجيات تحكم كل هؤلاء فلماذا التعويل على أوهام أن الرأي الدولي قادر على إنصافنا أو أن فوز حزب أو اتجاه كفيل بإعادة حق واحد لنا؟ ومع كل هذه الرؤى، إلا أن حماس مارست في مرات كثيرة حالات ضبط النفس، وفي كل مرة ثبت أن وقف المقاومة أو غيابها لا يعني شيئاً لاحتلال مؤسس على العدوان، ورغم كل التنازلات من أهل التسوية ماذا جنينا؟

رفض استحقاقات أوسلو لا يعني عدم القبول ببعض إيجابياتها كالانسحاب من أي مكان من فلسطين، رغم الرفض المبدئي للصفقة ككل

الإجابة: ما نرى من مواقف وأعمال لا تنظيرات وأوهام.. فلماذا لا نعترف مرة واحدة.. بدل أن نجعل المقاومة في كل مرة الشماعة التي نحملها كل الخطايا والآثام.

مثالية التحرير

والأمر يتعلق هنا بالمثالية التي تطرحها حماس حينما تتحدث عن تمسكها بتحرير كامل فلسطين، وكأنها لاتقرأ ما يحيط بنا من ظروف ومعادلات دولية والأهم أنها لا تقيس الحالة العربية المتردية وبالتالي موازين القوى السائدة، ناهيك عن أن إسرائيل ووجودها أصبح مقّراً به وبتوقيع فلسطيني وباعتراف عربي وإسلامي.. فالسؤال الذي يبرز هنا:

على ماذا تراهن حماس عندما تتحدث عن إمكانية تحرير فلسطين من البحر إلى النهر؟

من خلال قراءتنا لأدبيات حماس المستندة للرؤية الإسلامية سواء لطبيعة الصراع أو العدو أو التفاؤل بنتائج الصراع والإيمان الكبير بالنصر، كل ذلك انتج إرادة قوية وصلبة وإيماناً عميقاً وثقة بالنصر عبّرت عنه مقاومة حماس، وهذا بالتالي هو السر الكبير الذي يكمن خلف المقاومة المستمرة، لكن لم تكن الإرادة فقط أو الإيمان بالحق الدافع الوحيد عند حماس لتحقيق التحرير والنصر رغم أنها أساسية، بل لعب في تكوين ذلك عوامل أخرى أهمها:

١. الشواهد التاريخية: التي تعلمنا أن الاحتلال والاستعمار لا يمكن القضاء عليهما إلا من خلال نهج مقاوم طال الصراع أم قصر بل إن نتائج كل الثورات كانت إيجابية لصالحها ولكن المسألة تحتاج إلى زمن وصمود وإصرار.

٢. القراءة الموضوعية لطبيعة العدو الصهيوني: فرغم الصورة المتشكلة عن طبيعة غدره وخوفه وشدة عدائه إلا أن الكثيرين حاولوا التشكيك بتلك الصورة، حتى جاءت التجربة اللبنانية فوضعت النقاط على الحروف ودللت على أن العدو من الممكن هزيمته، وبذلك حسم الموقف لصالح نهج المقاومة كنهج قادر على إثخان العدو ودفعه إلى التراجع والانسحاب وبرأينا أن الانتفاضة شكلت نقلة نوعية في الأداء والإثخان قادرة على دفع العدو للتراجع والانسحاب بل إن طروحات الفصل الأحادي الجانب، التي يتحدث عنها أقطاب اليمين واليسار الصهيونيين على السواء، هي تعبير عن الهزيمة ولو بشكل آخر.. ثم ألم تكن الانتفاضة الأولى دافعاً للصهاينة لكي يطرحوا الانسحاب من غزة؟ ولولا أوسلو وما جاءت به من أثمان بخسة لأنتجت الانتفاضة الأولى إنجازات أهم وأكبر من ذلك. طبعاً ندرك أن الحديث عن حدود ١٩٦٧ غير تحرير أراضي ١٩٤٨ فالحديث عن النصر الكلي يتطلب تفاعلاً بين الدوائر الثلاث (العربية والإسلامية والفلسطينية)، ولكن لا يمكن إحداث مثل هذا التفاعل إلا بالارتكاز على مقاومة فلسطينية تستنزف العدو بالداخل وتهيئ الأرض لهزيمته.

٣. التجربة العملية وما تبعها من حلول مرحلية واقتراحات للقضايا النهائية: فقد ثبت وهم إمكان التسوية حتى في الحلول المطروحة من أهل التسوية أنفسهم، فأقصى ما يطرحه المعتدلون من اليسار الصهيوني لا يلبي أقل ما يقبله الراضون بالتسوية من الفلسطينيين، إذن، فلا إمكانية واقعية للحل، وحتى لو فرضت الحلول فلن تكون هناك بيئة صالحة لاستمرارها بسبب الوقائع الاستيطانية والاحتلالية المعقدة التي هي قادرة على إفشال أي حل، ناهيك عن أن المحتلين بالعادة لا يتخلون بسهولة عن أطماعهم وأساليبهم وكلما وجدوا الفرصة سانحة عادوا إلى طبائع الظلم التي أقاموا عليها دولتهم وإذا كان الحديث يصدق مع أي احتلال فما بالك بمحتل تشرب من أوهام التوراة المغلوطة وأحاديث الأحبار والتلمود المكذوبة!

إذن.. فمؤشرات المقاومة آخذة بالصعود ومنحنى التسوية آخذ بالسقوط، والاحتلال مثخن بالجراح ويتم المشهد التجارب القديمة والحديثة، ناهيك عن إيماننا الواثق بالنصر بعد أن تعد العدة ويبذل في سبيل ذلك كل جهد، مما يعزز إمكانية التحرير أولاً وواقعية المقاومة ثانياً وحتمية النصر ثالثاً - بإذن الله.

أخيراً وليس آخراً

التساؤلات كثيرة وهي تطرح مع الأزمات والمنعطفات، لذا حاولنا من خلال هذه المقالة تقديم إجابات حسب قراءتنا لرؤية وسلوك حماس، لنقدم بذلك إسهاماً يثري النقاش الدائر عن حماس، ونقدم ردوداً تحل الخلط والتعارض أو ما يتوهمه البعض من تناقض، تزخر به المقالات والتحليلات، التي إما تقرأ الأمور قراءة سطحية أوغرضية، والمطلوب أولاً وأخيراً القراءة الموضوعية والفهم العميق بعيدا عن ضغوط الأزمة أو إلحاح التساؤلات أو الانسياق مع الشبهات، ولكن رغم ذلك فلاشك أن حماس في ذكرى انطلاقتها الخامسة عشرة، تثبت للجميع صدقية منهجها وصلابة أدائها ومدى مسؤوليتها وحرصها، كل ذلك أنتج نجاحاً لها والتفافاً جماهيرياً حولها، رغم أن هذا النجاح يوظف اليوم من قبل الأمريكان لكي يثيروا بين أبناء الشعب الفلسطيني الفرقة والفتنة، مدعين أن حماس ترغب في سلطة أو نفي الآخر، مع أن التجربة والمنهج يدللان على أن حماس تتمسك بأمانة الصراع ومسؤولياته وليس البحث عن مناصب دنيوية أو منافع ذاتية، ولعل ظاهرة الاستشهاديين تؤكد ذلك دون شك.■

الحركة الإسلامية في فلسطين ١٩٤٨ تدعو لمقاطعة انتخابات «الكنيست»

عاطف الجولاني

قررت الحركة الإسلامية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، برئاسة الشيخ رائد صلاح، بصورة رسمية، مقاطعة انتخابات (الكنيست) السادسة عشرة في تاريخ الكيان الصهيوني، المقرر إجراؤها في ٢٨ يناير٢٠٠٣م، وصدر القرار عن مجلس شورى الحركة الذي اجتمع في ٢٠٠٢/١٢/١٩م لمناقشة القضية.

وقال الناطق باسم الحركة الشيخ هاشم عبدالرحمن: إن القرار اتخذ بعد أن اقتنعت الحركة بأن (الكنيست) ليست هي السبيل الذي يصل من خلاله العرب في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م إلى حقوقهم، كما أنها ليست السبيل الذي يقود الشعب الفلسطيني إلى الحصول على حقوقه. الجديد في قرار الحركة الإسلامية، هو دعوته الجمهور إلى مقاطعة الانتخابات، بعد أن كانت تكتفي فيما مضى بالمقاطعة، دون توجيه مثل هذه الدعوة للجماهير العربية. وتعدّ الحركة الإسلامية القوة الرئيسة داخل ما يسميه الإسرائيليون «الخط الأخضر»، وتحظى بحضور جماهيري واسع.

وكان الموقف من المشاركة في انتخابات (الكنيست)، سبباً قبل سنوات في انشقاق الحركة إلى جناحين، أحدهما يؤيد المشاركة، بحجة أنها وسيلة لتحصيل الحقوق الفلسطينية، وقاد هذا الجناح، الذي ضعف بصورة كبيرة، الشيخ عبدالله نمر درويش. فيما كان الجناح الآخر والأكبر بقيادة الشيخ رائد صلاح يعارض بصورة مطلقة المشاركة في انتخابات (الكنيست)، وقد استقطب هذا الجناح غالبية كوادر الحركة، وتنامت قوته في السنوات الأخيرة. وقد تمكنت الحركة من تنظيم مهرجان حاشد في مدينة أم الفحم حضره أكثر من ٦٠ ألفاً، فيما يعجز أي من الأحزاب والقوى العربية الأخرى عن جمع مئات قليلة من المؤيدين.

ويشترك مع الحركة الإسلامية في موقف المقاطعة للانتخابات، تنظيم قومي علماني هو «حركة أبناء البلد» الذي قرر أن يشن حملة للدعوة لمقاطعة الانتخابات. وقال رئيس الحركة محمد أسعد كناعنة: إن الجمهور العربي مصاب بخيبة أمل من قياداته الحالية، وهو في الوقت نفسه لا يثق بالأحزاب الصهيونية.

ويتهم معارضو المشاركة الأحزاب والشخصيات المؤيدة للدخول، بأنها تسعى إلى «تهويد» و«أسرلة» الفلسطينيين، وتذويب هويتهم في المجتمع الصهيوني، في حين أن الواجب يقتضي أن تكون الأولوية لعمل الأحزاب العربية،

الأحزاب العربية تخوض الانتخابات بأربع قوائم.. وتوقعات بنسب مشاركة منخفضة لفلسطينيي ٤٨

هي الحفاظ على الهوية الفلسطينية العربية من الضياع.

انقسام وتشرذم

ومقابل دعوات المقاطعة التي أطلقتها الحركة الإسلامية وحركة أبناء البلد، يصرّ عدد من الأحزاب والشخصيات العربية على المشاركة في انتخابات (الكنيست) المقبلة على الرغم من علمهم الأكيد بأن وجودهم فيها لن يكون له تأثير يذكر على القرار السياسي الصهيوني.

وينقسم هؤلاء إلى قسمين: قسم قرر خوض الانتخابات من خلال الأحزاب اليهودية، وهؤلاء جاءوا في مواقع متأخرة على قوائم مرشحي تلك الأحزاب، فقد احتل مجلي وهبة الموقع (٢٢)، وأيوب قارا الموقع (٤٠) على قائمة حزب الليكود، فيما احتل غالب مجلي الموقع (٢٠)، وصالح طريف الموقع (٢١) على قائمة حزب العمل، واحتلت حسنية جبارة الموقع (١٠) في قائمة حركة ميرتس. وغالبية الذين يخوضون الانتخابات عبر الأحزاب الصهيونية هم في العادة من الدروز.

أما القسم الثاني من المشاركين، فهي قوائم الأحزاب العربية، وهي أربعة قوائم هي:

١ ـ القائمة العربية الموحدة: وتضم كلاً من عبدالمالك دهامشة، وسلمان أبوأحمد، وإبراهيم العمور عن الحركة الإسلامية ـ الجناح الآخر. وطلب الصانع من الحزب الديمقراطي العربي، ومحمد كنعان من الحزب العربي القومي.

٢ ـ قائمة (حداش): وتضم محمد بركة، ودوف حنين،وعصام مخول، وتغريد منصور، ويوسف عطاونة، من الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، وأحمد الطيبي من الحركة العربية الوطنية.

٣ ـ التجمع الوطني الديمقراطي: ويضم عزمي بشارة، وجمال زحالقة، وواصل طه.

٤ ـ التحالف الوطني التقدمي: هاشم محاميد.

وترشح استطلاعات الرأي المرشحين العرب، للحصول على نحو ١٠ ـ ١٢ مقعداً في (الكنيست). ومن المفارقات التي تشير إلى أن الانحراف متى بدأ لا يتوقف عند حدّ، أن توفيق الخطيب النائب في الكنيست الحالي، وأحد رموز الجناح المؤيد للانتخابات في الحركة الإسلامية، انسحب من حركته وانضم إلى حركة ميرتس الصهيونية، رغم أن هذه الحركة قررت أن لا تدرجه على قائمة مرشحيها!، وقد علّق الخطيب على قراره هذا بالقول: «اليوم أنا أعبّر عن تأييد مبدأي لحركة ميرتس، وليس لدي مشكلة لأن أتجند في ظل رؤية مستقبلية لتشكيل الكتلة الاشتراكية الديمقراطية».

تراجع نسب التصويت

وتتوقع الأوساط السياسية مشاركة ضعيفة من الناخبين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م، لعوامل عدة:

١ ـ تصاعد المشاعر المناهضة للكيان الصهيوني في الأوساط الفلسطينية، في ظل الجرائم الصهيونية المتواصلة بحق الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م، وتزايد تأييد فلسطيني عام ١٩٤٨م للمقاومة والعمليات الاستشهادية بصورة أقلقت القادة الصهاينة. وقد كشف استطلاع للرأي أجرته جامعة حيفا بالتعاون مع المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، أن ربع فلسطيني ١٩٤٨م يؤيدون حق الفلسطينيين بالكفاح المسلح لافي الضفة والقطاع فحسب، بل وداخل حدود «الخط الأخضر»، مع ما يتضمنه ذلك من مخاطر أمنية على حياتهم. وقد أعلنت هذه النتائج خلال مؤتمر عقدته جامعة حيفا، واعتبرت هذه المعطيات خطيرة جداً وقاسية، وتؤشر على تحول كبير في توجهات فلسطيني عام ١٩٤٨م.

٢ ـ حملة المقاطعة التي تقودها الحركة الإسلامية وحركة أبناء البلد، ويتوقع أن تتجاوب نسبة جيدة مع الجماهير معها.

٣ ـ انقسام وتشرذم القوائم العربية التي تخوض الانتخابات. فبعد أن خاضت الأحزاب العربية الانتخابات السابقة عام ١٩٩٩م بثلاث قوائم، فإنها تخوضها هذه المرة بأربع قوائم.

وتوقع استطلاع أجرته شركة (تفونا سيفوكيت) الصهيونية مشاركة نحو ٥٨٪ من الفلسطينيين في الانتخابات، وتشارك الطائفة الدرزية بنسبة كبيرة، وتصب أصواتها في العادة لصالح الأحزاب الصهيونية ■

صيد الفضائيات

د. حمزة زوبع
ZAWBA@EMAIL.COM

المثقفون أنواع

قناة LBC ـ اللبنانية ـ برنامج الحدث سعد الدين إبراهيم ـ ناشط مصري ليبرالي: «تعلمت من السجن أن هناك خطوطاً حمراً لو تجاوزها أصحاب الفكر ربما تعرضوا لما تعرضت له، رأيت كل ألوان الطيف السياسي، الإسلاميين والليبراليين والكتاب ورجال الأعمال، قبلت ما حدث لي واعتبرته ثمناً عادلاً لما أدعو إليه وأفكر فيه وأروج له».

من المهم أن يتعرف المثقفون على الوجه الآخر الذي عادة ما يكون من داخل السجون، ومن المهم كذلك أن يعرف المرء حجمه خصوصاً بالمقارنة مع حجم السلطة.

والمساجين أنواع

البرنامج نفسه: منتصر الزيات ـ ناشط مصري إسلامي: «سجني يختلف، هو كان في سجن مع وزراء ومع كبار القوم، أنا كنت أرزح في زنازين انفرادية مع آلاف البسطاء من الجماعات الإسلامية، صرت أشعر بحق الناس في الحرية، الدفاع عن البسطاء، خرجت من السجن لأدافع عن زملائي وإخواني».

من المهم كذلك أن يعرف العالم أن السجون أنواع وأن المساجين مقامات ومقاسات.

دعاية رخيصة

قناة ANN ـ برنامج المسائية ـ عزمي بشارة ـ فلسطيني من عرب ٤٨: «نتعامل مع هذه الشكاوى على أنها تهريج يميني وهي محاولة لكسب الإعلام والأمر الخطير هو قيام المستشار القانوني الوحيد بتوجيه الاتهام ضدي، من بين الاتهامات اتهامات قدمتها المخابرات الإسرائيلية التي تنصتت علي وقامت بانتقاء بعض الكلمات من هنا وهناك وكأنني أعقد لقاءات سرية. هذا يذكرني بآلات الدعاية التي كانت تقوم ضد حركات المقاومة في الخمسينيات، المخابرات تقدم صفحات كلها أكاذيب ومهاترات وترجمات غير دقيقة يوقعها ضباط في المخابرات الإسرائيلية، هنا تقف حكومة(إسرائيل) وراء هذا الأمر بالكامل».

بهذه الأساليب يحاول الصهاينة تغيير وجهة نظر العالم فيما يجري على أرض فلسطين.

أين القمح؟

قناة دريم الثانية ـ برنامج الحقيقة ـ عبد العزيز حجازي ـ رئيس وزراء مصري سابق: «تركنا البلد واقفة على رجليها، لسنا مسئولين عما حصل بعد كده، طلبنا قمح من أمريكا ورفضت ورحنا لأستراليا أعطونا الطن بـ١٨٠ دولار بدل من ٨٠ دولار وأخذنا القمح بمليون دولار بفايدة ١٨٪ ولكن من فضل ربنا أن بعنا القطن يوم خمسة أكتوبر بثلاثمائة مليون جنيه، وبالصدفة اليابان كانت تخزن القطن في هذا الوقت فارتفع سعر التسليم».

ماذا لو أن مخازن اليابان كانت قد امتلأت قبل بيع القطن المصري، أو أن سعر البورصة كان منخفضاً، ولماذا لم تزرع حكومة حجازي والحكومات التالية القمح بدلاً من التعرض للضغوط؟!

مطلوب استراتيجية على وجه السرعة

قناة دبي الاقتصادية ـ برنامج مقابلة شخصية ـ محمد الحوراني ـ ناشط فلسطيني: «يجب أن نستنبط استراتيجية واضحة ومتوازنة قائمة على أن لدينا احتلالاً يجب أن نقاومه، وعندما تكون هناك أي محاولة سياسية من العالم يجب أن نعطيها فرصة، لا يجب أن نعطي (إسرائيل) ذريعة للتنصل من التزاماتها، وطالما كانت حكومة شارون موجودة فإن طاولة المفاوضات ستظل بعيدة».

إذا كانت طاولة المفاوضات بعيدة خصوصاً في ظل وجود السفاح شارون، فلماذا يصر البعض على الجري وراء السراب البعيد، في وقت تتوافر فيه سبل أكثر فاعلية؟!.

تسعيرة الحروب

قناة الجزيرة ـ برنامج بلا حدود ـ د.ميرفت التلاوي ـ خبيرة أممية: «هناك تكلفة مباشرة وتكلفة غير مباشرة، وبسبب الحروب يتراجع النمو ولكي تستعيد النمو تحتاج ٣ ـ ٤ سنين، هذا في الوقت الذي يفترض أنه ينمو أو يتزايد، الستمائة مليار دولار يمكن أن توفر ٥٠ مليون فرصة عمل، إذا قامت حرب أو نزاع تبقى الخسارة تريليون دولار، وفرص العمل الضائعة هي ١٠ ملايين فرصة، الحرب ليست تكلفة مباشرة فقط وأنا أنظر للتكلفة والآثار غير المباشرة، النقل والسياحة والمطارات والتأمين كل هذه الخدمات وتجارة الخدمات من أهم المجالات في مداخيل الدول، إذا حدث مجرد توتر وليس حرب تلاقي السائح يلغي الزيارة».

طبعا هذه الخسائر حكر على العرب وحدهم، لأن الحروب تجارة يربح منها الغرب المليارات التي نخسرها نحن.

أفكار شياطين

قناة CNN ـ برنامج البصيرة IN-SIGHT وزير السياحة في زيمبابوي معلقاً على إقامة مهرجان ملكة الجمال في بلده الفقير: «لقد واجه هذا البلد سنتين من الدعاية المضادة والسلبية، وكان علينا أن نتحرك لنعرض الوجه السلمي والجيد لبلدنا».

دولة فقيرة يحكمها ديكتاتور تسعى لتحسين صورتها بإقامة حفل لملكات الجمال الإفريقي وعلى بعد أمتار يموت آلاف الأطفال جوعاً، ترى من يقف وراء هذه الأفكار الجهنمية سوى أبالسة الإعلام الغربيين؟.

عاجل ومهم وصحي

قناة تلي لبنان اللبنانية ـ برنامج الإنسان ابن الأرض ـ مقدم البرنامج: «فوائد الجريب فروت إنه يحتوي على فيتامين سي، نصف حبة من الجريب فروت تحوي ٤٠ ملجم، يعني واحدة ليمون وحبة جريب فروت وتفاحة وشوية سلطة ممكن توفر ٦٠٠ ملجم التي يحتاجها الجسم يومياً. كمان الجريب فروت يخفض نوعين من الكولسترول لأن فيه مادة اسمها(البكتين) وهي المادة التي تلقط الكولسترول وتمنعه يفوت علي الكبد، وفيه البوتاسيوم وهو معدن مهم لمن يعانون من ارتفاع ضغط الدم».

هذه فوائد نوع واحد من الفواكه التي أنعم الله بها على الناس، فما بالنا لا تلهج السنتنا بذكر الله وحمده!

سبحان الله

قناة LBC ـ برنامج وقت الشاي ـ د.أنطوان سعد ـ اختصاصي مخ وأعصاب: «مراحل العمل بالذاكرة البشرية: أول شيء هو التسجيل، فيه شيء بدي أحفظه، بعد ما أسجله أخزنه في مطارح مختلفة في الدماغ، المرحلة الثالثة هي إعادة استعماله، وأشبه هذه المراحل بأنه لو وصلني مكتوب فتحته وقرأته وسجلته في رأسي وبعدين وضعته في ملف من الملفات، وبعد شهرين أردت أن أفتحه أروح على الملف وأطلع المكتوب وأقرأه».

صدق الله العظيم حيث يقول سبحانه (وفي أنفسكم أفلا تبصرون).■

لعبة الانضمام المتكررة بين تركيا وأوروبا

الرفض ثابت.. والمماطلة مستمرة.. والخلفيات مكشوفة

رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيته في قمة الاتحاد الأخيرة

ليست قضية تركيا وانضمامها إلى الاتحاد الأوروبي قضية حقوق إنسان تُنتهك، فجلّ من تُنتهك حقوقهم في تركيا اليوم هم أصحاب الاتجاهات الإسلامية حتى في حدود تطبيق الشريعة على مستوى الفرد ذكوراً وإناثاً، وليست أيضاً قضية تفاوت المستويات الاقتصادية، فمعظم من يضمّهم الاتحاد من الدول إليه لم يصل إلى المستوى الاقتصادي فيه ولكن يدعمهم، كما هو الحال مع مالطة ـ مثلاً ـ بل وليست قضية تبدّل السلطة في تركيا بين أحزاب علمانية بوضوح وأخرى إسلامية بحذر، فهذا ما ينفيه أنّ الأحزاب التي جعلت من العلمانية ديانة لها ومن التغريب اتجاهاً ثابتاً في مناهجها وتطبيقاتها، سيطرت ومن ورائها العلمانية العسكرية عشرات السنين على السلطة، ولم يجد طلب الانضمام «وعداً» قاطعاً بالتلبية من جانب الأوروبيين. ولكن لا يعني هذا أنّ الأسباب المذكورة والتي تتردّد في صيغة شروط رسمية للانضمام، لا قيمة لها، إنّما يعني أنّه حتى إذا توافرت الشروط فلن يتحقق الانضمام.

بون: نبيل شبيب

chbib@gmx.net

اختلاف الانتماء والقيم

الشروط المعلنة على صعيد «الديمقراطية» وحقوق الإنسان، وعلى صعيد الإصلاحات الاقتصادية، وكذلك الظروف السياسية والعسكرية التي تعطي تركيا دوراً «غربياً» لا يُستهان بأهميته في المنطقة الإقليمية، العربية والإسلامية، هي التي تصنع المواقف الرسمية، بين تأييد للانضمام لا يصل إلى مستوى وعد قاطع من جانب المسؤولين عن صنع القرار على اختلاف انتماءاتهم الحزبية في أوروبا، وبين معارضة للانضمام تفصح أحياناً عن سبب حقيقي جوهري للرفض، من جانب بعض الأحزاب في السلطة، وغالب الأحزاب التي لا تكون في السلطة، وهذا بغض النظر أيضاً عن تعدد الانتماءات الحزبية واختلافها.

هلموت شميدت، الذي شغل منصب المستشار الألماني في السبعينيات الميلادية، وهو من الحزب الديمقراطي الاشتراكي الحاكم مع الخضر في ألمانيا حالياً، أعلن بعد قمّة كوبنهاجن أكثر من مرة عبر الصحافة الألمانية ـ مثل أسبوعية دي تسايت وصحيفة بيلد ـ معارضة حصول تركيا على عضوية الاتحاد الأوروبي، وقال إنّ هذا سيقيّد حرية الاتحاد في السياسة الخارجية. ويلتقي السياسي الديمقراطي الاشتراكي العريق في ذلك مع اتحاد الحزبين المسيحيين (المحافظين) في ألمانيا، وهما على مقاعد المعارضة حالياً، فتتالت تصريحات المسؤولين فيهما بمعارضة انضمام تركيا، ومنها ما يعلّل السبب بوضوح، كقول مرشح الاتحاد المسيحي من الحزبين لمنصب المستشار إدموند شتويبر: «ليست تركيا جزءاً من مجتمع القيم الأوروبي»، أو زميله لورانس ماير أمين سر الحزب المسيحي الديمقراطي: «إذا انضمت تركيا فستكون جسماً غريباً في الاتحاد الأوروبي».

ولا يختلف «جوهر» هذه المواقف الصادرة عن معارضي الانضمام، عن «جوهر» مواقف المؤيّدين سياسياً، فهؤلاء أيضاً، لا يقصدون في تأييدهم انضمام تركيا، أن يتمّ وهي على وضعها الراهن، كدولة ذات غالبية سكانية لا تتخلّى عن انتمائها الإسلامي، بغض النظر عن نوعية الحكم فيها، وهو مما أثبتته العقود الماضية، إنّما يتردّد على ألسنة أولئك المؤيّدين مثل ما جاء في تصريح لوزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر من حزب الخضر الذي قال إنّ مفاوضات الانضمام إذا بدأت فستستغرق «وقتاً طويلاً جداً.. جداً..»، ويأتي الشرح على لسان زميله نائب كتلة الحزب الديمقراطي الاشتراكي جيرنوت إيرلر، بأنّ تركيا التي قد تنضم إلى الاتحاد الأوروبي بعد ١٥ ـ ٢٠ سنة أو أكثر لن تكون «تركيا التي نعرفها اليوم».

ويرسّخ الاعتقاد بأنّ المقصود هو استحالة الانضمام بحدّ ذاته، إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ أصحاب تلك التصريحات يعلمون استحالة تحقيق هذا الشرط **القائم** على أن تنتزع تركيا نفسها من انتمائها الحضاري والثقافي عقيدة وتاريخياً، وهو المطلوب كشرط ضمني ثابت إن لم يكن شرطاً مطروحاً في صيغة سياسية واضحة ومباشرة.

وشبيه بهذه المواقف ما يمكن أن نرصده أيضاً

أردوغان وجول وبينهما رئيس وزراء اليونان قبل بدء القمة

تركيا التي يريدها الاتحاد الأوروبي هي «المتنكِّرة» لانتمائها الإسلامي

جيسكار ديستان: انضمامها نهاية الاتحاد

هلموت شميت: انضمامها يقيد حرية الاتحاد في سياسته الخارجية

إدموند شتويبر: ليست جزءاً من مجتمع القيم الأوروبي

الدعاوى التي ارتكز عليها الاتحاد في تأصيل مناقشة الطلب التركي متهاوية وتكشفها الموافقة غير المشروطة التي وافق بها على ضم الدول العشر الأخرى

من جانب المعارضين والمؤيدين على مستوى بقية الدول الأوروبية، بما يعيد المشكلة إلى محورها الحقيقي الكامن في اختلاف القيم لا اختلاف ممارسات الحكم أو مستويات الازدهار الاقتصادي، وقد اشتهر من ذلك مؤخراً قول جيسكار ديستان، الرئيس الفرنسي الأسبق ورئيس لجنة صياغة الدستور الأوروبي حالياً، عندما اعتبر انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي «نهاية الاتحاد نفسه». وأشار إلى ٩٥٪ من سكان تركيا يوجدون مع عاصمتهم خارج أوروبا، ليستكمل بذلك حلقة طويلة من المواقف والتصريحات الأوروبية، كالموقف الصادر عن مؤتمر الأحزاب المسيحية والمحافظة قبل عشرة أعوام بمعارضة الانضمام ورافقه آنذاك قول المستشار الألماني السابق هلموت كول: «لم أتعلّم في المدرسة أنّ تركيا بلد أوروبي».

وهنا لا يستهان بالقول إنّ من أسباب التخوّف من انضمام تركيا إلى الاتحاد أيضاً توقعات رسمية تقول إن تركيا ستصبح بعد عقدين من الزمن فقط، أكبر دول «الاتحاد الأوروبي» سكاناً.

أرجوحة المناورات السياسية

في متابعة قضية تركيا والاتحاد الأوروبي خلط كبير:

- بين هذا المحور الثابت المرتبط باختلاف القيم الإسلامية عن الغربية، وذلك في المنطلقات الأوروبية المشتركة ما بين المؤيدين والمعارضين.. وبين محاور متعدّدة أخرى تلعب دورها في تحديد «المواقف السياسية الرسمية» بما يراعي متطلّبات الظروف الآنية المتقلّبة، ولكن دون أن تتناقض النتيجة مع «المحور الثابت» نفسه، ومن هنا اكتسبت سائر المواقف الأوروبية من قضية الانضمام التركي وباستمرار صبغة المماطلة والتسويف، دون الرفض المباشر والقاطع، كي يستمر الحصول بالمقابل على ما يمكن الحصول عليه من السياسات التركية الموالية للغرب، طالما بقي «أمل الانتماء إلى الغرب» هو الذي يحكم السياسة العلمانية المهيمنة على تركيا.

أوّل ما بدا التجاوب مع الطلب التركي دون اقترانه بوعد رسمي، كان في مطلع التسعينيات الميلادية، وكان تحت ضغوط عامل الظروف الآنية آنذاك، التي تميّزت بالحاجة إلى حصول تركيا العلمانية، العضو في حلف شمال الأطلسي، على دور إقليمي جديد، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي والشيوعية آنذاك.. ومع بدء التساؤل عمّا سيجري في البلقان ووسط آسيا..

ثمّ لم يتمّ إعطاء طلب الانضمام قيمة «الترشيح للانضمام» إلا عام ١٩٩٩م، وبعد أن كادت مسألة ترشيح قبرص اليونانية لعضوية الاتحاد تسبب شرخاً «أطلسياً» خطيراً مع تركيا.. وبقي القرار هنا أيضاً في حدود كلام لم يقترن بالتحوّل إلى بداية فعلية لمسيرة الانضمام..

وبعد ماصدر عن قمّة كوبنهاجن في نهاية عام ٢٠٠٢م أيضاً من قبيل الكلام دون إجراء عملي ملزم، وإن تضمّن «تحديد موعد».. فهو موعد من أجل «إعادة النظر»، فحسب في إمكانَ بدء مفاوضات الانضمام بعد فترة أخرى معيّنة، ولا يعبّر هذا الموقف الجديد عن «تغيّر» ما في المسيرة الأوروبية - التركية، ولكن يعبر فقط عن ضغوط الظروف الآنية، التي تتميّز بالحاجة إلى ما يرضي تركيا بما فيه الكفاية لضمان الحفاظ على دور إقليمي معيّن لها، وهي المتقلّبة ما بين علمانية عسكرية وتوجّه سياسي إسلامي يحتمل أن يفرض نفسه.

على الدوام لم يتعدّ الموقف الأوروبي صيغة المناورة السياسية، وإن حمل عنوان «قرار».. ولم يقترب بتركيا من يوم الانضمام، على الصعيد الاقتصادي على الأقل، ذلك إذا قارنّا بين ما قدّمه الاتحاد الأوروبي، وشارك فيه بنفسه من أجل الوصول بالدول «الشيوعية سابقاً» إلى مستوى اقتصادي يسهّل انضمامها إليه، وبين ما صنعه في الاتجاه نفسه مع تركيا التي تتبنّى الراسمالية الغربية من الأصل، وكانت أوضاعها قبل عشرة أعوام أفضل بما لا يقارن من أوضاع غالبية الدول الشيوعية السابقة التي تقرر الآن أنّها توفر الشروط الاقتصادية ليكتمل انضمامها عام ٢٠٠٤م.

وحتى مشكلة «العمال الأتراك» التي كثيراً ما طُرحت كعامل إضافي لامتناع الدول الأوربية عن ضمّ تركيا إلى اتحادها، وقيل إنّ فتح الأبواب وإسقاط الحدود سيحمّل البلدان الأوروبية الأعضاء

حالياً عبئاً كبيراً في سوق اليد العاملة.. هذه المشكلة تبدو بصورة أخرى عند النظر إليها عبر اعتبار من الاعتبارات التالية:

١ ـ أن فتح الحدود واكتمال الانضمام لا يبدأ بالنسبة إلى أي دولة جديدة إلا بعد توفير الشروط الاقتصادية.. أي بعد أن يتقارب مستوى الأوضاع الاقتصادية ومستوى الأجور، مع انتشار الاستثمارات عبر الحدود الوطنية، وذلك إلى درجة تجعل مشكلة «هجرة العمال» من بلد إلى آخر داخل الاتحاد الأوروبي تتقلّص إلى حدّ أدنى.. وكانت هذه المشكلة قائمة عند انضمام أسبانيا واليونان والبرتغال، وستقوم أيضاً بالنسبة إلى الدول العشرة الجديدة.. ولم تكن سبباً في «رفض الانضمام» أو المماطلة فيه، بل كانت سبباً في العمل على تقليصها فحسب.

٢ ـ لا تخلو معاهدة انضمام مع دولة جديدة من اتفاقات جانبية تركّز بصورة خاصة على استكمال التقارب المطلوب في الميادين التي لا يتحقق التقارب فيها حتى موعد الانضمام، وهو ما يسري بالنسبة إلى السياسة الزراعية على الدول العشر الجديدة مثلاً، ويسري أيضاً على تعامل المانيا مع العمال من البلدان المجاورة لها جغرافياً أيضاً.. ويمكن أن يجد حلاً له بالنسبة لتركيا أيضاً عندما تتوافر الإرادة السياسية.

٣ ـ أنّ الوضع الاقتصادي التركي أفضل بما لا يقارن من وضع رومانيا أو بلغاريا، ومع ذلك كان الوعد بانضمامها عام ٢٠٠٧م، أوضح صياغة ومضموناً بكثير مما يقال لتركيا، كما أنّ تقديم العون للبلدين جارٍ على قدم وساق. بل إنّ الاتحاد سينفق بصورة مباشرة وخلال سنوات ثلاث فقط أكثر من ٢٥ مليار يورو على الدول العشر الجديدة، ويعفيها من تسديد حصص مالية بقيمة ١٥ ملياراً أخرى، ولم تمنعه الأوضاع الاقتصادية الصعبة في كثير من أعضائه، من اتخاذ القرار بهذه النفقات الضخمة.. ليتوسّع شرقاً وجنوباً، ولا تحتاج تركيا إلى تعامل «أصعب» بكثير من الناحية الاقتصادية، إذا ما توافرت النية الفعلية لقبولها في «النادي الأوروبي»!..

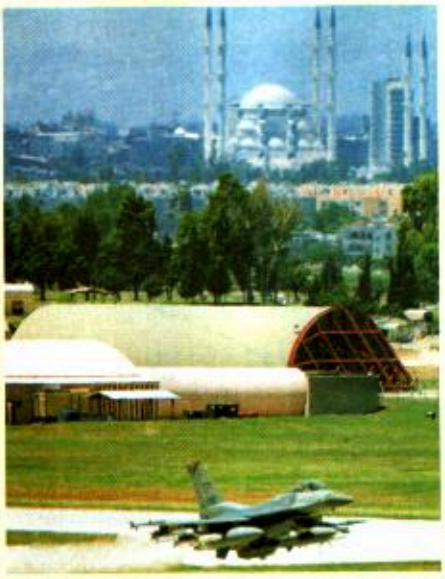

قاعدة انجرليك .. ارض تركية مفتوحة للغرب

إنّ ما ينبغي تثبيته عند تقويم المواقف الأوروبية من طلب الانضمام التركي، هو الاختلاف الجذري بين سلوكين سياسيين:

ـ يسري الأول على غير تركيا، وينطلق من وجود عقبات، سياسية واقتصادية وقانونية ومالية يجب التغلّب عليها، ليتحقق الانضمام.. بعد اعتباره هدفاً ثابتاً..

ـ والسلوك السياسي الذي تجري ممارسته مع تركيا، وينطلق من وجود «مانع» ثابت من الانضمام، يكمن في اختلاف القيم، وتفرض لغة المصالح السياسية عدم إعلان الرفض المطلق، فيتخذ من العقبات نفسها، الموجودة أيضاً مع تركيا وسواها، كعذر لعدم الاستجابة لطلب الانضمام مع ادعاء الرغبة في الاستجابة له.

حدود الخلافات وخلفياتها

عند الحديث عن مؤيد ومعارض لانضمام تركيا إلى الاتحاد، لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان أنه لا يوجد داخل الاتحاد الأوروبي أيّ دولة عضو تقول بإمكان انضمام تركيا مع الدول العشر الأخرى التي يكتمل انضمامها في منتصف عام ٢٠٠٤م، أو حتى مع دولتي بلغاريا ورومانيا اللتين من المفروض أن يكتمل انضمامهما عام ٢٠٠٧م.

إنّما تتفاوت المواقف الأوروبية تجاه طلب الانضمام التركي تفاوتاً نسبياً، ويكشف التأمّل في خلفيات هذه المواقف، أنّها ترتبط بأسباب أخرى لا علاقة لها غالباً بمدى توفير شروط الانضمام أو عدم توفيرها في تركيا. وكان في مقدّمة الدول المؤيّدة لإعطاء «وعد» أكثر تحديداً بشأن المفاوضات ـ لا الانضمام ـ كلّ من بريطانيا وإيطاليا وأسبانيا، ويمكن الربط بين هذا الموقف وبين تلاقي السياسات الأمريكية الراهنة بالنسبة إلى دور تركيا إقليمياً مع سياسات الدول الثلاث الأكثر من سواها داخل الاتحاد الأوروبي، فكان موقفها يرتكز جزئياً على الأقل على تلبية الإلحاح الأمريكي مؤخراً الآ يتحوّل الرفض الأوروبي المتكرر لتركيا إلى أزمة تنعكس سلبياً على حلف شمال الأطلسي من جهة ودور تركيا إقليمياً من جهة أخرى.

بينما كانت أشدّ درجات المعارضة من جانب النمسا وفنلندا وهولندا، وهو ما لا يجد تفسيراً إذا اقتصر البحث عن السبب في نطاق شروط الانضمام المطروحة رسمياً، وقد تلعب العوامل التاريخية لدى النمسا دورها، بينما يبدو أنّ غياب عامل سياسي وقتي أو آني، له علاقة بتركيا من وراء صناعة القرار في فنلندا وهولندا، هو ما جعل رفضهما المباشر واضحاً للعيان.. أي بما يعكس مفعول تناقض القيم والمعطيات الحضارية من الأساس.

مرحلة حرجة

وانتهى الأمر بعجز تركيا عن الحصول على موعد مبكر لبدء مفاوضات العضوية التامة في الاتحاد الأوروبي. وعلى أنقرة التباحث في عام ٢٠٠٥ مع ٢٥ دولة عضو (بينها الشطر اليوناني من قبرص) بدلاً من الأعضاء الحاليين الـ١٥ ولهذه السلبية أسباب قسم منها نابع من الاتحاد الأوروبي والقسم الآخر خاص بتركيا.

وسيكون عاما ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ مشحونين ببرامج مكثفة جداً منها تحقيق انسجام الأعضاء العشرة الجدد مع بنية الاتحاد والأعباء المالية لهذه العملية والانتخابات العامة والاستفتاءات الشعبية ومصادقة برلمانات الدول الجديدة. إلى جانب ذلك فإن القرار الصادر عن الاتحاد الأوروبي بشأن موعد انضمام تركيا إلى النادي الأوروبي كان بمثابة استعراض عضلات لمحور المانيا ـ فرنسا، والأهم من زاوية توازن القوى العالمية أنه كان تحدياً كبيراً من أوروبا لأمريكا، وسنرى كيف ستقوم أمريكا بإصلاح الشرخ الذي أصاب سمعتها كدولة عظمى عجزت عن دعم حليفة لها.

أما الأسباب الخاصة بتركيا فأهمها الشكوك التي ساورت أوروبا من جدية الإصلاحات والتعديلات القانونية التي تمت المصادقة عليها في عهد الحكومة السابقة بتاريخ ٣ أغسطس الماضي لأنها صدرت في الأيام الأخيرة من عمر حكومة أجاويد الواقفة على عتبة انتخابات عامة كانت جميع المؤشرات تؤكد استحالة فوز أحزابها فيها، كما رفض القضاء الانصياع للتعديل الذي أُجري على المادة ٣١٢ المتعلقة بحرية الرأي والتعبير الصادر من قبل الجهاز التشريعي، وما زالت أصداء هذا القول من رئيس الوزراء اليوناني كوستاس سميتس لزعيم حزب العدالة والتنمية رجب طيب أردوغان تتردد في الأذهان: «لو كانت معايير كوبنهاجن قد طُبّقت أكان أردوغان سيقف في هذا الموقف؟».

وتناقلت أجهزة الإعلام المحلية والأجنبية تصريحات لمسؤولي الاتحاد الأوروبي حول الدور السياسي الذي يلعبه العسكر في تركيا. وعليه فإن الصعوبة الأساسية تكمن في مدى تبني وتنفيذ «المؤسسات» للإصلاحات الصادرة من الجهاز التشريعي أي مجلس الأمة وبالتالي هل تستطيع تركيا نقل حريات المعتقد والرأي وغيرها من الورق إلى حيز التنفيذ والعمل لكي تضمن أن يكون تقرير الاتحاد الأوروبي في ٢٠٠٣ لصالحها وهو التقرير الذي سيستند إليه تقرير عام ٢٠٠٤ وقرار بدء مفاوضات العضوية التامة؟ لا ريب أن انجراف البرلمان والحكومة ـ وهما يمثلان الإرادة السياسية ـ إلى صراع مع مؤسسات الدولة سيؤثر تأثيراً سيئاً على موقف أنقرة.

الصعوبة الثانية هي قضية قبرص: فشريحة كبيرة من القبارصة الأتراك الذين سئموا من الانعزال عن العالم الخارجي ومن

ولكن كان أهم ما لفت النظر دور المحور الفرنسي ـ الألماني في التوصل إلى صيغة وسطية للجواب الأوروبي، ويبدو أنّ حرص الدولتين على ألاّ يصل الأمر مع تركيا إلى درجة القطيعة او المواجهة، صدر عن رغبتهما في أن تتخذ تركيا موقفاً إيجابياً في نطاق المفاوضات الأطلسية ـ الأوروبية حول استخدام المنشآت العسكرية الأطلسية من جانب فرقة تدخل سريع عسكرية أوروبية، وكان هذا الخلاف آخر العقبات في طريق اكتمال تشكيلها في عام ٢٠٠٣م، ومن المعروف أنّ فرنسا والمانيا هما أشدّ الدول الأوروبية حماساً لهذا المشروع، وعملاً من اجله على طريق التمييز العسكري والسياسي عن الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن ليس صحيحاً أنّ الاقتراح الثنائي على قمة كوبنهاجن كان افضل بكثير من القرار الذي صدر في نهايتها، فالاقتراح لم يتجاوز تحديد موعد للنظر في توافر الشروط المطلوبة، ليتقرر في ضوء ذلك تحديد موعد بدء المفاوضات.. وكانت أنقرة تطالب حتى اللحظة الأخيرة بأن يكون الموعدان قبل منتصف عام ٢٠٠٤م، ولكن سواء الاقتراح الثنائي أو الموقف الأوروبي النهائي جعلا موعد تقويم الوضع في تركيا في نهاية عام ٢٠٠٤م، وهو ما يعني أنّ (٢٥) دولة، من بينها قبرص مثلاً، وليس الدول الخمس عشرة الأعضاء حالياً فقط، ستنظر في مدى توافر تلك الشروط..

موقف تركي جديد؟..

من التحليلات التي راهنت على وجود «أوراق» في يد تركيا تستطيع استخدامها في الضغط على الأوروبيين، تحليلات كانت تفتقر إلى تقدير القيمة الحقيقية لوزن هذه الأوراق من جهة، وتفتقر من جهة أخرى إلى التمييز بين مفعول هذه الأوراق قبل قمّة كوبنهاجن وبعدها.. ومنها:

١ ـ ورقة «المفاوضات الأوروبية ـ الأطلسية» التي ترتكز أهمية الموقف التركي فيها على أنّ المنشآت الأطلسية المراد استخدامها من جانب فرقة التدخل السريع الأوروبية، موجودة في تركيا بالدرجة الأولى. ولكن لم يبق من فاعلية «الضغوط»، من وراء هذه الورقة ما يستحق الذكر.. فمن قبل أن ينفضّ المجتمعون في كوبنهاجن، أعطت تركيا موافقتها على حلّ وسطي أنهى الخلاف القائم منذ عامين..

٢ ـ ورقة المفاوضات القبرصية والتأثير المباشر على القبارصة الأتراك.. ولكن لم يكد المسؤولون من الحكومة التركية الجديدة يعودون من كوبنهاجن إلى أنقره بخفي حنين، حتى سارعوا ـ وبصورة فاجأت الدول الأوروبية ـ إلى تحميل حليف أنقرة، وزعيم القبارصة الأتراك، رؤوف دنكطاش، مسؤولية الإخفاق في التوصل إلى اتفاق في المحادثات القبرصية ـ القبرصية التي جرت على هامش قمّة كوبنهاجن بوساطة من الأمم المتحدة.

٣ ـ وتظهر في التحليلات الإعلامية العربية على وجه التخصيص أقوال تعطي «الضغوط الأمريكية على الأوروبيين» لصالح طلب الانضمام التركي، ما يتجاوز مفعولها الحقيقي، فمع تأثيرها النسبي كما سبق الحديث، يبقى أنّ الجواب الواضح عليها في قول المفوض الأوروبي كريس باتّون متهكماً: «هذا سخاء كبير من أمريكا أن تعرض على تركيا العضوية في الاتحاد الأوروبي، ولكن أمريكا ليست عضو في الاتحاد!».

٤ ـ ولكن يبدو أنّ أهم الأوراق في يد أنقرة كانت ورقة الأوضاع الداخلية والتلويح المتكرر من جانب الساسة العلمانيين بأنّ استمرار إغلاق الأبواب الأوروبية سيزيد من قوة الإسلاميين، الذين «يعارضون انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي أصلاً». والواقع أنّ الدول الأوروبية كانت تنشط بوضوح قبل حلول موعد كل انتخابات نيابية في تركيا، فتقدم على خطوة أخرى من خطوات «الترضية والمماطلة».. وهو ما تكرّر قبيل قمّة كوبنهاجن بسلسلة من التصريحات عن مشروع الماني ـ فرنسي يتجاوب مع الرغبات الرسمية التركية ولكن ورقة الأوضاع الداخلية لم تعد تلعب دوراً كبيراً أيضاً، منذ ظهر للأوروبيين أكثر من ذي قبل، أنّ عوامل الفساد، والإخفاق الاقتصادي، وتدهور المعيشة، وغيرها كانت تلعب دوراً كبيراً في انهيار الأحزاب العلمانية واحداً بعد الآخر، وصعود الإسلاميين داخل نطاق ظروف مشدّدة ضدّهم بما لا تعرف شبيهاً له أي دولة «ديمقراطية».. وفي الانتخابات الأخيرة بالذات أسقط حزب العدالة والتنمية مفعول الورقة المذكورة، بتبنّيه سياسة تحدّد الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي هدفاً.

رغم ما سبق، يمكن في ضوء المواقف والتصريحات الأخرى الصادرة عن الحزب نفسه القول: إنّ ما يطرحه هو «انتماء إلى العالم الإسلامي لا يتعارض مع الانضمام السياسي والاقتصادي إلى الاتحاد الأوروبي».. وسيبقى ذلك ـ إذا صحّ فعلاً ـ رهناً بتطوّر الموقف الأوروبي، فهذا الانضمام مع الحفاظ على الانتماء الإسلامي هو بالذات ما لا يريده الأوروبيون، كما تثبت مواقفهم وفق الأمثلة المذكورة في بداية هذا المقال.

كما يبقى على وجه الاحتمال أنّ حزب العدالة والتنمية سيتابع تمسّكه بمطلب الانضمام إلى أوروبا فترة من الزمن، قد تؤدي خلالها ورقة طلب الانضمام هذه دورها داخل تركيا، فتدفع العلمانية العسكرية إلى القبول بإدخال مزيد من التعديلات في اتجاه ضمان الحريات والحقوق، التي يُعتبر الاتجاه الإسلامي هو الأشدّ تضرّراً من عدم ضمانها.. ثمّ مع الإصرار المنتظر من جانب الاتحاد الأوروبي على عدم تلبية طلب الانضمام، يمكن للحزب ـ إذا صحّ ما يُقال عنه من جهة.. ولم تلجأ الدبابات إلى إسقاطه من جهة أخرى ـ أن يعلن وهو يقف على أرضية صلبة، لقد مضينا إلى آخر الطريق مع الأوروبيين: وهم يرفضون، وأن الأوان لإغلاق ملف طلب الانضمام وممارسة سياسة تركية لا تفصل ما بين تركيا وجذورها العقدية والتاريخية والحضارية.. وتعبّر عن واقع شعبها المسلم في العالم المعاصر.■

لماذا يترك الاتحاد الأوروبي الباب مواربا دون قرار حاسم برفض الطلب التركي أو موافقة واضحة.. وما دور الولايات المتحدة في ذلك؟

أوراق الضغط التركية ثبت افتقارها إلى قيمة حقيقية تضيف جديداً لمساعدة أنقرة

المتاعب الاقتصادية أصبحوا ينظمون المظاهرات والاجتماعات الشعبية لصالح مشروع الأمم المتحدة المتعلق بتسوية القضية القبرصية. وفي حال عدم استجابة أنقرة ورؤوف دنكطاش لهذه المطالب فإن من المحتمل ظهور مشكلات جدية بين الجانبين.

الضوء الوحيد في هذا المجال هو قبول الطرفين القبرصيين التركي واليوناني مواصلة المحادثات حتى الثامن والعشرين من فبراير المقبل. والمشكلة ستثور إذا استحال الوصول إلى الحل المنشود حتى ذلك التاريخ، ناهيك عن القضية العراقية التي ستطرح أمام تركيا قريباً. وكما امتنع الاتحاد الأوروبي عن تحديد موعد قاطع لتركيا وحصل على مايريده في قبرص فإن واشنطن بدورها ستسعى لانتزاع ما تريد من تركيا في هذا المجال، وتقول مختلف المصادر إنها تروم حشد عشرات الألوف من الجنود الأمريكان على الحدود التركية ـ العراقية واستخدام كل القواعد والمطارات والموانئ التركية دون إذن مسبق. قبول هذه المطالب لا يعني غير انجراف تركيا إلى الحرب. فهل ستقبل أنقرة بمثل هذا الشيء؟ وكانت واشنطن قد عرضت (حسب تصريح لبولند اجاويد) هذه المطالب على الحكومة السابقة غير أنها لم تلق استجابة منها. وبقيت هذه المطالب إلى عهد حكومة حزب العدالة والتنمية، وهذا يوضح سبب الترحاب الكبير الذي لقيه أردوغان في واشنطن والدعوة الموجهة من الرئيس جورج بوش إلى عبدالله جول لزيارة الولايات المتحدة.

خلاصة القول أن الاتحاد الأوروبي لم يبد التجاوب والدعم وحسن النية المأمول بل أعطى الأولوية لمشكلاته الداخلية، والنتيجة ليست سيئة تماماً: صحيح أن تركيا اقتربت أكثر من الاتحاد الأوروبي وحصلت ـ على الأقل ـ على «موعد» إلا أن الهدف الذي تتوخاه أنقرة هدف كبير.. عليها الاستعداد التام للوصول إليه.■

خدمة وكالة جهان للأنباء ـ إسطنبول

تركيا الإسلامية يمكن أن تكون جسر التواصل بين الشرق والغرب

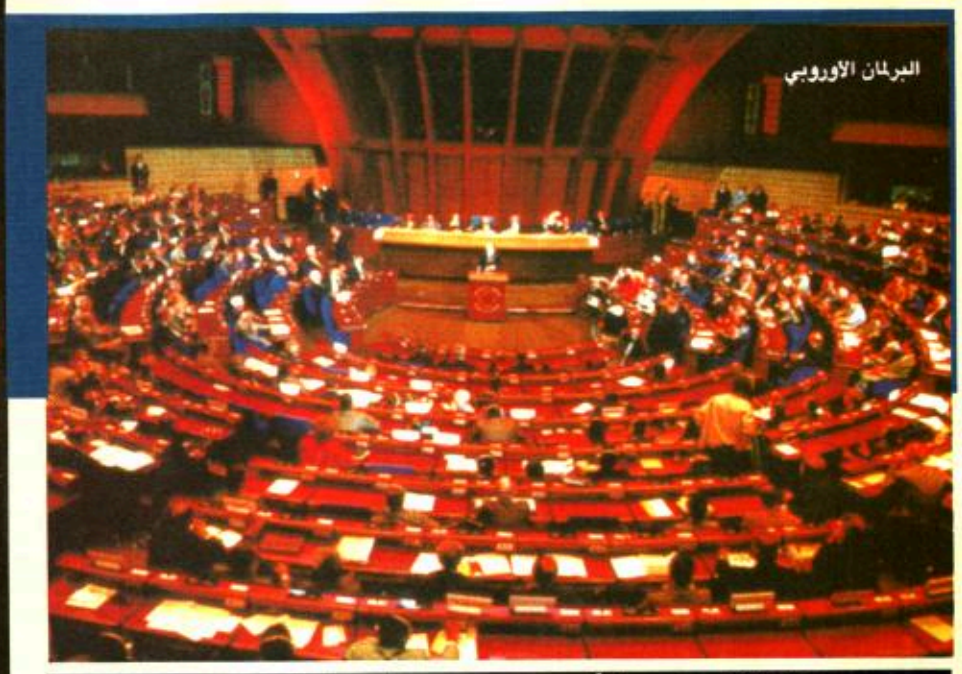

البرلمان الأوروبي

الاتحاد الأوروبي ودول البلقان:

شروط العضوية وأمل الاندماج

قرار توسيع الاتحاد الأوروبي الذي اتخذ في قمة «كوبنهاجن» يومي ١٢ و١٣ ديسمبر الجاري، والذي حدد فيه وزراء خارجية الدول الأوروبية الخمس عشرة بداية الشهر الخامس الميلادي سنة ٢٠٠٤ موعداً لبدء توسيع الاتحاد، ليشمل ١٠ دول جديدة، هذا القرار جعل العديد من دول البلقان وبقية دول أوروبا الشرقية تتطلع إلى عضوية الاتحاد، فقد اعتبرت قبول دول من أوروبا الشرقية والبلطيق (المجر، والتشيك، وبولندا، وسلوفينيا، وليتوانيا، وسلوفاكيا، وقبرص، ومالطا، وإستونيا، ورومانيا) مؤشراً على مستقبل أوروبي لها ولشعوبها داخل الاتحاد القاري.

سراييفو: عبد الباقي خليفة

abdulbakikalifa@hotmail.com

لكن دول البلقان تدرك أن عليها الوفاء بشروط دخول الاتحاد، كما تدرك أن إمكاناتها وأوضاعها الداخلية، والتحديات التي تواجهها تمثل عائقاً كبيراً في وجه انضمامها. إلا أن إدراكها لما يتعين عليها فعله لم يصبها بالإحباط وهي لا تزال تعمل على تحسين ظروفها لتحقيق شروط الانضمام خلال العقد الأول أو الثاني من القرن الحادي والعشرين. فقد سبق ترشيح الدول العشر الجديدة للاتحاد الأوروبي ١٠ سنوات من التحضير، وإن كان بعضها أفضل حالاً مما عليه دول البلقان وبعض دول أوروبا الشرقية حالياً من النواحي الأمنية والسياسية والعسكرية، ولا سيما مستوى الديمقراطية وحقوق الإنسان. وسيكون يوما ١٢ و١٣ يناير المقبل موعد الانتهاء الرسمي من المفاوضات بين الاتحاد الأوروبي والدول العشر التي قبل ترشحها في قمة كوبنهاجن، وفي ١٦ أبريل سيتم في أثينا توقيع اتفاقات الانضمام في ظل رئاسة اليونان للاتحاد الأوروبي وفي الأول من مايو ٢٠٠٤ تدخل الدول العشر الجديدة رسمياً في الاتحاد في حال طبقت المعايير المتفق عليها، وفي نوفمبر من نفس العام تكون الدول الجديدة من جملة دول الاتحاد الأوروبي التي تحضر الاجتماعات، وتشارك في القرارات الاستراتيجية للاتحاد.

شروط الاتحاد

وجه خافيير سولانا المنسق الأوروبي للشئون الأمنية والعلاقات الخارجية بالاتحاد الأوروبي رسالة إلى دول البلقان وأوروبا الشرقية، حصلت المجتمع على نسخة منها تتعلق بمستقبل تلك الدول، وموقعها من اهتمامات الاتحاد الأوروبي بعد ترشيح عشر دول جديدة للانضمام للاتحاد من بينها سلوفينيا إحدى جمهوريات البلقان.

رسالة سولانا كانت واضحة: «حصلت تغييرات تاريخية تمثلت في توسيع الاتحاد ليشمل ١٠ دول جديدة من بينها جمهورية سلوفينيا، وهذا الإجراء أكبر عملية توسعة في تاريخ الاتحاد الأوروبي حتى الآن» وتابع: «أبواب الاتحاد الأوروبي ستبقى مفتوحة لجميع الدول التي تتوافر فيها المعايير الأوروبية للانضمام له». وقال: «الرسالة التي أوجهها لدول أوروبا الشرقية، مثل البوسنة والهرسك واضحة، وهي أن الدخول في الاتحاد الأوروبي ليس حلماً يتعذر تحقيقه، ولكني أقول يمكنكم الانضمام للاتحاد إذا ما حققتم الإصلاحات الضرورية التي يمكنها أن تؤهلكم لذلك» وخاطب شعوب المنطقة: «قطعتم طريقاً طويلاً في اتجاه أوروبا، وعلى الحكومات الجديدة أن تنقل بلدانها إلى المرحلة الثانية من الاندماج، وإعداد برامج عمل للعاطلين، وضمان حقوق جميع الفئات وعلى كافة المستويات، وتوحيد التعريفة الجمركية، وستكون هذه المطالب بمثابة اختبار». وقال: «جميع الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي وحدت التعريفة الجمركية، وعلى دول أوروبا الشرقية حل هذا الإشكال إذا كانت ترغب في الانضمام للاتحاد الأوروبي».

وانتقد سولانا البيروقراطية السائدة في أوروبا الشرقية: «الأموال تصرف على المظاهر البيروقراطية أو ما هو أسوأ، عوض أن تصرف على التعليم والصحة، وفي النهاية تذهب الأموال

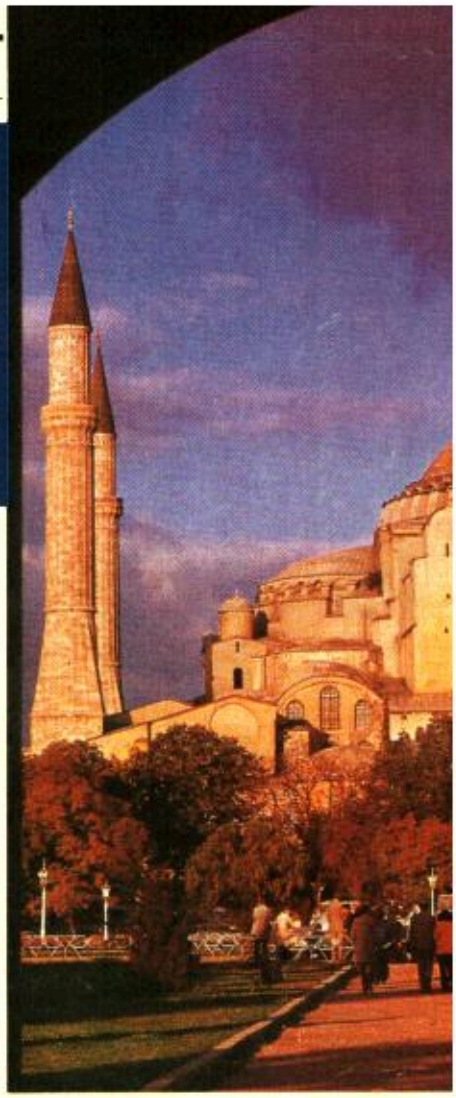

لجيوب المجرمين، وهذا يتطلب إصلاحات في الجانب الجمركي وغيره لتلافي ضياع أكثر من ٥٠٠ مليون دولار سنوياً لكل دولة، ووضع حد لغسل الأموال حيث تم غسل ١٠ مليارات دولار في المنطقة».

وعن مسئولية الاتحاد الأوروبي تجاه أوروبا الشرقية قال سولانا: «الاتحاد الأوروبي سيقوم بأداء واجبه في الجانب المتعلق به، لمساعدة البلقان ودول أوروبا الشرقية لتكون قريبة من أوروبا». وأشار إلى أن «هناك قرارات صعبة يتعين على الحكومات اتخاذها في الشهور القادمة، منها الإصلاحات السياسية وطريقة عمل الحكومات الجديدة، والإصلاحات القضائية، وإنهاء مشكلات الجريمة المنظمة، وتغيير الأساليب التي كانت سائدة في العهد الشيوعي السابق، وإرساء علاقات تجارية مع الجيران تعود بالنفع على مواطنيها». مستشهداً بالدول العشر الجديدة: «قبل عشر سنوات، كافحت دول مثل بولندا، والتشيك، وليتوانيا، وإستونيا من أجل الوضع الذي أهلهم لما هم فيه الآن، وهم الآن على طريق الانضمام للاتحاد الأوروبي وهذا يمكن تحقيقه في دول أوروبا الشرقية الأخرى ومنها البوسنة والهرسك، وهذا متوقف على الإصلاح الشامل». وقال: «سيعمل الاتحاد الأوروبي في الشهور والسنوات القادمة على التقدم نحو أوروبا الشرقية».

وكشف سولانا عن مؤتمر سيعقد في شهر يونيو المقبل تحضره دول الاتحاد الأوروبي والبلقان لوضع سلم الأفضلية بين دول البلقان لترشيحها للاتحاد الأوروبي.

وكان الأمين العام لحلف شمال الأطلسي جورج روبرتسون قد بعث برسالة في وقت سابق لدول البلقان وأوروبا الشرقية، قبل رسالة سولانا، فيما سمي بدبلوماسية الرسائل، تحدث فيها عن الجريمة المنظمة، وعمليات تهريب البضائع والنساء إلى أوروبا الغربية عبر المنطقة حيث «تم تهريب ٢٠٠ إمرأة وفتاة، ويتم تهريب ألف طن من السجائر شهرياً»، كما صدرت تصريحات سابقة عن سولانا وروبرتسون، تحدثت عن استحالة دخول الاتحاد الأوروبي بدون شروط من بينها اعتقال وتسليم مجرمي الحرب وضمان حقوق الأقليات (لا سيما في يوغسلافيا وكرواتيا) وتوحيد الجيش، وحقوق الإنسان (البوسنة).

واقع المنطقة

ورغم أن رسالة سولانا مفعمة بالأمل، إلا أن واقع الحال في البلقان وأوروبا الشرقية لا يبشر بذلك، فالأوضاع الداخلية ولا سيما الأثنية والاقتصادية والأمنية لا تبشر بدخول قريب لتلك الدول في الاتحاد الأوروبي. ورغم الجهود التي بذلتها وتبذلها دول المنطقة للارتقاء بالوضع الاقتصادي، إلا أن بعض تلك المحاولات زادتها رهقاً، فقد تحولت الخصخصة إلى كابوس مرعب للكثيرين، وجعلت أفواجاً من العاطلين تتقاذفهم الشوارع بعد أن لفظتهم المصانع، ففي يوغسلافيا مليونا عاطل مع ١٢ مليار دولار ديون خارجية، وفي كرواتيا: ٨٥٠ ألفاً مع ١١ مليار ديون خارجية وألبانيا: ٧٣٠ ألفاً مع ٨ مليارات ديون خارجية، والبوسنة: نصف مليون، (والعدد الحقيقي أكبر لأن بعض العاطلين غير مسجلين في القوائم) مع ملياري دولار ديون خارجية، ومقدونيا: ٤٠٠ ألف عاطل وقد كلفتها صفقات السلاح وحدها عدة مليارات. وجميع هذه الدول تعيش مشكلات إثنية واضطرابات أمنية، وهزات اقتصادية واجتماعية ولا يمكن الحديث عن بدء محادثات معها للدخول في الاتحاد الأوروبي فضلاً عن قبول ترشحها في المدى المنظور.

وما يقوله سولانا وغيره من المسئولين الأوروبيين هو من باب دفع تلك الدول لتحسين ظروفها رغم يقينه بأنها بعيدة عن شروط الانضمام للاتحاد، وقد قامت تلك الدول بعدة إجراءات كالاتفاقات الحدودية التي تمت هذه السنة بين بلجراد وكل من سراييفو وزغرب، وبين البوسنة وكرواتيا، وكذلك لقاءات وزراء الداخلية والخارجية في كل من ألبانيا واليونان ومقدونيا وبلغاريا والبوسنة وتركيا، ويوغسلافيا وكرواتيا حول المواضيع التي تركز عليها الدول الأوروبية: محاربة الجريمة المنظمة وتجارة الرقيق والتهريب، إضافة لتحرير التجارة وتوحيد التعريفة الجمركية، وتوقيع اتفاقية الإعفاءات الجمركية بينها، والتي ستدخل حيز التنفيذ عام ٢٠٠٥ ، واتفقوا على عدم جعل المنطقة بتعبير أحد وزراء خارجية تلك البلدان «نقطة سوداء في أوروبا».

ورغم التقدم الحاصل في العلاقات الثنائية بين دول البلقان إلا أنها لم تبلغ بعد المستوى المطلوب، فالكراهية العرقية لا تزال سائدة، لا سيما في البوسنة، ومقدونيا، وصربيا، وكرواتيا، وكل يوم تنقل الأنباء اعتداء على مسلم أو انتهاك حرمة مسجد، فضلاً عن أخبار الفساد وتورط الأمن والقضاء في تجارة الرقيق الأبيض والدعارة.كما هو الحال في الجبل الأسود وصربيا.

مستقبل أوروبا والمنطقة

يعتقد الرئيس الكرواتي المعتدل ستيبان ميسيتش أن «القوميات الأوروبية الكبيرة والصغيرة لها مكانها في أوروبا الموحدة» ويعتبر الدخول في الاتحاد الأوروبي قدر المنطقة «هي هدفنا وهي قدرنا» ويطالب بتنفيذ كل ما هو مطلوب من المنطقة «حتى ندخل في أوروبا» لا من أجل المنطقة فحسب بل من أجل أوروبا أيضاً «لأن أوروبا لا يمكنها أن تكون شريكاً فاعلاً مع الولايات المتحدة واليابان والصين والهند (انظر لم يذكر العالم الإسلامي) إن لم تكن موحدة، فلن تكون شريكاً فاعلاً لهذه القوى».

ويبدو أن ما قاله ميسيتش يتوافق مع النظرة الأوروبية لمنطقة البلقان وأوروبا الشرقية حيث تبدأ قوة من الشرطة الأوروبية عملها في البوسنة بداية يناير ٢٠٠٣ بعد رحيل الشرطة الدولية التابعة للأمم المتحدة، كما تطالب دول الاتحاد الأوروبي بإحلال قوات أوروبية محل قوات الأطلسي، والمقصود بذلك تحجيم الوجود العسكري الأمريكي في أوروبا، وقد حاول الاتحاد الأوروبي التخفيف من حدة مطالبه بالقول إن «طلب إحلال قوات أوروبية مكان حلف الاطلسي كان لغرض مساعدة الولايات المتحدة على مقاومة الإرهاب في مناطق أخرى».

المسلمون والاتحاد الأوروبي

يرى الزعيم التركي نجم الدين أربكان، ورئيس حزب العدالة والتنمية التركي رجب أردوغان، والرئيس البوسني السابق علي عزت بيجوفيتش أن دخول المسلمين لأوروبا سواء كانوا في تركيا، أو البوسنة وألبانيا من شأنه أن يعزز التواصل بين الشرق والغرب، ويدفع نحو حوار الحضارات. وهو ما قاله المستشار الألماني جيرهارد شرودر أمام «البوندستاج» حيث اعتبر «انضمام دولة تركية ديمقراطية إلى الاتحاد الأوروبي أمراً ضرورياً لأن ذلك يشكل جسراً أساسياً بين أوروبا والشرق» واعتبر انضمام تركيا للاتحاد في مصلحة أوروبا، وإن كان هناك من سؤال يطرح فهو عن موقع الذين يضعون أوروبا «ديناً» في موازاة الإسلام، وموقع العرب والمسلمين خارج القارة الأوروبية، فالخوف عليهم أكبر من الخوف على المسلمين الأوروبيين.

المضحك المبكي أن من يرفضون الحوار مع مواطنيهم والأحزاب الإسلامية ، يبحثون عن مقاعد في قطار حوار الحضارات، والذين يدعون منهم للتسامح لا يسمحون بكلمة «اتق الله»، ولا يطيقون رؤية امرأة محجبة، أو شاب ملتح. وكما قال رئيس وزراء تركيا عبد الله جول: من العيب أن تذهب امرأة محجبة للدراسة في أوروبا، لأن قانون بلدها لا يسمح لها بالحجاب.!

باسم أي حضارة يتكلم السلطويون والعلمانيون.■

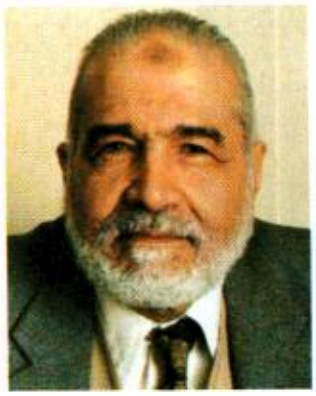

رسالة إلى الشعوب الإسلامية

بقلم المستشار:
محمد المأمون الهضيبي (*)

هذا خطاب من قلب مفعم بحب المسلمين، يسعده الخير لهم ويؤلمه أي ضرر ينزل بساحتهم.. وصاحبه إذ يعيش الواقع، ويبصر ما يحيق بالشعوب الإسلامية من مكاره، وما يسلط عليها من وسائل القهر وأدوات الهدم ليضرع إلى الله تعالى أن يرفع شانها، ويرد كيد اعدائها، ويعزها بدينها، ويحقق امالها، وهو في الوقت ذاته يذكر الأمة أن تتدبر قول ربها: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧) ﴾ (محمد) فهم لابد أن يحققوا نصر الله، باتباع شريعته، والاستقامة على طريقته ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (١٦) ﴾ (الجن).

وحتى يتم ذلك يلزم أن تعي هذه الشعوب أموراً عدة:

أولها: الثقة في معية الله، والعمل على اكتسابها بتحقيق متطلباتها من الإيمان والتقوى والإحسان والصبر، قال تعالى في بحر المشركين بمعية الله للمؤمنين ﴿ وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين (١٩) ﴾ (الأنفال) وفي شان تحقيقها عن طريق الإحسان قال تعالى ﴿ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (١٩٥) ﴾ (البقرة) ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين (٦٩) ﴾ (العنكبوت) وفي معية المتقين يقول تعالى ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين (١٩٤) ﴾ (البقرة) ﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين (٧٦) ﴾ (آل عمران) وفي معيته للصابرين يقول تعالى ﴿ استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين (١٥٣) ﴾ (البقرة) ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين (٢٤٩) ﴾ (البقرة).

والثقة في نصر الله ومعيته - إن عرفت الأمة الطريق إلى ذلك - تهوّن الشدة وتسهّل الصعاب فلا تستبطئ النصر، وقد طمأن الرسول ﷺ بها ابا بكر ﴿ إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٤٠) ﴾ (التوبة) والوعد باق ومستمر ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين (٤٧) ﴾ (الروم).

ثانيها: ضرورة الثقة بالنفس المعتمدة على ربها، ومنع تسرب الوهن إليها، بالتخلص من حب الدنيا وكراهية الموت، وباليقين بان المؤمن بعون الله وتاييده هو الأعلى، قال تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين (١٣٩) ﴾ (آل عمران) وبالاستجابة لنداء القرآن ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٤٥) ﴾ (الانفال) والتعالي على الاراجيف، والتمثل بقول الحق ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٤) إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين (١٧٥) ﴾ (آل عمران). هذا في الوقت الذي هون فيه الله من غدر اعدائهم وقلل من شانهم كما في قوله ﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ﴾ (النور:٥٧).

وكل ذلك - كما هو واضح - يعطي الثقة الكاملة لهذه الشعوب، في نفسها، ودينها ونصر الله لها، كما يبث في النفوس القوة الحقيقية الواعية الهادفة البناءة، التي تبعد عنها شبح الحرب النفسية مهما تجددت وتلونت أساليب هذه الحرب ضدهم، وتكسبهم المهابة في عيون عدوهم، وتمكنهم من أداء رسالتهم، وتبليغ دعوتهم ونجاحهم في عمارة الكون، وحسن خلافتهم فيه، ونشر العدل، وبسط السلام في ربوع الدنيا.

ثالثها: امتلاك القوة، في كل شيء، في الجسم والعقل، وفي الابتكار والإنتاج، وفي التصنيع والزراعة، وفي الطب والذرة... إلخ.

وبعبارة جامعة: امتلاك الشعوب الإسلامية للقوة التي تعينها على تطبيق شرع ربها، ونشر رسالة العدل، وبسط السلام في دنيا الناس اجمعين، دون خوف أو إعاقة لهم من احد عن تحقيق المراد.

وينبغي أن تكون هذه القوة على افضل واحدث واكثر ما تكون تقدماً وتفوقاً، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ (الأنفال:٦٠).

كما ينبغي ان تكون في كل المجالات، وعلى جميع الصور، لتصبح الأمة بسبب هذه الشمولية، وهذا التفوق مهيبة الجانب يخشى باسها، فلا يطمع فيها عدو، بل يعمل لها حساباً والف حساب، وبهذا يستقر الأمن للعالمين.

رابعها: توافر الاعتدال: والاعتدال هو الوسطية التي وصفت بها هذه الأمة، وهو العدل الذي قامت عليه السموات والأرض والحياة، فلم يدم حرها، ولا استمر زمهريرها، بل كان وسطاً ليعمر الكون، ولا كان واحد من الليل او النهار سرمداً، وتعم هذه الوسطية كل مظاهر الكون، ويربي الإسلام عليها الإنسان ليصلح لعمارة هذا الكون: ففي جانب التكوين الفكري والنفسي يقول الرسول

ضرورة امتلاك الشعوب الإسلامية للقوة التي تعينها على تطبيق شرع ربها ونشر رسالة العدل وبسط السلام دون خوف أو إعاقة

(*) المرشد العام للإخوان المسلمين

ﷺ: «أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى... إلخ، وفي جانب حاجة البدن من الزينة والطعام نهى عن الإسراف الذي هو مجاوزة الوسطية والعدل، قال تعالى: ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣١) ﴾ (الأعراف) وفي جانب الإنفاق اشاد بهذه الصفة فقال تعالى: ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (٦٧) ﴾ (الفرقان) وحتى في جانب التوجه إلى الله بالقربات حذر من الغلو وهو من الإسراف، فجاء في الحديث: «إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، ولن يشاد الدين احد إلا غلبه» ونهى ﷺ عن الوصال في الصوم، ورغب في تعجيل الفطر للصائم وتاخير السحور وانكر ﷺ على النفر الثلاثة الذين عرفوا عبادته فكانهم تقالوها قائلين إن رسول الله ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقرروا أن يزيدوا في عباداتهم بمواصلة الصيام وقيام الليل وترك التزوج، فعاب فعلهم: وردهم إلى القصد والاعتدال: «اما إني والله لاخشاكم لله واتقاكم لله، وإني اصوم وافطر، واصلي وارقد، واتزوج النساء، وهذه سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني» ونهى الشرع عن الإسراف في الوضوء ولو كان الوضوء من نهر جار، ونقل إلينا القرآن ما وقع فيه من قبلنا من الغلو فقال تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ﴾ (المائدة:٧٧) وقال عنهم ايضاً ﴿ منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦) ﴾ (المائدة).

وهذه الوسطية ينبغي أن تنشا عليها الأمة فتتخذ القصد في كل حياتها ونشاطاتها، وذلك لا يكون إلا في ظلال فقه الشعوب الإسلامية الناضج الواعي بدينهم، وتبصرهم لروحه، وإيمانهم برسالته، والتزامهم بشرعه، وتطبيقهم لعدالته، وهذا هو ميزان الإسلام الذي ينبغي الا تحيد عنه الشعوب الإسلامية ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير (١١٢) ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ (هود:١١٣) والشرع فقط هو الذي يهدي هذه الشعوب إلى الفقه بهذا الاعتدال، والتمسك بهذا الميزان ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ (الاسراء:٩)

وتوافر هذا الاعتدال، ووجود هذا الميزان يقي الشعوب الإسلامية الغلو والشطط ويحمي أفرادها من الانحراف، إفراطاً او تفريطاً، وكما يقي الأمة من الإفراط فيما ياتون من الأعمال دنيوية واخروية فإنه يقيهم التفريط في المطلوب منهم، فلا يحجمون عن إثراء الأمة في جوانب المعرفة ومعالي الأمور وتوفير الحياة الكريمة، ولا يفرطون في حقوقهم التي تكفل المواطنة الصحيحة، كما ينزع الوهن والخوف من قلوبهم، ويزرع المهابة منهم في قلوب اعدائهم، إذ إنهم يملكون قوة تردع الطغاة، فيثقون في نصر الله لهم، لا يرهبهم بطش فيستذلوا، ولا يغريهم نصر فيظلموا.

فعلى الشعوب أن تهتم كل الاهتمام ببذل النصيحة لحكامها وان يكون ذلك بالطرق السلمية الشرعية المهذبة التي لا توغر الصدر ولا تثير الضغينة او تدعو إلى الفتنة او الفرقة، ومن الطرق السلمية ما يمكن أن يكون له تاثير قوي ونتيجة مضمونة وصالحة، وما قد تعتبر ضغطاً

مؤثراً دون تطرف او خروج عن القصد والاعتدال، واتباع هذا المسلك يحقق افضل النتائج مما يعين على التخلص من القيود على الحريات، وعلى نوال الحقوق بالطرق السليمة الهادئة والهادفة المشروعة، التي لا عنف فيها، ولا تخاذل، بل ﴿ بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (النحل:١٢٥) التي تحقق الغاية، دونما خسائر، او تدمير، او مخالفات شرعية، تشوه صورة هذه الشعوب، المؤهلة لقيادة الدنيا واهلها، مثلما قادها اسلافهم الصالحون من شعوب هذه الأمة.

وعلى كل مسلم ان يستشعر مسئوليته تجاه إخوانه المسلمين في شتى بقاع الأرض «فمن لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم» وان نتعامل مع قضايا المسلمين بما هي أهل له، إعمالاً لقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم.

هذا الترابط والتاخي من شانه ان يبرز عظمة الإسلام وان يؤدي إلى إعلاء كلمته.

ونحن (الإخوان المسلمين) باعتبارنا جماعة من المسلمين: نناشد الشعوب الإسلامية قاطبة بذل جهدها، وتوحيد صفوفها، ونبذ خلافاتها، واتجاهها جميعاً - برغبة صادقة، وعمل جاد - لرفع شانها ورد كيد اعدائها، وإعزاز دينها، ولن يتم لها ذلك - فيما نرى - إلا إذا:

اجتمعت قلوبها على طاعة ربها.

والتقت جهودها على محبته.

وتوحدت صفوفها على دعوته.

وتعاهدت شعوبها على نصرة شريعته.

وساعتها:

يوثق الله - بقدرته - رابطتها، ويديم - في حبه - ودها، ويهديها - بفضله - سبلها، ويملأ - بنوره الذي لا يخبو - صدورها، كما يشرح هذه الصدور بفيض الإيمان به، وجميل التوكل عليه، ويحييها بمعرفته، ويميتها - في نصرة دينه - على الشهادة في سبيله.

وبذلك: تتحقق كل امالها التي نرجو لها

والحمد لله اولاً واخراً ودائماً وابداً■

الثقة في الله ومعيته تهون الشدة وتسهل الصعاب فلا نستبطئ النصر

ينبغي أن تنشأ الأمة على الوسطية فتتخذ القصد في كل حياتها ونشاطاتها

ليست المشكلة في تصريحات صدرت منسوبة إلى مفيد فوزي ضد عمرو خالد ثم نفاها

الخلايا العلمانية «النائمة» بين ضلوع الأمة... أصل الداء

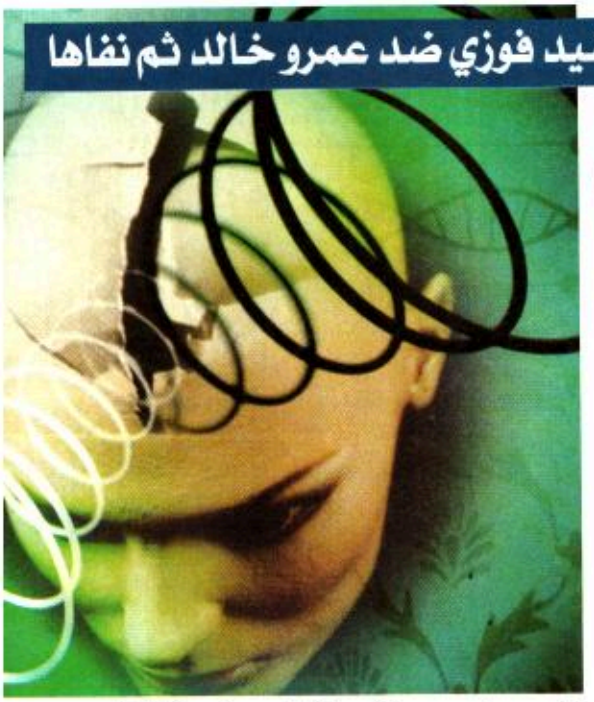

ألم يحن الوقت للحكومات التي تخاصم الإسلام أن تراجع أجندتها وتفض هذا التحالف النكد مع التيار العلماني الاستئصالي؟

شعبان عبد الرحمن
shaban1212@hotmail.com

..«لا أعرف عمرو خالد أصلاً.. ولم أره مطلقاً.. ولا أعرف هل هو أفندي أم شيخ.. ولا أعرف الممثلة ميرنا المهندس.. وذلك النوع من الموضوعات ليس من اهتمامي..».

هكذا بدا الإعلامي المصري مفيد فوزي في برنامج «صباح الخير يا مصر» الذي بثه التلفاز المصري صباح الإثنين ١٢/١٦ الجاري، وذلك لكي ينفي صلته بموضوع الهجوم الذي نسب إليه على الداعية عمرو خالد وعلى «الحجاب» من خلال ترحيبه بخلع الممثلة ميرنا المهندس حجابها وعودتها للتمثيل.

خرج علينا مفيد بسبب عجيب عن سر صمته طوال هذه الفترة التي تزيد على الشهر دون رد على ما نُسِبَ إليه خاصة أن العديد من الكتاب والصحفيين تساءلوا خلال هذه الفترة عن سبب صمته!

.. قال: إن السبب هو أنه «كمن ألقيت عليه طوبة، وهو يمشي في الصحراء، فكان مذهولاً من صدمة الحجر»!!، وأضاف: «إنني أحترم الحجاب.. ولابد أن نهتم بالقضايا الكبيرة ولا نضيع وقت الشعب في القضايا التافهة مثل هذه القضية، وإن علينا جميعاً أن نعمل من أجل مصر».

ويبدو أن التوضيح الذي نشره مفيد في مقال له بأخبار اليوم السبت ١٢/١٤ لم يكن واضحاً أو كافياً إذ قال: «ما قيل على لساني عن واحد من الدعاة لم يصدر عني، لا في صحيفة ولا في أي وسيلة إعلامية أخرى ولن أكون طرفاً في هذه الفرية السوداء الحاقدة ...».

مرة أخرى.. نراجع توضيحات مفيد فوزي ونركب بعضها إلى جوار بعض لتبدو وحدة واحدة، فنكتشف ما يلي:

أولاً: إصراره على التقليل من قدر عمرو خالد مقابل الاستعلاء بذاته وكأنه أكبر من مثل هذه الأمور فهو في أخبار اليوم يشير إلى «أحد الدعاة» دون ذكر الاسم، ثم يغالي في الأمر عند حديثه بالتلفاز المصري قائلاً: «لا أعرف عمرو خالد أصلاً ولا أعرف هل هو أفندي أم شيخ؟!».

هل يعقل أن مفيد فوزي الإعلامي الكبير الذي يفتش عن النملة لا يعرف أن في مصر داعية اسمه عمرو خالد الذي يعرفه غالبية الناس في العالم العربي.. ألم يسمع عنه مرة؟! ثم

مفيد فوزي

الا يعد جهله بعمرو خالد عذراً أقبح من ذنب كما يُقال؟

وهل نفي ما نسب إليه من تصريحات - أحدثت ضجة - يحتاج إلى كل هذا الإيغال المبالغ فيه من نفي معرفته - مجرد معرفة - بعمرو خالد!.

ثانياً: أن تبريره الصمت طوال هذه الفترة دون توضيح موقفه لا يعدو أن يكون «نكتة».

ونسأل: من بالضبط الذي ألقى الطوبة على رأسه وهو يمشي فأصيب بالذهول من صدمة الحجر؟.

إن مفيد نفسه بما نسب إليه من سب غير لائق وغير مبرر لعمرو خالد وللحجاب والإيمان بالغيب هو الذي «خبط» نفسه بالحجر وهو لا يدري.. فجنى على نفسه وعكر صفو الوحدة الوطنية في القطر المصري.

أو ربما لم يدر في خلد مفيد أن يحدث ما نسب إليه من تصريحات ردود فعل واسعة حركت نواباً في البرلمان المصري لتقديم طلبات إحاطة عاجلة وحركت أحد المحامين فرفع قضية ضده تتهمه «بازدراء الأديان»... وأهاجت عليه الصحافة المستقلة ومواقع الإنترنت.. ربما يكون كل ذلك هو «الحجر» الذي أصاب «مفيد» ولم يكن يعمل له أي حساب فأصابه بالصدمة لأكثر من شهر حتى استفاق وقرر الرد.

ثالثاً: أن وسائل قياس الرأي العام أصبحت منضبطة وأن تفاعل الجهات الرسمية المعنية معها أصبح سريعاً ويبدو أن تجاوباً وتفاعلاً حدثا من جانب هذه الجهات مع ما أحدثته هذه التصريحات، وكان قرارها ضرورة تهدئة الرأي العام الغاضب خاصة أن الإهانات منسوبة إلى مسيحي يحسب على الكنيسة المصرية، وفي نفس الوقت إعلامي محسوب على الحكومة، فكان لابد من الضغط عليه لتوليد بعض كلمات الاعتذار أو النفي من بين شفتيه.. وذلك موقف يحسب لهذه الجهات، فقد حاصرت الشرر قبل أن يتحول إلى حريق كبير.

وعلى كل الأحوال.. فقد أُغلق ملف هذه القضية بخروج «مفيد» سالماً من الحفرة التي اتهم الموساد بصناعتها (الحياة: ١٢/٢٣ الجاري).. وانتهى الموقف بتأكيدات مفيد فوزي المتكررة نفي صلته بالموضوع. لكن أصل الداء مازال مدفوناً بيننا، مغروساً في مجتمعاتنا وأعني به هذه «الحالة» من مخاصمة التدين في مجتمعاتنا العربية والحيلولة دون عودتها

عمرو خالد

إلى إسلامها، ومحاولة العيش بهدي تعاليمه قولاً وسلوكاً والتدثر بردائه والحياة تحت مظلته.

وليس بخاف أن الذي صنع هذه «الحالة» ويعمل على تفعيلها هو التيار العلماني المدعوم من كثير من الأنظمة الحاكمة في البلدان التي وقعت في فخ معادلة غير صحيحة، وهي أن المزيد من التدين في المجتمعات يعني المزيد من تناقص عمرها الافتراضي على كراسي الحكم، فكان لابد من محاصرة ذلك بشتى السبل والوسائل، وبدهاء ودون إظهار الخصومة للدين أو للتدين.. ومن هنا انعقدت شراكة بين الطرفين صاحبي المصلحة.. التيار العلماني بمشروعه التغريبي وبعض الأنظمة بمشروعها الجاثم على كراسي الحكم.

ومن هنا، فليست المشكلة فقط في كلمات صدرت منسوبة إلى مفيد فوزي تهاجم عمرو خالد أو الحجاب، أو الغيب، ولكن المشكلة أننا أمام مشروع متكامل يقوم على رعايته التيار العلماني بتصنيفاته الفكرية السياسية وتحميه بعض الأنظمة من خلال تمليكها إياه معظم وسائل الإعلام وأدوات الثقافة ليتلاعب بالأمة كيف يشاء.

وأصبحنا نفاجأ بين الحين والآخر بواحدة من ضربات هذا التيار العلماني لعقيدة الأمة أو ثوابتها الدينية أو شعائرها أو دعاتها.. إنها خلايا علمانية نائمة بين ضلوع مجتمعاتنا.. وفجأة تصدمنا تلك الخلايا بهجوم ضار على الحضارة الإسلامية والعقيدة، أو تعريض بالرسول ﷺ أو بحملات ضارية ضد الحجاب... أو بترويج قصص، وكتب بأبخس الأسعار، تعلن الإلحاد وتسب الذات الإلهية وتروج للرذيلة والإباحية.

وأمامنا هنا نموذج على ذلك من مصر أيضاً.. فقد ظلت وزارة الثقافة المصرية - كما نعلم - تنشر بتخطيط وتنفيذ فريق من العلمانيين الاستئصاليين سلاسل من الكتب التي تعبث بهوية الأمة ودينها وتبيعها في الأسواق بأسعار مدعومة حتى حدثت واقعة نشر رواية «وليمة لأعشاب البحر» التي تسبب نشرها في ردود فعل عنيفة بين الشعب المصري، أسفرت عن سحب الرواية من الأسواق، وإغلاق الجريدة التي كشفت المصيبة - الشعب - حتى الآن.

ولم تراجع وزارة الثقافة إنتاجها ولا إصداراتها توقياً لحدوث أزمة أخرى، ولكن كل شيء تم نسيانه وظلت الخلايا النائمة تعمل على طريقتها في إصدار الإنتاج الردي، نفسه، إصراراً منها على إكمال رسالتها في تخريب المجتمع حتى فاجأ **النائب الإسلامي جمال حشمت** - الذي أسقط مجلس الشعب عضويته منذ أسبوعين - وزير الثقافة بكمية من الإصدارات التي تضرب ثوابت الأمة، وتدور موضوعاتها من قريب أو بعيد حول نفس موضوع رواية «وليمة لأعشاب البحر»، ويسأله عن مدى علمه بإصدار هذه الإصدارات، فما كان أمام الوزير إلا إقالة المسؤولين عن ذلك في وزارة الثقافة، خروجاً من المأزق، ثم جرى إعادة بعضهم بعد مرور العاصفة.

وهكذا أصبحنا أمام لعبة القط والفأر بين الحين والآخر نفاجأ بغارات شبه منتظمة على الدين وثوابته وشعائره ودعاته، وكلما انقضت غارة تلتها أخرى.

ولذلك فإننا نذكّر بأنه قبل مفيد فوزي صدرت عن آخرين كتابات وكلمات لا تقل في عدوانيتها عما قاله، وبعد أن اعتذر مفيد أو نفى ما قاله لن يكون ذلك آخر المطاف.. فسوف يخرج علينا مفيد ثان وثالث.. لأننا لسنا بصدد شخص أو أشخاص، وإنما نحن أمام «حالة» مزروعة في بلادنا منذ عهد المعلم «يعقوب» عميل الحملة الفرنسية وسمسارها الأول، مازالت تصر على أن رسالتها هي حظر الإسلام في بلاده وعلى أبنائه حتى يظل المشروع الغربي قائماً.

والسؤال الذي يلح اليوم وسط التطورات الدراماتيكية المتلاحقة: ألم يحن الوقت للأنظمة والحكومات التي «تخاصم» الإسلام - بطريق مباشر وغير مباشر - أن تراجع أجندتها وتحالفاتها واستراتيجياتها وتعيد ترتيب أوراقها؟ فالحملة الغربية الدائرة لن تبقي ولن تذر إلا من ينبطح أرضاً ويسلم بكل شيء.. الحملة الدائرة تستهدف تغييراً دموياً وجذرياً لبلادنا سياسياً وثقافياً وحضارياً... وسيغيب الكثير من اللاعبين عن الساحة وأولهم أولئك الذين خدموا المشاريع الغربية.

ليس المطلوب قصف أقلام التيار العلماني ولا «قصل» رقابهم.. ولكن المطلوب حوار يغمد فيه الجميع حرابهم ويفكرون بعقولهم وصولاً إلى أرضية مشتركة وصلبة تشكلها الهوية والحضارة والوطنية والحرص على مستقبل الأجيال في مواجهة الطوفان القادم.■

لسنا بصدد شخص وإنما نحن أمام «حالة» علمانية مزروعة في بلادنا منذ عهد المعلم يعقوب عميل الحملة الفرنسية تسعى لحظر الإسلام على أبنائه حتى يظل المشروع الغربي قائماً

د. ذو الفقار علي شاه.. أمير الحلقة الإسلامية لشمال أمريكا (إكنا):

هذه أسباب الدعم الأمريكي لـ«إسرائيل» والخلل فينا

حاوره في واشنطن: عارف المشهداني
almshhadani@yahoo.com

شكل المؤتمر المشترك للجمعية الإسلامية الأمريكية (ماس)، ذات الغالبية العربية، والحلقة الإسلامية لشمال أمريكا (إكنا)، ذات الغالبية الباكستانية - الهندية، في يوليو الماضي حدثاً إسلامياً بارزاً على الساحة الأمريكية، كونه، وللمرة الأولى، يتجاوز الاختلافات العرقية والقومية، وجاء في وقت أدرك فيه المسلمون أن لا مناص من رص الصفوف وتوحيد الجهود من أجل الوقوف بصلابة بوجه الأعاصير التي تواجه المسلمين على مختلف الأصعدة، خاصة بعد أحداث سبتمبر وتداعياتها، وهذا ما حدا بالقائمين على المنظمتين إلى الاستعداد لعقد مؤتمر مشترك بنهاية ديسمبر الجاري إن شاء الله في مدينة شيكاغو، التي تضم أكبر جالية إسلامية في أمريكا تناهز النصف مليون مسلم.

حول هذا المؤتمر وطبيعة التحالف بين المنظمتين وقضايا العالم الإسلامي كان اللقاء مع د. ذو الفقار علي شاه - أمير الحلقة الإسلامية لشمال أمريكا (إكنا):

● بعد نجاح مؤتمركم السابق مع (ماس) ما الأسس الجديدة لعلاقتكم معها؟

○ المؤتمر السابق الذي عقد في بالتيمور في يوليو الماضي حقق نجاحاً كبيراً، إذ إنها المرة الأولى في تاريخ أمريكا تلتقي فيها منظمتان إسلاميتان وتضم جهودهما لبعضها البعض، وهذا ما حفزنا لعقد مؤتمر شيكاغو، الذي نتوقع أن يكون أكبر من مؤتمر بالتيمور إن شاء الله، كم أننا ننوي مستقبلاً عقد مؤتمر آخر في الساحل الغربي للولايات المتحدة (كاليفورنيا أو سياتل) بالإضافة إلى مؤتمر مشترك في تورنتو - كندا في شهر أغسطس المقبل إن شاء الله.

● وهل تحالفكم مع (ماس) تحالف فكري؟

○ نعم، فعلى الرغم من أننا منظمتان مستقلتان إلا أننا عملنا على تقريب مناهج التربية الإسلامية والدراسات القرآنية لأعضائنا، وكذا بالنسبة لبرامج الناشئة والقضايا الدولية، فنحن قريبون جداً من بعضنا البعض، فهو تعاون بناء نأمل أن يشمل جميع المنظمات الإسلامية، لكن هذا لا يعني أننا اتحدنا وأصبحنا منظمة واحدة!

● ولم لا؟

○ لأن هناك الكثير من الأمور الداخلية والأساليب والطرق التي تخص كل منظمة، فعلى الرغم من أن الأفكار والمناهج واحدة إلا أنه عندما يتعلق الأمر بإدارة شؤوننا الداخلية فإننا نحتاج إلى وقت، لكننا ماضون بإذن الله للعمل معاً للوصول إلى العمل تحت مظلة منظمة واحدة، وهذا ما نعمله مع المنظمات الأخرى مثل الاتحاد الإسلامي لشمال أمريكا (إسنا) حيث لدينا مجلس شورى مشترك يضم منظمتينا بالإضافة إلى منظمة الإمام جميل الأمين ومنظمة الإمام وارث الدين محمد (اللتين تعملان ضمن دائرة الأمريكان ذوي الأصول الإفريقية) فتعاوننا يشمل كل المنظمات إلا أننا أقرب فكرياً لـ (ماس).

● وماذا عن علاقتكم مع (إسنا)؟

○ علاقتنا معهم قديمة جداً وودية للغاية وكلانا جزء من مجلس شورى شمال أمريكا، ونتشاور ونحضر مؤتمراتهم ويحضرون مؤتمراتنا وكلانا يدعم الآخر. فعلاقتنا طيبة جداً ولله الحمد.

● طيب، ما دام أغلب أعضاء (إكنا) و(إسنا) من أبناء شبه القارة الهندية فما الذي يمنع توحدكما؟

○ كل منظمة تركز في عملها على جوانب واهتمامات معينة قد لا تركز عليها المنظمة الأخرى، فكل منظمة لها مجال عمل، لكننا في القضايا الأساسية نعمل مع بعض لخدمة الإسلام والمسلمين.

● الكثير منا يتساءل: لم لا تعملون أو تطالبون بالحد من الدعم الأمريكي للهند التي تحتل كشمير المسلمة، مثلما تطالب الكثير من المنظمات الإسلامية بالحد من الدعم الأمريكي لإسرائيل؟

○ هذه من الأمور التي ينبغي التفكير فيها بشكل جدي، فعندما يتعلق الأمر بفلسطين تجد جميع المسلمين في أمريكا سواء كانوا عرباً أو باكستانيين أو إندونيسيين أو أمريكان ذوي أصول إفريقية متحدين حول هذه القضية، لأنها قضية إسلامية مقدسة للجميع، لكن لا نجد هذا الدعم والتأييد عندما يتعلق الأمر بقضايا إسلامية أخرى، ومنها قضية كشمير، وهذا ما يحتاج منا إلى توضيح وتبيان إسلامية القضية لإخواننا من أبناء الجالية العربية، إذ يتعامل الكثير منهم معها على أنها قضية باكستانية - هندية فحسب ولا علاقة لهم بها! لذا فإن خطابنا مع أفراد الجالية المسلمة هنا هو التأكيد على التعامل من منطلق إسلامي مع جميع قضايانا سواء كان الأمر في الشيشان أم البوسنة أم كوسوفا أم كشمير أم فلسطين مع التأكيد على أولوية فلسطين والقدس الشريف، لكن هذا لا يعني أن الضحايا في فلسطين أكثر أهمية من الضحايا في كشمير أو كوسوفا أو البوسنة! مع ملاحظة نقطة مهمة ألا وهي التعاون الوثيق بين اللوبي الصهيوني واللوبي الهندي، للوقوف بوجه البرنامج النووي الباكستاني، فالكفر ملة واحدة!! لذا تجدهم يوحدون قواهم للوقوف ضد أي قوة إسلامية ناشئة، والمؤسف أن المسلمين لم يتعلموا هذا بعد! فتراهم يتصرفون من منطلق فردي أو قومي، بالرغم أن الرسول ﷺ أعلنها بكل وضوح أن (لا فضل لعربي على أعجمي و لا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى) والله سبحانه وتعالى يقول ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات:١٣)، بل إن مجتمع الرسول ﷺ في المدينة

المنورة بني على الأخوة الإسلامية وعالمية الرسالة وعلى قاعدة أن (من أحب لله وكره لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) في حين نجد التفرقة الحادة بيننا نحن المسلمين تتجاوز حد التفرقة على أساس أن هذا عربي وذاك باكستاني والآخر إندونيسي بل تجد التفرقة بين العرب أنفسهم وفي شبه القارة الهندية تجد هذا باكستانياً وذاك بنغالياً وذاك هندياً، بل داخل البلد الواحد كباكستان مثلاً تنتشر القبلية، فهذا بنجابي وذاك سندي وهكذا، وللأسف بدلاً من النظر إلى الإسلام كما هو فإننا ننظر إلى الإسلام لكل دولة على حدة، وهذه من مشكلات أمتنا التي ينبغي عليها أن تعرف أن أعداء الإسلام لا يفرقون بين مسلم وآخر، فمعاملتهم لنا من منطلق كوننا مسلمين، فينبغي علينا أن نكون مسلمين جسداً واحداً، وهذا لن يتأتى إن بقينا نصنف المسلمين بأن هذا رفيع وذاك وضيع أو من خلال ما يرتديه هذا أو ذاك، وإنما من خلال التضحية للهدف الأعظم المتمثل بنشر الإسلام، الذي يواجه تحديات حضارية وثقافية من كل حدب وصوب ينبغي علينا جميعاً مواجهتها متوحدين، بل إننا في أمريكا حتى عندما نعمل كمسلمين بشكل موحد فإننا بحاجة إلى عمل شاق وطويل لسنوات لمواجهة اللوبي الصهيوني واللوبي الهندي اللذين عرفا كيف ينظمان جهودهما ويكسبان الكثير من المناصرين، فنسأل الله سبحانه أن يلهمنا جميعاً الرشاد.

● وما موقفكم كمنظمة إسلامية من الدعم الأمريكي لإسرائيل؟

○ هذا الدعم من أكبر الأخطاء التي يرتكبها صانعو القرار الأمريكي، فاللوبي اليهودي بما يملكه من وسائل ضغط قوية مادياً وإعلامياً يمارس ضغوطاً شديدة على أعضاء الكونجرس لاتخاذ قرارات تروق لهم ولمصالحهم، وإلا فإنهم يشنون ضغوطاً هائلة لن لا يستجيب لمطالبهم تؤدي إلى إبعاد هذا العضو أو ذاك عن الكونجرس (كما حصل مع بول فندلي) لكن عند التحدث لعموم الشعب فإنهم يدركون حقيقة الأخطاء التي ترتكبها حكومتهم، فاليهود نظموا جهودهم وأسسوا معاهدهم ومؤسساتهم وتجمعاتهم في أمريكا وحققوا نجاحاً باهراً، فأمريكا لا تخسر شيئاً بدعمها لإسرائيل سوى دعم الحكومات الإسلامية، وهذا لا يعني شيئاً لأمريكا، لأنها ضمنت ولاء أكثرهم لها! ثم إن الأمة الإسلامية ليست بالمستوى الذي يجعلها تغضب وتقف بوجه أمريكا أسوة باللوبي الإسرائيلي وتقول لها سنوقف دعمكم إن لم تدعموا مطالبنا.

كما أننا ارتكبنا خطأ استراتيجياً عندما لم نبن تحالفاً إيجابياً مع الإدارة الأمريكية أو على الأقل جعلهم يعرفون مطالبنا جيداً، كما أننا لا نلجأ إلى مخاطبة الدول غير الإسلامية وطلب مساندتها لقضايانا، بل إننا نغفل مخاطبة الشعب الأمريكي والإدارة الأمريكية وأعضاء الكونجرس وشرح ما يتعرض له المسلمون في فلسطين

نحتاج لعمل شاق وطويل لمواجهة اللوبي الصهيوني واللوبي الهندي اللذين عرفا كيف ينظمان جهودهما ويكسبان الكثير من المناصرين

وكشمير من مآس وتبيان أن ما يتعرضان له يعد انتهاكاً لحقوق الإنسان وأن كلاً منهما، بالإضافة إلى كونها قضية إسلامية، فهي قضية إنسانية وأخلاقية تسترعي الاهتمام. لم نتعلم الدرس بعد وهو كيف نؤثر في العقلية الأمريكية وصناع القرار، لذا نجدهم لا يبالون بقضايانا الإسلامية لأنه من حقهم أن يتساطوا عن ردة فعلنا إن أغضبونا، والجواب ببساطة: لا شيء!!

لكن على الجانب الآخر نجد اللوبي الإسرائيلي يطلق عبارات التحذير لصناع القرار الأمريكي.. إن لم يجد لديهم اهتماماً فإنهم سيرونهم تأثيرهم وقوتهم مالياً وسياسياً وإعلامياً، وبصراحة فإن الكثير من أعضاء الكونجرس لا ينظرون إلى كثير من الأمور من ناحية أخلاقية بقدر ما ينظرون إلى ضمان ترشحهم ثانية، فعندما يعود أحدهم سواء كان عضو مجلس النواب أو الشيوخ لمكتبه يبدأ بالتفكير طويلاً عن مصيره في الدورة الانتخابية المقبلة، لذا فإنهم يفكرون بمصالحهم وينسون القضايا الأخلاقية، صحيح أن هناك من يعلم بحقيقة الأوضاع المأساوية في فلسطين وكشمير لكنهم أقلية ويعلمون أنهم لو دعموا حقوق الشعب الفلسطيني فإنهم سيخسرون مقاعدهم وأن المسلمين يكتفون بدعمهم كلامياً لا مادياً وأنه رغم ما نملك مادياً فإننا ننفق الملايين لإقامة المهرجانات ولا نضعها في مكانها المناسب. لذا أنا أتفهم لماذا يدعم صناع القرار الأمريكي إسرائيل، لأنهم بدون ذلك هم المتضررون بينما لن يتضرروا أو حتى ينزعجوا بشيء إن لم يدعموا القضايا الإسلامية.

● وماذا ترى في هذه المسألة؟

○ ينبغي أن نوحد جهودنا ونضع أموالنا لخدمة مصالحنا ونطرح قضايانا من جوانبها الإنسانية والأخلاقية، والتوجه للمواطن الأمريكي وصناع القرار وتوضيح الحقائق لهم، ومنها أن القيم الإنسانية وحق الإنسان في الحياة هي هي.. سواء كانت للمواطن الأمريكي أم الفلسطيني أم الكشميري وأود أن أقول ما قاله الله تعالى في كتابه الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١) فلا بد أن نغير مواقفنا وأولوياتنا والدفاع عن حقوق المسلمين فهم يعانون الاضطهاد في أكثر من مكان وسنكون مسؤولين عنهم أمام الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥)﴾ (النساء).

فما أود قوله للمسلمين هو أن لا تتوقعوا توقف الدعم الأمريكي لإسرائيل والهند ما لم نتحرك نحن المسلمين ونتكاتف ويكون لنا وزن على الساحة الأمريكية ونثبت للآخرين أننا جادون حقاً فيما نقول، ونقرن الأقوال بالأفعال وكما يقول الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن).

● بم ترد على قول بعض الإخوة المسلمين من الهنود والباكستانيين من أن العرب خلقوا المشكلات لأنفسهم لتبنيهم القضية الفلسطينية؟

○ أنا لا أتفق مع هذا القول ولكن أتفق مع القول بأنه عندما يتعلق الأمر بقضية فلسطين فإن جميع المسلمين يدعمونها، لكننا لا نجد مثل هذا الدعم والتعاطف من المسلمين العرب عندما يتعلق الأمر بباكستان أو كشمير أو قضايا غير عربية، فلا نجد مثلاً عرباً يشاركوننا في المظاهرات والمسيرات، صحيح أن هناك استثناءات وهناك من العرب من يهتم بقضية كشمير أكثر من بعض الباكستانيين والكشميريين أنفسهم لكنهم أقلية واستثناء لذا فما نطمح إليه وللمصلحة العربية أيضاً ألا يكون هناك تقسيم إلى عالم عربي وآخر غير عربي.. إنما نريد عالماً إسلامياً.

● لكن بعض مسلمي الهند وباكستان يصرحون بأن فلسطين قضية فلسطينية ولا ينبغي للعرب تبنيها؟

○ القضية الفلسطينية ليست قضية عربية وإنما قضية إسلامية، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾ (الإسراء) وحتى العرب يسمونها قضية فلسطينية لأننا لسنا مستعدين للتضحية من أجلها، وإن لم يكن للمسلمين قدرة وعزيمة للدفاع عن قبلتهم الأولى فلا حق لهم في الوجود.

● وماذا عن موقفكم من نية الإدارة الأمريكية شن ضربة جديدة ضد العراق؟

○ هذا الموضوع معقد نوعاً ما ويحوي عنصرين مهمين أولاهما.. خلق أعداء لأمريكا.. فالأمريكان بحاجة لإيجاد أعداء، ولو انتهوا من موضوع العراق لبحثوا عن عدو آخر.. ربما باكستان! وأشعر حقاً أن الشعب الأمريكي لا يتفق مع قادته السياسيين في هذا الموضوع، ونفس الأمر في أوروبا وهذا ما نراه من كثرة وضخامة المظاهرات المناوئة للحرب ضد العراق لا في أمريكا فحسب وإنما في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا فالجميع يريد حل المسألة سلمياً وليس حلاً أمريكياً عسكرياً، كما أن أمريكا لا تملك سياسة موحدة في منطقة العالم الإسلامي (الشرق الأوسط)، فإسرائيل لديها أسلحة نووية

لن يتغير موقف الإدارة الأمريكية من قضايانا مالم نتحرك نحن المسلمين ويكون لنا وزن ونقرن الأقوال بالأفعال

وكيميائية متطورة أكثر مما لدى العراق وقرارات الأمم المتحدة بخصوص إسرائيل أكثر من تلك التي بحق العراق، فلماذا تكون الحلول سلمية مع إسرائيل عسكرية مع العراق؟ فالمسألة كما يبدو لي مسألة غطرسة القوة.

أما العنصر الآخر فهو عنصر صدام حسين، الذي قتل ودمر الكثير، والذي أصبح بطلاً لدى الكثيرين لأنه وقف بوجه أمريكا، علينا أن نعي وبنفس الوقت عدم دعم شخص ما لمجرد أنه يقف بوجه أمريكا، فعلينا مطالبة الدول الإسلامية والعراق خصوصاً بمنح شعوبها الحريات والحقوق المدنية. أنا أرفض بشدة أي عمل عسكري جديد ضد العراق، لأن الشعب العراقي عانى كثيراً وقُتل من أبنائه الكثير بسبب الحصار الاقتصادي. ولا نريد لهذه المأساة أن تستمر وللكارثة أن تتكرر، وعلينا توضيح ذلك لصناع القرار الأمريكي بأن يتصرفوا بمنطق العدل لا بمنطق القوة وأن يكونوا متوازنين في قراراتهم لا أن يتغاضوا عما تملكه إسرائيل لأنها حليفتهم ويتشددوا مع العراق لأنه لايستمع لهم.

● وماذا يمكن لنا عمله نحن المسلمين لتجنيب عالمنا الإسلامي ويلات هذه الحرب، لأن الكثير من أبنائها سيكتوون بنارها؟

○ مشكلتنا كمسلمين أننا نتحدث لبعضنا البعض فقط، المطلوب أن نخاطب الرأي العام الأمريكي، لأن هناك الكثير من الأمريكان ممن يرفضون سياسة بلدهم بشن الحرب ضد العراق مثل وزير العدل الأسبق رامزي كلارك وغيره كثير، إضافة إلى الكثير من الكنائس، فهم ضد حصار الشعب العراقي، وقد وجهت الكنائس البريطانية مثلاً رسالة إلى رئيس الوزراء توني بلير اعتبرت فيها شن الحرب ضد العراق عملاً غير أخلاقي ومرفوض دينياً، فعلينا بناء تحالف مع من يرفضون العدوان ويرغبون بحل سلمي عن طريق الأمم المتحدة ويريدون سياسة أمريكية متوازنة في الشرق الأوسط ودعم متوازن لدولها، وعلينا ولوج ميدان الإعلام الأمريكي وكتابة المقالات التي تخاطب صناع القرار والتي تبين لهم وبأسلوب منطقي إنساني أنهم يملكون قوة ولكن لا يحسنون استخدامها، وأنهم يسيئون لتاريخ بلدهم، وأن تركز الجالية المسلمة على الآثار الإنسانية لهذا الأمر.

● ما نصيحتك للجالية المسلمة في أمريكا؟

○ منذ أحداث سبتمبر تغيرت أمور عدة، فهناك ضغط كبير وهذا وقت الابتلاء، وعلينا أن نتذكر قول الله تعالى ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)﴾ (آل عمران) فالتمسك بالإسلام لم يكن يوماً ما سهلاً «ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة». فإن كنا نظن أننا سننال رضا الله سبحانه وتعالى ونحن نتمتع بمشاهدة التلفاز أو الجلوس في البيوت المكيفة ومجرد أداء صلاة الجمعة أو بعد ارتكاب أخطاء على مدى السنة الذهاب في نهايتها لأداء العمرة أو إنفاق ثلاثة آلاف دولار لأداء الحج وأن ذلك يكفي لنيل مغفرة الله تعالى أو الظن أن الجنة تنتظرنا كوننا مسلمين والأخذ بظاهر الحديث الشريف «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» فإننا واهمون ولا بد لنا الخروج من هذا التفكير وتصحيح مفاهيمنا، فاليهود كانوا يقولون ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة:١٨) ويبدو أن هذه المصيبة حلت بالمسلمين، فكوننا نؤمن بأننا على الدين الحق وأن الله نعم المولى ونعم النصير لا يعني أن نطلب منه سبحانه القتال نيابة عنا والمطالبة بحقوقنا ونحن جالسون!! كما كان حال قوم موسى حينما قالوا له ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)﴾ (المائدة) فهذا تفكير خاطئ والله سبحانه يقول ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (محمد:٤) وفي الوقت نفسه فإن الإيمان ليس مبالغ تصرف أو تعالياً وتباهياً على الآخرين وإنما تضحية، لذا أنصح إخواني وأخواتي في أمريكا أن يتحملوا مسؤولياتهم، فهم الأقلية الأكثر اضطهاداً ونحن نرى أن الكثير من الأقليات في أمريكا لها تأثير كبير على صناعة القرار ولا ننسى أن أمريكا هي القوة الكبرى في عالمنا اليوم، وتملك التأثير الكبير على دول العالم، ونحن جزء مهم من المجتمع الأمريكي، فلو عملنا للإسلام بجدية متخذين الخطوات الصحيحة، بما فيها الحرفية وإتقان المهارات في العمل الإسلامي والتأثير على صناع القرار وما يتطلبه ذلك من إقامة دورات تعليمية وثقافية وبرامج دعوية للمجتمع بشكل عام والتأثير على الرأي العام الأمريكي فإن ذلك يؤثر بالتأكيد إيجابياً على عالمنا الإسلامي.

فعلينا أن نضع وقتنا وإمكاناتنا وطاقاتنا لخدمة دين الله تعالى ونصر الله سيأتي لا محالة، ولكن هذا النصر لن يأتي ونحن جالسون نسرح ونمرح في بيوتنا، فعلينا بالسعي الجاد ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩)﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)﴾ (النجم).

● هل من نصيحة للمسلمين عامة والشباب منهم خاصة؟

○ أود القول ما قاله الله تعالى ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ (العنكبوت) فالابتلاء أمر مهم نتعرض له، ويبتلى المسلم كلما اقترب من الله، فالأكثر قرباً من الله هم الأكثر ابتلاء، فما يحدث لعالمنا الإسلامي والعالم من حولنا لا ينبغي أن يشككنا في ديننا وإيماننا وفي قدرة الله عز وجل فهو الحكم العدل، ولكن علينا أن نسأل أنفسنا عن تقصيرنا بحق أنفسنا وأن نتذكر أن الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم كما قال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، فنظام العدل والمساواة غير موجود في أكثر مجتمعاتنا الإسلامية والله يقول ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة:٨) نتعامل مع حياتنا الدنيا وكأنها الجنة وليست مزرعة للآخرة وداراً للعمل، ودار العمل لا تعني العمل للعائلة فحسب بل العمل لله، والرسول محمد ﷺ يقول: «إذا أحب الله عبداً استعمله» أي لخدمة دينه، فمتى أدينا واجبنا تجاه ربنا فإن نصر الله آت، وعلينا أن نحسن معاملاتنا مع بعضنا البعض فـ(الدين المعاملة) وأن نتمثل القيم الإسلامية في كل نظام حياتنا ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة:٢٠٨) فلا تلتزم المرأة بحجابها عندما تريد وتنزعه متى ما تريد والله الذي معنا في المسجد هو معنا في الأسواق وعلينا أن ندرك أنه ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (المجادلة:٧) فعلينا بمراقبة الله وتطبيق شرعه، لأن نجاحنا بالتوكل عليه، وعلينا دراسة آيات الله الكونية والحياتية مثلما ندرس آيات الله القرآنية، لنحقق كوننا خلفاء لله في الأرض، وأقول للشباب المسلم في الجامعات إن دراستهم للعلوم الطبيعية مع استحضار نية مرضاة الله تعد عبادة، ونؤكد على الالتزام بحسن المعاملات ودراسة آيات الله الكونية، وهذا مما يسهل تطورنا تقنياً ويرفع مكانتنا عالمياً، وعلينا الانتباه إلى أن تقدم الغرب لم يأت بسبب نصرانيتهم أو يهوديتهم وإنما بسبب أخذهم بسنن الله الكونية وإلا لكان النصارى في البرازيل أو إثيوبيا بنفس التقدم العلمي، ولو كان الإسلام سبب تخلف المسلمين، كما يروج أعداء الإسلام، لما رأينا العديد من العلماء المسلمين المتميزين، لذا نحث الشباب وكذلك علماء الإسلام على التأكيد على أن جزءاً مهماً من ديننا يكمن في دراسة آيات الله الكونية، والله يقول (اقرأ).. نقرأ لا من أجل الشهادة الجامعية أو العمل، وإنما نقرأ لخدمة ديننا الحنيف.■

محاكمة بليانا بلافاشيتش:

نموذج فاضح لـ «العدالة» الدولية

مسؤولة عن قتل عشرات الآلاف من المسلمين في البوسنة.. توصف بالشجاعة وتلقى الحفاوة في محكمة مجرمي الحرب وتعاد مكرمة إلى صربيا!

سراييفو: عبد الباقي خليفة

abdulbakikalifa@hotmail.com

عادت بليانا بلافاشيتش الرئيسة السابقة لصرب البوسنة إلى العاصمة الصربية بلجراد بعد أن قضت خمسة أيام في لاهاي حضرت خلالها إحدى جلسات محاكمتها التي خصصت للاستماع لأقوال الشهود، وتعليقات الادعاء. وقد عوملت داخل قاعة المحكمة وخارجها، وكأنها رسول سلام وليست مجرمة حرب!. واعتبر موقفها الذي لم يكن سوى خضوع مطلوب لمقتضيات العدالة، وكأنه صك براءة من التهم، ولا شك أن إقرار بليانا بالذنب، شيء محمود، لكنه لا ينبغي أن يؤدي إلى اغتصاب العدالة، كما حدث في هذه القضية.

محكمة العدل الدولية في لاهاي

التحول المريع

ولم تكتف محكمة لاهاي بجعل إقامة بليانا وكأنها نزهة سياحية مرفهة، بل تحول الاتهام إلى مديح، والشجب إلى إشادة، وليتصور القارئ أن مجرماً قتل ٢٠٠ ألف من بلده، وبعد ذلك قال أمام المحكمة أنا آسف، فهل يكون ذلك مبرراً لوصفه بالشجاعة؟!

التحول.. بل التحيز خرق جدار الادعاء، فالمعروف في المحاكم على مختلف تصنيفاتها ومستوياتها أن الادعاء يطالب دائماً وفي كل الأحوال بإنزال أقصى العقوبات على المجرم، لكننا في لاهاي شهدنا فصلاً مسرحياً بأتم معنى الكلمة.. حتى كارلا ديل بونتي ممثلة هيئة الادعاء بمحكمة جرائم الحرب التي كان ينظر إليها على أنها تتصف بالحزم، غيرت أسلوبها في الحديث وبدت وديعة، عندما طلبت من القاضي إنزال عقوبة بالسجن لمدة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ سنة سجناً بحق بليانا. قالت ذلك وهي تبتسم، في إشارة فهم منها أنها تطلب «الرحمة»، وكأنها محامي الدفاع، وليست ممثلة الادعاء.

أقوال الشهود

في اليوم الثاني من المحاكمة أدلى عدد من الشهود بأقوالهم، منهم مادلين البرايت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة بشهادتها أمام المحكمة، ووصفت الحرب البلقانية بأنها أشبه بالحرب العالمية الثانية، وقالت إنها اطلعت على صور فظيعة من الحرب كالاغتصاب، حيث تم اغتصاب النساء والفتيات أمام عائلاتهم والقتل وإقامة المقابر الجماعية ومعسكرات الاعتقال لغير الصرب، وتحدثت عن زياراتها لمنطقة البلقان وخاصة العاصمة البوسنية، وإنها تحدثت لضحايا وشهود مذابح السوق بوسط سراييفو. وقالت: «كان ينظر ليوغسلافيا على أنها بلد تتعايش فيه القوميات المختلفة، ولكن ما حدث في الحرب، كشف عن وجود أحقاد دفينة، وأصبح الصرب الذين كانوا من ضحايا الحرب العالمية الثانية، مجرمي حرب في البلقان» واتهمت بليانا بأنها **كانت أحد المسؤولين عمّا حدث في البوسنة، لكنها بعد توقيع اتفاقية دايتون بقيت قومية صربية إلا أنها غيرت مسارها السياسي!** أما كارل بلت الممثل الدولي السابق، وهو سويدي، فقد تحاشى الحديث عن جرائم الحرب، وغرق في التعميم، وركز جل حديثه على المهجرين دون التطرق لأسباب تهجيرهم ومن قام بذلك كعادة معظم السياسيين الغربيين عندما يتحدثون عن آلام المسلمين، واصفاً اتفاق دايتون بأنه «كان نهاية اللعبة» وتحدث عن كيفية استخدام الرئيسين اليوغسلافي والكرواتي السابقين سلوبودان ميلوسوفيتش وفرانيو توجمان في الضغط على صرب وكروات البوسنة ولا سيما في أثناء توقيع اتفاقية دايتون بينما «بقي البوشناق المسلمين في الوسط»، ووصف بليانا بأنها «كانت شجاعة عندما تحملت المسؤولية عن جرائم الحرب، وكانت قد أعربت عن موافقتها وقبولها باتفاقية دايتون عكس الصرب الآخرين من الحزب الديمقراطي الصربي الحاكم وقتذاك»، وقال: «لم يتم جلبها أو اعتقالها، وإنما جاءت بمحض إرادتها، واعترفت بدورها، وهذا ما لم يفعله الكثيرون غيرها»، وتابع: «كانت تؤيد التعايش المشترك بين الصرب والكروات والبوشناق وهذا ما كانت تختلف فيه عن كراذيتش».

وقال الشاهد الثالث روبرت فروفيك - الذي قدم للبوسنة بعد توقيع اتفاقية دايتون كرئيس أول لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي بعد توقيع الاتفاقية: إن مهمته كانت تتمثل في ثلاثة محاور هي: «الإشراف على الانتخابات، ودعم الديمقراطية وتعزيز حقوق الإنسان، والمساعدة على تفعيل الاستقرار السياسي، والمصالحة في المنطقة». وقال: «الصرب لم يكونوا راضين باتفاق دايتون، وكانت بليانا بلافاشيتش عكس التيار السائد في صفوف الصرب، وتحديداً الحزب الديمقراطي الصربي الذي كان يقوده رادوفان كراذيتش.

ماذا قال الضحايا؟

وكانت محكمة لاهاي قد استمعت لثلاثة شهود بوسنيين، وتحدث مرصاد توكاتشا رئيس «اللجنة الحكومية لرصد جرائم الحرب» عن تهجير المسلمين من جميع المناطق التي سيطر عليها الصرب بما فيها المدن التي كانوا يمثلون فيها الأغلبية مثل فوتشا، وبنيالوكا، وسانسكي موست، وبريدور، وسريبرينتسا، وغيرها، حيث كانت تتراوح نسبة المسلمين بين ٥١ و ٨٠ ٪، وقال: «بعض العائلات قتل جميع أفرادها أو معظمهم، وهناك ٨٥٠ قرية محيت من على وجه الأرض ولم يبق لها أثر»، وتحدث عن قتل الأئمة، واغتصاب النساء، وقال: إنه في سنة ١٩٩٢م قتل ما لا يقل عن ٥٠ ألف نسمة، وكان الناس يعيشون في خوف وهلع، ومن لم يطرد كان ينتظر في كل لحظة من يطرق الباب ليقتله أو يهجره. وتحدث عن ١٤٠٠ مسجد تم هدمها، وقال: إن عدد القتلى في الحرب يفوق ٢٠٠ ألف نسمة. **وقال القاضي عادل دراغونوفيتش** الذي كان قاضياً في منطقة سانسكي موست سنة ١٩٩٢م: إن مجرمي الحرب خططوا ونفذوا وخرقوا القانون الدولي.. في ٣٧ بلدية أقيمت معسكرات اعتقال لغير الصرب، وكان أغلبية الضحايا من البوشناق المسلمين، وعدد قليل من الكروات، وبعض الصرب الذين رفضوا حمل السلاح وجميعهم تعرضوا للتعذيب البدني بشكل متفاوت حسب المستوى التعليمي والقومية. وروى القاضي كيفية اعتقاله ووضعه في السجن، حيث قالوا له إنه سيكون أول رأس يطيحون به، وقال إنه شاهد داخل المعتقل قتلى تمت تصفيتهم على يد الصرب، وقال إن «الذي كان يخرج من المعتقل يشترط عليه من قبل الصليب الأحمر أن يغادر البوسنة دون رجعة و يوقع على ذلك في وثائق». وقالت صديقة ابراهيم أفنديتش - أخصائية علم النفس في شهادتها: إن الحرب تسببت في أمراض نفسية وعصبية ستبقى ١٠٠ عام.

ورغم كل ما ارتكبته بليانا وغيرها من المجرمين الصرب، فقد وجد محاميها روبرت بافيتش الشجاعة ليطلب من المحكمة عدم إصدار حكم بالسجن على موكلته يزيد على ثماني سنوات، وكأنها لا تستحق الإعدام. ويقول البعض: إن المحكمة قد تصدر حكماً مخففاً على بليانا، ثم يُطلق سراحها بعد سنة أو أكثر تحت لافتة (الأسباب الصحية) و.. تحيا العدالة الدولية.■

كيف تحول الحرام المجمع عليه بين المجامع الفقهية إلى حلال؟!

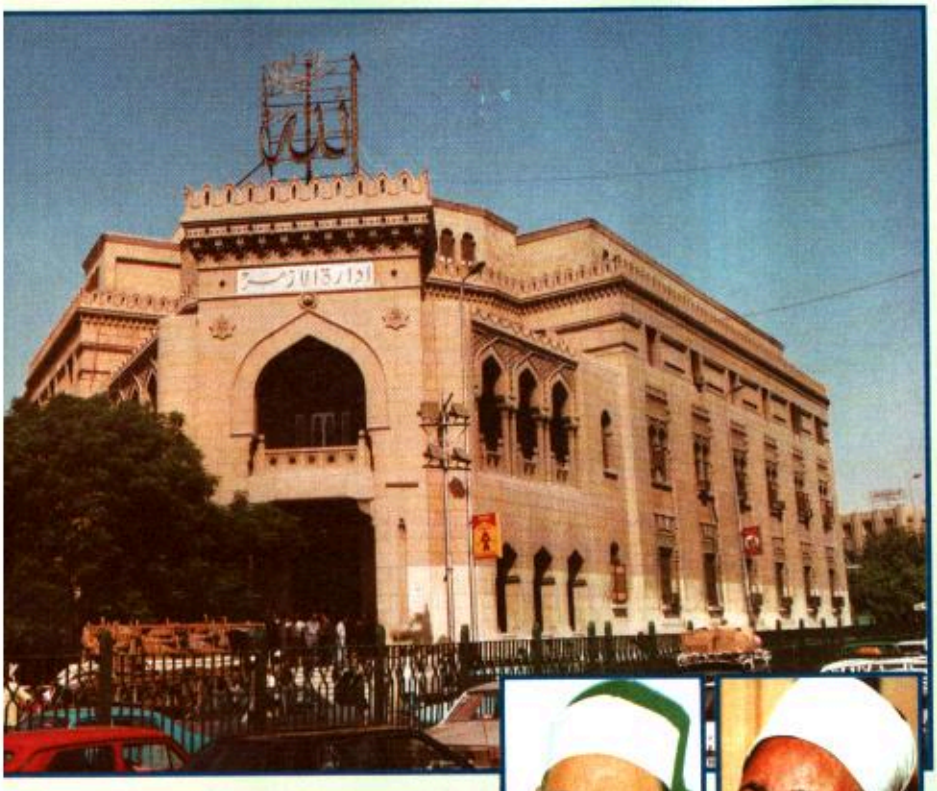

د. محمد سيد طنطاوي

د. أحمد عمر هاشم

د.علي محيي الدين القره داغي(*)

أجاز مجمع البحوث الإسلامية في مصر برئاسة الشيخ محمد سيد طنطاوي، فوائد البنوك الربوية، مخالفاً بذلك قرارات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٦٥ الذي حضره ممثلو خمس وثلاثين دولة إسلامية، وفتوى جبهة علماء الأزهر، وقرار مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي الذي حضره ممثلو جميع الدول الإسلامية مع أكثر من سبعين خبيراً في الفقه والاقتصاد في ديسمبر ١٩٨٥، وقرار المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وقرار هيئة كبار العلماء في السعودية، وقرارات المجمع الفقهي في السودان، و الهند، والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث وغيرها، وقرارات عدد من مؤتمرات الاقتصاد الإسلامي التي ضمت عدداً كبيراً من الفقهاء والاقتصاديين على مستوى العالم الإسلامي.

(*) أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول بجامعة قطر والخبير بالمجمع الفقهي بمكة المكرمة، وجدة وعضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

ولا أريد الخوض في الرد على القرار الأخير، بكلام أو فتوى من عندي، وإنما أود الرد عليه من خلال اتفاق جميع المجامع الفقهية المعتبرة في العالم على حرمة الفوائد البنكية، وأضع هذه القرارات والفتاوى الجماعية العالمية التي صدرت في أجواء حرة لم تهيمن عليها جهة لها مصلحة في إصدارها.

حيثيات القرار الجديد لمجمع البحوث الإسلامية

لم يكتف الاستعمار الحديث بالاحتلال المادي فقط، وإنما قام (من خلال جهود المستشرقين والمنصرين، والمتغربين) بغزو ثقافي فكري، وبغزو اقتصادي، وبغزو قانوني تشريعي، لذلك كان توجه الاستعمار - أينما حل - نحو تغيير الشريعة وأن تستبدل بها القوانين الوضعية، ولذلك لم يأل جهداً في إنشاء البنوك في العالم الإسلامي على نفس المنهج الرأسمالي اليهودي، فأنشئت البنوك وأطلقت شعارات تقضي بأنه: لا اقتصاد بدون بنوك، ولا بنوك بدون فوائد ربوية.

وقد ظهرت فتاوى فردية حول هذا الموضوع إلى حين صدور قرار حاسم بحرمة الفوائد الربوية البنكية من خلال المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة في شهر محرم ١٣٨٥هـ الموافق مايو ١٩٦٥م، وقد ضم المؤتمر آنذاك ممثلين ومندوبين عن خمس وثلاثين دولة، فكان اجتماعه نهاية لمرحلة، وبداية لمرحلة جديدة على طريق أداء الرسالة التي يقوم بها المجمع، وهي رسالة نشر المبادئ والثقافة الإسلامية، والتعريف بها في كل مجتمع وبيئة، ومع تجلياتها في صورتها الأصلية الصحيحة، والعمل على إيجاد الحلول للمشكلات التي تجد وتظهر في حياة المسلمين على أساس من مبادئ الإسلام ومثله، وفي ضوء ما جاء به الكتاب والسنة.

بهذه الروح التقى علماء الإسلام من مختلف البلاد الإسلامية وإخوانهم من أعضاء المجمع في المؤتمر الثاني، فألقيت البحوث ودارت المناقشات، وبحث المثير من المسائل التي تمس حياة المسلمين في شؤونهم وفي أقطارهم المختلفة.

هذا بيان المؤتمر الذي صدر به قراراته وتوصياته ونقتصر في هذا المجال على نشر ما قرره المؤتمر بالإجماع بشأن المعاملات المصرفية:

١ - الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي، وما يسمى بالقرض الإنتاجي لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.

٢ - كثير الربا وقليله حرام، كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿١٣٠﴾ ﴾ (آل عمران).

٣ - الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة، والاقتراض بالربا محرم كذلك، ولا يرفع إثمه إلاّ إذا دعت إليه الضرورة وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته.

٤ - أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل.. كل

إذا لم تكن فوائد البنوك التقليدية رباً فلا ربا في الإسلام اليوم!

لماذا لم يدعُ مجمع البحوث لمؤتمر فقهي اقتصادي لمناقشة الموضوع بنفس مستوى المؤتمر الثاني عام ١٩٦٥؟!

هذا من المعاملات المصرفية الجائزة، وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا.

٥ ـ الحسابات ذات الأجل، وفتح الاعتماد بفائدة، وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهي محرمة.

هذا ما انتهى إليه (مجمع البحوث الإسلامية) في مؤتمره الثاني من قرارات وتوصيات بشأن المعاملات المصرفية.. المؤتمر الذي ضم أعضاء مجمع البحوث وأعضاء الوفود الذين اشتركوا في هذا المؤتمر.

وبعد هذا القرار الحاسم بدأت بعض الدول الإسلامية والمستثمرون الملتزمون بالتفكير بالبديل الإسلامي المتمثل في إنشاء البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية، فكانت بداية التطبيق في مصر، من خلال بنك إسلامي في «ميت غمر»، ثم كان إنشاء بنك دبي الإسلامي عام ١٩٧٥، وبنك التنمية الإسلامية، وبيت التمويل الكويتي، ومجموعة بنوك فيصل الإسلامي، والبركة، ومصرف قطر الإسلامي، وبنك قطر الدولي الإسلامي، وغيرها حتى وصل عدد البنوك الإسلامية إلى أكثر من مائتي بنك، إضافة إلى أن معظم البنوك التقليدية فتحت فروعاً إسلامية، بل إن بعض البنوك الغربية الكبيرة أنشأت بنوكاً إسلامية مثل سيتي بنك إسلامي.

وتدل كل المؤشرات على نجاح هذه البنوك بما تنعكس آثار نجاحها على نجاح النظام الاقتصادي الإسلامي الذي أهمل ـ مع الأسف الشديد ـ على الرغم من أن كثيراً من المنصفين يقولون إنه الحل الوحيد للأزمات الاقتصادية التي يمر بها العالم.

ولم يثر هذا الموضوع إلاّ بعد مدة من وصول فضيلة الدكتور طنطاوي إلى دار الإفتاء المصرية، حتى أنه أصدر فتوى وهو في دار الإفتاء بحرمة الفوائد البنكية هذا نصها: (فتوى فضيلة مفتي الجمهورية بشأن تحريم فوائد البنوك بتاريخ ١٩٨٩/٢/٢٠:

(سؤال وارد إلى دار الإفتاء من المواطن يوسف فهمي حسين، وقيد برقم ٥١٥ / لسنة ١٩٨٩ يقول فيه: إنه قد أحيل إلى المعاش، وصرفت له الشركة التي كان يعمل بها مبلغ أربعين ألف جنيه، والمعاش الذي يتقاضاه لا يفي بحاجته الأسرية، ولأجل أن يغطي حاجيات الأسرة وضع المبلغ المذكور في بنك مصر في صور شهادات استثمار بعائد شهري حيث لم يعد هناك أمان لوضع الأموال في شركات توظيف الأموال.

وعندما فكر في وضعها في أي مشروع لم يجد، وخاصة أن حالته الصحية لا تسمح بالقيام بأي جهد، وقد قرأ تحقيقاً بجريدة أخبار اليوم، شارك فيه بعض المشايخ والعلماء الأفاضل بأن الودائع التي تودع في البنوك تخدم في مشاريع صناعية وتجارية، وأن هذه الشهادات الاستثمارية تدر عائداً حلالاً لا ربا.

وأنه رأى بعينه أن أحد البنوك الإسلامية يتعامل مع زوج ابنته نفس المعاملة التي تتعامل بها البنوك الأخرى، في حين أن البنوك الإسلامية تعطي أرباحاً أقل.

وحيث إنه حريص على أن لا يدخل بيته حراماً بعث إلى دار الإفتاء يستفسر عن رأي الدين في هذا الأمر، حيث إن بعض العلماء يقولون بأن العائد حلال، والبعض الآخر يقولون إنه ربا.

ماذا كان جواب الدكتور طنطاوي المفتي؟

الجواب بعد المقدمة: يقول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾ (البقرة)

ويقول الرسول ﷺ فيما روي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبُر بالبُر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء» (رواه أحمد والبخاري ومسلم).

وأجمع المسلمون على تحريم الربا، والربا في اصطلاح فقهاء المسلمين هو: زيادة مال في معاوضة مال بمال دون مقابل.

وتحريم الربا بهذا المعنى أمر مجمع عليه في كل الشرائع السماوية، لما كان ذلك، وكان إيداع الأموال في البنوك أو إقراضها أو الاقتراض باي صورة من الصور مقابل فائدة محددة مقدماً زمناً ومقداراً يعتبر قرضاً بفائدة، وكل قرض بفائدة محددة مقدماً حرام، كانت تلك الفوائد التي تعود على السائل داخلة في نطاق ربا الزيادة المحرم شرعاً بمقتضى النصوص الشرعية.

وننصح كل مسلم بأن يتحرى الطريق الحلال لاستثمار ماله، والبعد عن كل ما فيه شبهة حرام لأنه مسؤول يوم القيامة عن ماله من اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟.

مفتي جمهورية مصر العربية

توقيع / د. محمد طنطاوي

سجل ١٢٤/٤١ في ١٤ رجب ١٤٠٩هـ

الموافق ١٩٨٩/٢/٢٠

بداية التحول

ولم تمض فترة طويلة إلى أن أصدر فضيلة المفتي بياناً في ١٩٨٩/٩/٨ قال فيه بالنص: (إن دار الإفتاء المصرية تعتقد: أن الكلام عن المعاملات في البنوك والمصارف لا يؤخذ جملة واحدة، بأن يقال: إن المعاملات التي تجريها البنوك كلها حرام أو كلها حلال، وإنما يؤخذ الكلام عنها في صورة كل مسألة على حدة أو على الأقل يؤتى بالمسائل المتشابهة، ثم يصدر بشأنها الحكم الشرعي المناسب لها.

وذلك لأن المعاملات التي تجريها البنوك والمصارف، متعددة الجوانب، متنوعة الأغراض، مختلفة الوسائل والمقاصد.

ومع ذلك فإننا نستطيع أن نقول بصفة مجملة: إن هذه المعاملات:

ـ منها ما أجمع العلماء على أنها جائزة شرعاً، وعلى أن الأرباح التي تأتي عن طريقها حلال.

ـ ومنها ما اتفق العلماء على أنها غير جائزة شرعاً، وعلى أن الأرباح التي تأتي عن طريقها حرام.

ـ ومنها ما اختلف العلماء في شأنها وفي شأن أرباحها. ثم قال:

وما قلناه في شأن البنوك الاجتماعية، نقوله بشأن ما يوصف بالبنوك المتخصصة، كالبنوك الصناعية أو الزراعية أو العقارية أو ما يشبهها من تلك البنوك التي تقدم لأصحاب المشروعات المتنوعة النافعة، ما هم بحاجة إليه من أموال لتنمية مشروعاتهم ثم تأخذ منهم مقابل ذلك مبالغ مناسبة يقدرها الخبراء على أنها أجور أو مصروفات إدارية.

أقول: ما تأخذه البنوك من المتعاملين معها بتلك الصورة، جائز شرعاً ولا بأس به، لأنه أيضاً في مقابل خدمات معينة، تقدمه تلك البنوك للمتعاملين معها).

ونرى أن فضيلة المفتي أباح الأجور والمصروفات الإدارية للبنوك المتخصصة وهذا لا كلام فيه، وإنما الكلام حول موضوعين لهذه البنوك المتخصصة هما:

الأول: أن هذه البنوك لا تقوم بالمشاركة أو المساهمة في المشروعات المتنوعة، وإنما تقرض قروضاً بفوائد محددة، حيث تسترجع أموالها مع فوائدها سواء خسر المشروع أم ربح، فلا دخل لها بالربح والخسارة، والمشاركة، وتحمل الغرم في مقابل الغنم كما أجمع الفقهاء المسلمون على أن (الغنم بالغرم) استناداً إلى الحديث الصحيح القاضي بأن (الخرج بالضمان) رواه أحمد وأصحاب السنن بسند صحيح.

الثاني: أن هذه البنوك لا تكتفي بأخذ مقابل خدمات معينة، وإنما تحدد نسبة من الفوائد تفوق ذلك بكثير، بل هي زيادة على قرض ربوي في مقابل القرض المؤجل، وهو عين ربا الجاهلية (كما سيأتي).

خطوة أخرى

ثم تطور الوضع فأكثر، فأباح فوائد البنوك التقليدية من خلال كتابه المسمى (معاملات البنوك وأحكامها الشرعية) وقد قام بالرد عليه كبار علماء المسلمين وفقهائهم أمثال العلامة الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه (فوائد البنوك هي الربا المحرم) والدكتور علي السالوس في مجموعة من كتبه وجمع غفير من علماء الأزهر وغيرهم.

كما قمت بالرد عليه، ومناظرته في برنامج إذاعي لإذاعة قطر يسمى برنامج (قضايا وآراء) اقترح فضيلته عقد مؤتمر خاص بهذا الموضوع، ولكنه مع

الأسف الشديد لم يقم بذلك، بل ركز منذ حوالي ١٩٨٨ على تجميع من يؤيده في هذه الفتاوى في المؤسسات التي تتبع الأزهر ولذلك لم يعرض هذا الموضوع على مجمع البحوث منذ فتواه عام ١٩٨٩ إلى أن اطمأن إلى تأييد الغالبية فعرضه في ٢٠٠٢/١٠/٣١ برئاسته، إذ كانت جلسة المجمع التي أجازت فوائد البنوك الربوية قد ضمنت كلاً من:

١ - الدكتور محمد سيد طنطاوي، أستاذ التفسير، وشيخ الأزهر الحالي.

٢ - الدكتور محمود حمدي زقزوق، أستاذ الفلسفة، خريج ألمانيا، ووزير الأوقاف.

٣ - الدكتور عمر هاشم، أستاذ الحديث بالأزهر، ورئيس جامعة الأزهر.

٤ - الدكتور أحمد الطيب، أستاذ الفلسفة وخريج جامعة السوربون، مفتي مصر.

٥ - والدكتور محمد الراوي، أستاذ التفسير والحديث.

٦ - والدكتور عبدالمعطي بيومي، أستاذ الفلسفة، وعميد كلية أصول الدين.

٧ - المستشار بدر المنياوي.

٨ - والدكتور عبدالرحمن العدوي.

٩ - والدكتور طه أبو كريشه.

١٠ - والدكتور محمد إبراهيم الفيومي.

١١ - والدكتور محمد رجب الفيومي.

١٢ - والدكتور حسن عباس زكي.

١٣ - والدكتور عبدالفتاح الشيخ، أستاذ الفقه والأصول وعميد كلية الشريعة والقانون بالأزهر سابقاً، الذي عارض الفتوى ورفضها.

١٤ - والدكتور محمد رأفت عثمان، أستاذ الفقه المقارن، وعميد كلية الشريعة والقانون بالأزهر سابقاً، الذي رفض الفتوى جملة وتفصيلاً.

وهم متخصصون في علوم الفلسفة والتفسير، والحديث والقانون ونحو ذلك، ولذلك رفض المتخصصون في الفقه والأصول (أ.د. عبدالفتاح الشيخ وأ.د. محمد رأفت عثمان) هذه الفتوى، ولو جمع رئيس المجمع علماء الاقتصاد وفقهاء الشريعة لما انتابني أدنى شك بأنهم لن يوافقوا على ذلك.

ولذلك يثور التساؤل حول عدم قيام رئيس المجمع بعقد مؤتمر فقهي اقتصادي على غرار المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية في القاهرة عام ١٩٦٥ حتى يكون متقارباً من حيث الحجج والقوة للمؤتمر السابق، ناهيك عن المجامع الفقهية التي تضم مئات من كبار الفقهاء والاقتصاديين الذين حرموا الفوائد البنكية.

المعارضون لهذه الفتوى داخل الأزهر

لا يمكن حصر عدد المعارضين لهذه الفتوى داخل الأزهر، وداخل مصر، لكثرتهم، إذ سبق أن أعدت جبهة علماء الأزهر بياناً وقع عليه عشرات بل مئات على رفض الفتوى السابقة بحل الفوائد البنكية. حتى في هذه المرة صرح هؤلاء العلماء لمجلة المجتمع في عددها ١٥٢٧ الحادي عشر من رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ١٦ نوفمبر ٢٠٠٢ بما يأتي:

١ - يؤكد الدكتور رأفت عثمان أن صدور فتوى على هذا النحو يثير مشكلات كثيرة مع المجامع الفقهية في العالم الإسلامي، حسمت أمر المعاملات

إثارة الموضوع في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة تستحق أن توضع تحتها ألف علامة استفهام

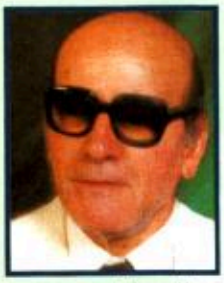

د. رأفت عثمان

الربوية بحرمة الفوائد البنكية باعتبارها الربا المذكور في القرآن.

٢ - ويوضح الدكتور حامد الجامع أن الفتوى السابقة الصادرة عن المجمع هي المرجع في هذه القضية، ولا داعي لإثارة الأمر مرة أخرى.

٣ - ويرى الدكتور أحمد طه ريان وكيل كلية الشريعة بالأزهر، أن معاملات البنوك التقليدية هي الربا المحرم شرعاً، والثابت حرمته بإجماع علماء الفقه والشريعة في العالم الإسلامي منذ ظهور هذه البنوك حتى الآن، مستغرباً القول بإجازة تحديد الفائدة مسبقاً تحت أي تسمية!

وقال الدكتور ريان إن أي قرار يصدر عن المجمع لا بد أن يأخذ في الاعتبار ما سبقه من اجتهادات وفتاوى حتى لا يصطدم معها وتحدث البلبلة، كما أنه من الضروري أن يراعي القرارات الصادرة من المجامع.

٤ - بينما يقول الدكتور عبدالحميد الغزالي، أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة القاهرة: من المعلوم أنه ثابت شرعاً أي قرض جر نفعاً فهو الربا المحرم شرعاً... والفوائد المصرفية دائنة أو مدينة تعد من ربا الدين أي الزيادة مقابل الأجل وهو ما يسمى بالربا القرآني أو الجلي أو الجاهلي، وهو المحرم بنص الكتاب والسنة والإجماع.. بل كان يعد في الجاهلية من الكسب الخبيث.

٥ - ويؤكد الدكتور حسين شحاته، الأستاذ بجامعة الأزهر أن جامعات أمريكا وأوروبا تدرس تجربة المصارف الإسلامية، ونظام عملها، ودليلنا على نجاح البنوك الإسلامية التنامي الكبير لها، كما أن عدد المؤسسات النقدية الإسلامية يزيد على الألف، كما أن حجم تعامل العمل المصرفي الإسلامي يصل إلى مئات المليارات من الدولارات يستفيد منه ملايين المتعاملين في كل الأنشطة الاقتصادية زراعية وصناعية وتجارية ومختلف الأنشطة الخدمية.

كما صرح بعض هؤلاء العلماء وغيرهم لشبكة إسلام أون لاين بما يأتي:

أكد الدكتور محمد رأفت عثمان عضو مجمع البحوث الإسلامية أنه رفض الموافقة على فتوى تحليل فوائد البنوك، موضحاً أنها حرام مطلقاً، لأنها وعلى فرض أنها ليست ربا فإنها من المضاربة الفاسدة. وأوضح: أن المضاربة الإسلامية معناها أن يكون هناك اتفاق بين رب المال وفرد أو جهة معينة تستثمر هذا المال على أن يكون لهذه الجهة نسبة من الربح، أما تحديد مبلغ معين من المال كما هو متبع في البنوك لأي من الطرفين فهو يؤدي إلى فساد المضاربة كأحد طرق استثمار المال.

وأضاف أنه لو فرض أن وضع المال في البنوك هدفه الاستثمار فإن تحديد الربح مسبقاً يؤدي إلى الغرر المنهي عنه شرعاً، لأن فيه ضياعاً لنصيب أحد الطرفين، مبيناً أن اعتراضه على الفتوى يتأسس على قاعدة مردها أن فوائد البنوك المحدد سلفاً لا تجوز شرعاً ولا تتفق مع تعاليم الدين الإسلامي، كما لا يمكن اعتبارها نوعاً من المضاربة الإسلامية.

ويذكر أن فتوى فوائد البنوك الأخيرة لم يتم عرضها أو مناقشتها داخل لجنة البحوث الفقهية، مع أنها اللجنة المتخصصة والمختصة بمناقشة مثل هذه القضية لتجديد الحكم الشرعي فيها، ثم عرضها على مجلس مجمع البحوث الإسلامية.

أما ردود الفعل على هذه الفتوى في الخارج فكانت كبيرة، حتى قال فضيلة العلامة الشيخ القرضاوي في معرض رده عليها: ما الذي جعل الحرام المتفق عليه بين مجمع البحوث والمجامع الفقهية حلالاً؟

فقد نشرت الراية القطرية ما يأتي:

(تعجب فضيلة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي مما سمع به من أن فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر قد استصدر

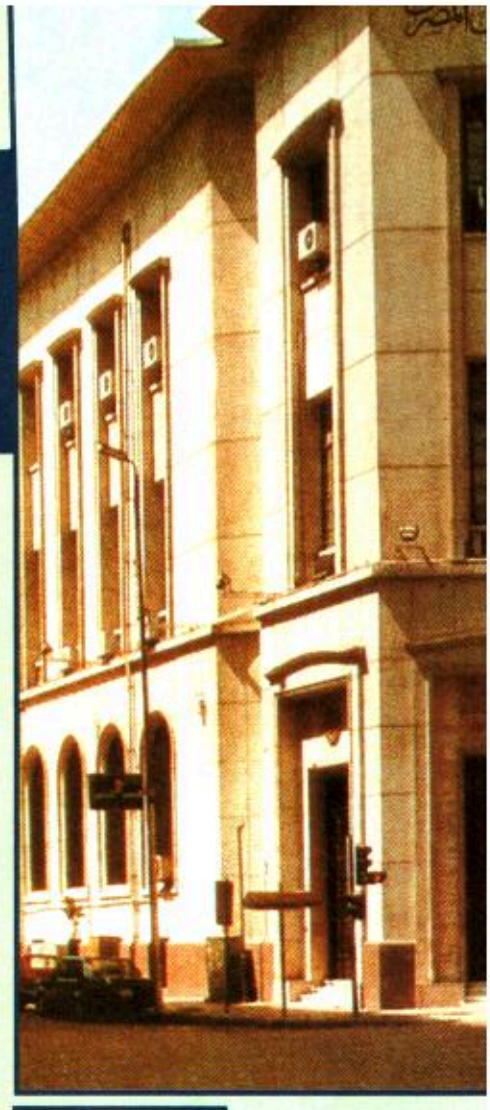

لماذا لم يعرض مجمع البحوث الإسلامية قراره الأخير على لجنة البحوث الفقهية؟؟

قراراً من مجمع البحوث الإسلامية يحل فيه فوائد البنوك المحددة سلفاً والذي وافق عليه أعضاء المجمع ما عدا رئيس اللجنة الفقهية، وقال د.القرضاوي: الذي أعلمه أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر هو أول مجمع يقرر بصراحة ووضوح أن فوائد البنوك هي الربا الحرام، وكان ذلك في عام ١٩٦٥ برئاسة الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر، وعضوية المشايخ الكبار محمد أبوزهرة، وعلي الخفيف وفرج السنهوري، ومحمد علي السايس، وعبدالله المشد وغيرهم من العلماء الكبار، وقد أكدت هذا الأمر المجامع الفقهية الإسلامية التي نشأت بعد ذلك مثل المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي والمجمع الفقهي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، والذي يمثل الأمة الإسلامية، أيدت هذه المجامع قرار مجمع البحوث الإسلامية وساندته كل المؤتمرات التي عقدت عن الاقتصاد الإسلامي، والبنوك الإسلامية التي عقدت في بلدان العالم الإسلامي المختلفة مثل مؤتمر الفقه الإسلامي في دبي، وفي الرياض والمؤتمر العالمي للفقه الإسلامي في مكة.

د. يوسف القرضاوي

وعن سبب صدور القرار الأخير قال: لا أدري ما وجهة النظر التي جعلت مجمع البحوث الإسلامية يغير رأيه، وما تلك الأدلة التي غيرت القرار القديم، وما الذي جد حتى يصبح المحرم حلالاً؟ ونحن هنا نذكر نصوص قرارات المجامع والمؤتمرات الاقتصادية حتى يكون القارئ على بينة من الأمر:

قرار مجمع رابطة العالم الإسلامي: بشأن موضوع تفشي المصارف الربوية وتعامل الناس معها وحكم أخذ الفوائد الربوية

.. فإن مجلس المجمع الفقهي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢ رجب ١٤٠٦هـ إلى يوم السبت ١٩ رجب ١٤٠٦هـ قد نظر في موضوع (تفشي المصارف الربوية وتعامل الناس معها، وعدم توفر البدائل عنها) وهو الذي أحاله إلى المجلس معالي الأمين العام نائب رئيس المجلس.

وقد استمع المجلس إلى كلام السادة الأعضاء حول هذه القضية الخطيرة، التي يقترف فيها محرم بيّن، ثبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع، وأصبح من المعلوم من الدين بالضرورة، واتفق المسلمون كافة على أنه من كبائر الإثم والموبقات السبع، وقد آذن القرآن الكريم مرتكبيه بحرب من الله ورسوله، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين (٢٧٨) فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (٢٧٩) ﴾ (البقرة).

وقد صح عن النبي ﷺ قوله «لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء» (رواه مسلم).

كما روى ابن عباس عنه: «إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل» وروى نحوه ابن مسعود.

وقد أثبتت البحوث الاقتصادية الحديثة أن الربا خطر على اقتصاد العالم وسياسته، وأخلاقياته وسلامته، وأنه وراء كثير من الأزمات التي يعانيها العالم، وألا نجاة من ذلك إلاّ باستئصال هذا الداء الخبيث الذي هو الربا من جسم العالم، وهو ما سبق به الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.

ومن نعم الله تعالى أن المسلمين بدءوا يستعيدون ثقتهم بأنفسهم ووعيهم لهويتهم، نتيجة وعيهم لدينهم، فتراجعت الأفكار التي كانت تمثل مرحلة الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، ونظامها الرأسمالي، والتي وجدت لها يوماً من ضعاف الأنفس من يريد أن يفسر النصوص الثابتة الصريحة قسراً لتحليل ما حرم الله ورسوله.

وقد رأينا المؤتمرات والندوات الاقتصادية التي عقدت في أكثر من بلد إسلامي، وخارج العالم الإسلامي أيضاً، تقرر بالإجماع حرمة الفوائد الربوية وتثبت للناس إمكان قيام بدائل شرعية عن البنوك والمؤسسات القائمة على الربا.

ثم كانت الخطوة العملية المباركة، هي إقامة مصارف إسلامية خالية من الربا والمعاملات المحظورة شرعاً، بدأت صغيرة ثم سرعان ما كبرت، ثم سرعان ما تكاثرت حتى بلغ عددها الآن في البلاد الإسلامية وخارجها أكثر من تسعين مصرفاً.

وبهذا كذبت دعوى العلمانيين وضحايا الغزو الثقافي الذين زعموا يوماً أن تطبيق الشريعة في المجال الاقتصادي مستحيل، لأنه لا اقتصاد بغير بنوك، ولا بنوك بغير فوائد.

وقد وفقه الله بعض البلاد الإسلامية مثل باكستان لتحويل بنوكها الوطنية إلى بنوك إسلامية لا تتعامل بالربا أخذاً ولا عطاءً، كما طلبت من البنوك الأجنبية أن تغير نظامها بما يتفق مع اتجاه الدولة، وإلاّ فلا مكان لها، وهي سنة حسنة لها أجرها وأجر من عمل بها إن شاء الله.

ومن هنا يقرر المجلس ما يلي:

أولاً: يجب على المسلمين كافة أن ينتهوا عما نهى الله تعالى عنه من التعامل بالربا، أخذا وعطاء، والمعاونة عليه بأية صورة من الصور، حتى لا يحل بهم عذاب الله، وحتى لا يؤذنوا بحرب من الله ورسوله.

ثانياً: ينظر المجلس بعين الارتياح والرضا إلى قيام المصارف الإسلامية، التي هي البديل الشرعي للمصارف الربوية، ويعنى بالمصارف الإسلامية كل مصرف ينص نظامه الأساسي على وجوب الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء في جميع معاملاته ويلزم إدارته بوجوب وجود رقابة شرعية ملزمة.

ويدعو المجلس المسلمين في كل مكان إلى مساندة هذه المصارف وشد أزرها، وعدم الاستماع إلى الإشاعات المغرضة التي تحاول أن تشوش عليها، وتشوه صورتها بغير حق.

ويرى المجلس ضرورة التوسع في إنشاء هذه المصارف في كل أقطار الإسلام، وحيثما وجد للمسلمين تجمع خارج أقطاره، حتى تتكون من هذه المصارف شبكة قوية تهيئ لاقتصاد إسلامي متكامل.

ثالثاً: يحرم على كل مسلم يتيسر له التعامل مع مصرف إسلامي أن يتعامل مع المصارف الربوية في الداخل أو الخارج، إذ لا عذر له في التعامل معها بعد وجود البديل الإسلامي، ويجب عليه أن يستعيض عن الخبيث بالطيب ويستغني بالحلال عن الحرام.

رابعاً: يدعو المجلس المسؤولين في البلاد الإسلامية والقائمين على المصارف الربوية فيها إلى المبادرة الجادة لتطهيرها من رجس الربا، استجابة لنداء الله تعالى: ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ وبذلك يسهمون في تحرير مجتمعاتهم من آثار الاستعمار القانونية والاقتصادية.

خامساً: كل مال جاء عن طريق الفوائد الربوية هو مال حرام شرعاً، لا يجوز أن ينتفع به المسلم - مودع المال - لنفسه أو لأحد ممن يعوله في أي شأن من شؤونه، ويجب أن يصرف في المصالح العامة للمسلمين، من مدارس ومستشفيات وغيرها، وليس هذا من باب الصدقة وإنما هو من باب التطهر من

الحرام. ولا يجوز بحال ترك هذه الفوائد للبنوك الربوية، للتقوي بها، ويزداد الإثم في ذلك بالنسبة للبنوك في الخارج، فإنها في العادة تصرفها إلى المؤسسات التنصيرية واليهودية، وبهذا تغدو أموال المسلمين أسلحة لحرب المسلمين وإضلال أبنائهم عن عقيدتهم، علماً بأنه لا يجوز أن يستمر في التعامل مع هذه البنوك الربوية بفائدة أو بغير فائدة.

كما يطالب المجلس القائمين على المصارف الإسلامية أن ينتقوا لها العناصر المسلمة الصالحة، وأن يوالوها بالتوعية والتفقيه بأحكام الإسلام وآدابه حتى تكون معاملاتهم وتصرفاتهم موافقة لها.

والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي بشأن حكم التعامل المصرفي بالفوائد وحكم التعامل بالمصارف الإسلامية:

أما بعد: فإن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة ١٠ـ ١٦ ربيع الثاني ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ ـ ٢٨ ديسمبر ١٩٨٥م، بعد أن عرضت عليه بحوث مختلفة في التعامل المصرفي المعاصر وبعد التأمل فيما قدم ومناقشته مناقشة مركزة أبرزت الآثار السيئة لهذا التعامل على النظام الاقتصادي العالمي، وعلى استقراره خاصة في دول العالم الثالث.. وبعد التأمل فيما جره هذا النظام من خراب نتيجة إعراضه عما جاء في كتاب الله تعالى من تحريم الربا جزئياً وكلياً تحريماً واضحاً بدعوته إلى التوبة منه، وعلى الاقتصار على استعادة رؤوس أموال القروض دون زيادة أو نقصان قل أو كثر، وما جاء من تهديد بحرب مدمرة من الله ورسوله للمرابين. **قرر أن:**

أولاً: كل زيادة (أو فائدة) على الدين الذي حل أجله وعجز المدين عن الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة (أو الفائدة) على القرض منذ بداية العقد.. هاتان الصورتان ربا محرم.

ثانياً: البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة على النشاط الاقتصادي حسب الصورة التي يرتضيها الإسلام ـ هي التعامل وفقاً للأحكام الشرعية ـ ولا سيما ما صدر عن هيئات الفتوى المعنية بالنظر في جميع أحوال التعامل التي تمارسها المصارف الإسلامية في الواقع العملي.

ثالثاً: قرر المجمع التأكيد على دعوة الحكومات الإسلامية إلى تشجيع المصارف الإسلامية القائمة والتمكين لإقامتها في كل بلد إسلامي لتغطي حاجة المسلمين كيلا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه ومقتضيات عقيدته.

مبررات القرار الجديد

نشرت شبكة إسلام أون لاين في ١٤ نوفمبر ٢٠٠٢ أن الأعضاء المجيزين للفوائد البنكية ذكروا أن مبرراتهم في هذه الفتوى هي ما يأتي:

وفي سياق بيان مبررات الإباحة أكد أعضاء المجمع أنهم أجازوا استثمار الأموال في البنوك مع تحديد العائد مقدماً على اعتبار أنها نوع من الوكالة،

ربط النصوص الشرعية القطعية وإجماع الفقهاء في الربا بالحكم والمصالح الموهومة فتح باباً خطيراً لبقية النصوص الشرعية الأخرى

وأن الأموال التي تودع في البنوك تدخل في التنمية والصناعات الوطنية، وتمثل جزءاً منها في اقتصاد الدولة، وبالتالي لا توجد هناك شبهة ربا أو استغلال طرف لآخر.

وقال الدكتور عبدالمعطي بيومي عضو المجمع: «إن ما أجازه مجمع البحوث الإسلامية وتم إقراره حتى الآن هو استثمار الأموال في البنوك مع تحديد العائد مقدماً حلال، وبالتالي فإن إجازة التعامل مع البنوك التي تحدد العائد أو الريح مقدماً تركز على الاستثمار، وعلى تحديد العائد وليس على معنى الفائدة، وهذا لا شيء فيه شرعاً».

وأضاف عبدالمعطي: «إن استثمار البنوك لأموال الأفراد استثماراً حلالاً نظير تحديد عائد مقدماً يدخل في باب الوكالة، كما أنه يحمي المال من فساد الذمم التي قد تؤدي إلى ضياع أرباح المال المستثمر» مشيراً إلى أن «تحديد الفائدة يضمن ألا يضيع العائد أو الربح على صاحب المال، وأن الأزهر سيصدر الفتوى الخاصة بالبنوك بصياغتها النهائية بعد أن يتم تمحيصها جيداً».

وأشار الدكتور محمد إبراهيم الفيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية إلى أن: «جواز تحديد الأرباح مقدماً للأموال داخل البنوك له وجهة وهي أنه لا ربا بين الدولة ورعاياها، وعليه فإن التعامل مع البنوك المحددة للفائدة جائز على اعتبار أن البنوك الضامن الأول لها هو الدولة، هذا بالإضافة إلى أن المال الذي يوضع في البنوك يدخل في التنمية والصناعات الوطنية، مما يجعل استثمار الأموال في البنوك محققاً لتنمية شاملة للوطن».

وأضاف الفيومي أن «قرار مجمع البحوث الإسلامية صحيح شرعاً، حيث إن التعامل مع البنوك المحددة للفائدة مسبقاً لا يوجد فيه تعامل الفرد مع الفرد، والدائن والمدين، كما أن معنى استغلال الدائن للمدين ليس وارداً في هذا التعامل» مشيراً إلى أن «معاملات البنك بالأرباح مع الأفراد أصحاب الأموال يجعل البنك وكيلاً في هذه الأموال لاستثمارها، والوكالة مشروعة إسلامياً».

لا جديد أبداً فيما ذكروه

ذكر هؤلاء الأعضاء أن مبرراتهم في هذه الفتوى هي:

١ ـ أن الفوائد البنكية قائمة على عقد الوكالة بين البنك والعميل، فالبنك وكيل عن العميل.

٢ ـ أنه لا ربا بين الدولة رعاياها.

والرد على ذلك فيما يأتي:

أولاً: أن التكييف القانوني في مصر وفرنسا وغيرهما لعقد الوديعة في البنوك التقليدية هو عقد القرض وهذا أكبر رد على من يقول إن العلاقة بين البنك والعميل علاقة وكالة، وذلك لأن العقد الذي يوقع بين الطرفين إلى يومنا هذا هو عقد قرض بفائدة محددة، فالعميل حينما يودع مبلغاً لدى البنك، فإنه يقرضه قرضاً مضموناً بفائدة محددة مضمونة، فأين الوكالة في هذا العقد، حيث يأخذ العميل المقرض نسبة مئوية من المال المودع لدى البنك، ففي مقابل أي شيء يأخذها؟ وأين دوره في الوكالة؟ وما الذي يقدمه العميل للبنك حتى يأخذ منه أجراً؟ وأين مصروفاته الإدارية؟ فالعميل قد جاء ووضع مليون ريال وديعة في البنك، ثم في آخر السنة يأخذ رأس ماله و٥٪ مثلاً زيادة على رأس ماله.

ويبدو أن هؤلاء الإخوة نسوا هذا الجانب، وركزوا على ما يأخذه البنك من فوائد ربوية، حيث إنه في حالة البنك مقترضاً من العميل فلا مجال أصلاً لتكييف هذه النسبة على أساس الأجر في الوكالة في مقابل المصروفات الإدارية.

وكذلك الأمر عندما يقرض البنك العميل ويأخذ نسبة من الفوائد الربوية حيث إن العلاقة هي علاقة عقد القرض في الشريعة والقانون.

وقد حسم التقنين المدني المصري الخلاف في طبيعة الودائع في البنوك الربوية حيث كيفها على أنها قرض فقد نصت المادة ٧٢٦ على أنه: (إذا كانت الوديعة مبلغاً من النقود أو أي شيء آخر مما يهلك بالاستعمال وكان المودع عنده مأذوناً له في استعماله اعتبر العقد قرضاً).

وقد علق العلامة الدكتور فرج السنهوري على ذلك بقوله: (وقد يتخذ القرض صوراً مختلفة أخرى غير الصور المألوفة، من ذلك إيداع نقود في مصرف، فالعميل الذي أودع النقود هو المقرض، والمصرف هو المقترض ...) الوسيط للسنهوري ٥٧/٤٣٥.

وقد أكد ذلك فقهاء القانون والاقتصاد (يراجع: كتاب عمليات البنوك من الوجهة القانونية للدكتور علي جمال الدين عوض / ص: ٢٠ ـ ٢٨).

وقد أكد هذا المعنى بالإجماع مع الحكم بتحريم الفوائد البنكية المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي الذي حضره عدد كبير من فقهاء الشريعة، وعلماء الاقتصاد والقانون عام ١٣٩٦ هـ.

ولذلك كان من المفروض على هؤلاء الأساتذة أن يرجعوا إلى علماء القانون والاقتصاد لبيان التكييف القانوني والاقتصادي لعقد الوديعة في البنوك الربوية وإن لم يرجعوا إلى المتخصصين في الفقه الإسلامي والاقتصاد الإسلامي.

ومن جانب آخر، فإن الوكيل غير ضامن بالإجماع في الشريعة (انظر المغني لابن قدامة: ٥/١٠٢ ـ ١٠٣) و(القانون الوسيط ٧/٤٦٨) **إلا في حالات التعدي والتقصير، في حين أن البنك ضامن بإجماع القانونيين عن المبلغ الذي اقترضه من العميل مع الفائدة المحددة، وأن العميل أيضاً ضامن عن المبلغ الذي اقترضه من البنك مع الفائدة المحددة** مهما كانت الأمور، ومهما خسر العميل.

ثانياً: ادعى بعضهم أن تحديد العائد مقدماً يعود

إلى الاستثمار:

وهذا الادعاء يعود إلى عدم المعرفة بطبيعة التعامل في البنوك الربوية، فقد ذكر علماء القانون والاقتصاد **أن الوظيفة الرئيسة للبنوك التقليدية هي الاقتراض والإقراض بفائدة، وخلق الائتمان، فهي مؤسسة تقوم على التجارة في القروض والديون، وأنها ممنوعة بحكم القوانين من الاستثمار والتجارة بأموال المودعين، وأن نظرة بسيطة على ميزانية أي بنك تقليدي تكشف بوضوح أنه يقوم على الإقراض والاقتراض وخلق الائتمان بصورة أساسية إضافة إلى بعض خدمات لا يذكر حجمها أمام حجم القروض والديون**، كما أن عقود هذه البنوك تنص على أن العلاقة هي القرض، فيوجد فيها العقد النمطي الذي يسمى (عقد قرض) ثم ينص فيه على أنه (يحتسب على قيمة القرض فائدة مركبة سعرها كذا سنوياً تقيد على حسابنا شهرياً).

ونحن نرجو من هؤلاء الأساتذة أن يسألوا البنك المركزي المصري، أو أي بنك مركزي آخر: هل يجوز للبنوك الربوية ممارسة التجارة والاستثمار المباشر، والبيع والشراء بأموال المودعين؟.

وذلك لأن الجواب يكون بالنفي قطعاً، فلا يسمح لأي بنك ربوي أن يتاجر بأموال المودعين أبداً، لأنه ضامن لها، فلا بد أن يعطيها للمقترضين بفائدة أكبر من الفائدة التي يعطيها للمقرض.

ثالثاً: أما القول بأن التعامل الربوي هو بين الدولة وأبنائها فلنا عليها الملاحظات التالية:

١ ـ أن معظم البنوك ليست للدولة، بل للمساهمين، أو من القطاع المختلط المشترك بين الطرفين، وبالأخص في عصر الخصخصة أصبحت معظم البنوك مملوكة للمساهمين.

٢ ـ هذا الكلام الذي اعتبروه مثل القاعدة ليس له أصل في الشرع ولا بين الفقهاء، وأنه لا يجوز قياس الدولة على الوالد في علاقته المالية بولده على رأي من يقول إن مال الولد للوالد وبالتالي فلا ربا بين أموال الشخص الواحد.

وذلك لأن جمهور الفقهاء على أن الربا يوجد بين الوالد والولد، لأن ذمة الولد مستقلة، وبالتالي يحرم الربا بين الوالد والولد.

وأما من قال، إنه لا ربا بين الوالد والولد فهذا ينطلق من أن الوالد يملك أموال أولاده، وهذا (مع أنه قول ضعيف) لا يصح أن يكون أصلاً لقياس الدولة عليه من عدة وجوه من أهمها: أن الدولة لا تملك أموال الأفراد قطعاً وبالإجماع لدى الفقهاء، وحينئذ أصبح القياس فاسداً غير مستقيم.

ومن جانب آخر فإن المفروض في الدولة الإسلامية أن تكون القدوة في الالتزام بأوامر الله تعالى، وشرعه قبل الأفراد، وإلا فكيف ترتكب المحرمات وتفعل ما أذن الله فيه بالحرب ثم تقول للناس: اتركوا الربا، فمن أولى واجبات الدولة أن تمنع الربا، كما قال ابن عباس (من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن لم ينزع، وإلاّ ضرب عنقه) تفسير الطبري ٦/٢٢٥ والدر المنثور ١/٣٦٦. ■

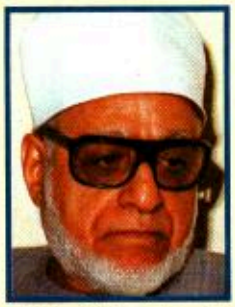

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ـ يرحمه الله

وأخيراً ننقل رد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السابق ـ الشيخ جاد الحق ـ على الدكتور طنطاوي حين كان مفتياً وهذا نصه:

...وبعد فإن بعض الصحف نشرت كلمة حول (الفوائد المصرفية) و(الشهادات البنكية)، وانعقدت ندوات هنا وهناك للحديث في هذه الأمور بمعايير متباينة دون دراسة عميقة لواقع تلك المعاملات متناسين أو متجاهلين أن الحكم الشرعي المنتسب إلى أصول الإسلام وقواعده في القرآن والسنة قد أوضحه العلماء في أقطار المسلمين وجرت في شأنه فتواهم الجماعية حتى صار في حكم الأمر المعلوم من الدين بالضرورة ويعلو على الأمور المختلف عليها.

وقد وقع القول الفصل من مؤتمر علماء المسلمين المنعقد في شهر المحرم ١٣٨٥هـ ـ مايو ١٩٦٥ بهيئة مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الذي من مهامه بحكم قانون الأزهر (بيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية) والذي شارك فيه العديد من رجال القانون والاقتصاد والاجتماع من مختلف الأقطار حيث كان من قرارات هذا المؤتمر إجازة بعض صور التامين التعاوني ونظام المعاش الحكومي وما شابهه من نظم الضمان الاجتماعي، وفي شأن المعاملات المصرفية كان نص القرار:

١ ـ (الفائدة) على أنواع القروض ربا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي، وما يسمى بالقرض الإنتاجي، لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة بتحريم النوعين.

٢ـ كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ (آل عمران:١٣٠).

٣ ـ الإقراض بالربا المحرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة، والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته.

٤ ـ أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل، كل هذه المعاملات المصرفية الجائزة، وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا.

٥ ـ الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية.

٦ ـ أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أجل النظر فيها إلى أن يتم بحثها.

أقبعد هذا تدبج المقالات طلباً للحوار، وتعقد الندوات للبحث فيما انتهى فيه الرأي الجماعي لعلماء المسلمين مستنداً إلى القرآن والسنة.

إن هذا الذي تناقلته الصحف من أنباء وآراء إثارة لموضوعات قد حسمت واستبان فيها الحكم الشرعي على هذا الوجه، وكان الأولى بهؤلاء وأولئك أن يكتبوا ويجتمعوا للمداولة في أمور لم تحسم بعد كشهادات الاستثمار التي أصر مصدروها على عدم التعرض للقرارات الوزارية المنظمة لها، والتي هي بمثابة العقد لها، وتوقفوا عن قبول أي تعديل للصيغة لتتوافق مع العقود الشرعية وتخلو من الفائدة الربوية الصريحة، وهم مع هذا الموقف يتنادون إلى إسباغ حكم إسلامي عليها بالحل دون أن يدرسوها كعقد من العقود التي وضع الرسول ﷺ قاعدتها في قوله الشريف الذي رواه الترمذي وجاء فيه: (...والمسلمون على شروطهم إلاّ شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراماً..).

إن الأزهر الشريف يضع أمام الناس جميعاً قرارات مؤتمر علماء المسلمين الجماعية في عام ١٣٨٥/١٩٦٥م فيما يحل وما يحرم في شأن الفوائد على القروض، وبعض أعمال البنوك على الوجه المفصل آنفاً.

وقد دعا هذا المؤتمر علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد إلى إعداد ودراسة بديل إسلامي للنظام المصرفي الحالي، فهل تداولت هذه الندوات في هذا الشأن، وهل تصدت تلك المقالات لما أرجئ البت فيه لمزيد من الدراسة والبحث.؟!

ذلك ما لم يحدث، وإنه من الحق أن نلتمس الهداية إلى الصواب من الله سبحانه الذي قال في كتابه الكريم في سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾، وفي سورة التوبة الآية ١٢٩: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.■

شيخ الأزهر

الخفي التقي

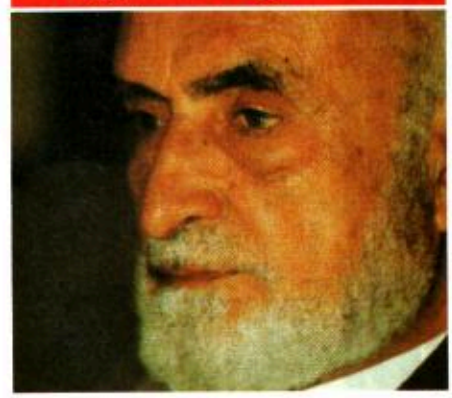

الشيخ مصطفى مشهور - يرحمه الله

أ.د. حامد بن محمود آل إبراهيم

كان الشيخ مصطفى مشهور - ولا نزكّي على الله أحداً - نسيجاً قائماً بذاته، أهلّته دراسته وعمله كمتنبئ بالأحوال الجوية، على ملاحظة الواقع وسماته وتقدير أحواله، ومن ثمّ محاولة الاستنباط والاستنتاج لما يمكن أن يكون ويحدث.

تكاثفت وترابطت تلك المؤهلات لصقل موهبة القيادة المستشرفة للغد، فإذا تأزرت معها أصول القرآن وهَدْيُ النبوة، توثقت عُرى الدراسة بهدي الواحد الأحد.

وتحضرني حادثة في نحو عام ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م في ألمانيا، حين تم لقاء للجماعات الطلابية في مدينة «كاسل». وقد دعي عدد من العلماء والمفكرين من العالم الإسلامي والعربي ودول الخليج قاموا بإلقاء المحاضرات والدروس، التي تلهم الشباب رشدهم وأصول دينهم، من علماء ثقات فيبصّرون المستمعين ويأخذون بأيديهم إلى شاطئ الأمان، بلا غلو، وبلا تفريط ولا إفراط.

وقد عجزت عن حضور اليوم الأول، لكني تمتعت باللقاء والحضور في اليوم الثاني، ولما جنّ الليل وصعدنا للنوم في غرفات، وقاعات، أُعدت لاستضافة الشباب، دخلت القاعة فإذا الشباب قد تحلّقوا حول رجل تبدو عليه سمة الوقار، وهدوء القادة ورصانتهم، فلمّا لمحني متوجهاً إليه، قام ليلقاني تواضعاً، ومثله يُسعى إليه.

وجلست من الجالسين، يسألونه ويجيبهم، ويحاورونه ويحاورهم برفق وعلم وحنكة وحزم.

فلمّا انفض الجمع للنوم، إذا بالشباب ينسلون إليّ واحداً تلو الآخر، يسألونني من هذا الرجل العجيب؟

فقلت: هو الأستاذ مصطفى مشهور.

قالوا: لقد عرفنا باسمه.

قلت: فماذا تريدون مني.

قالوا: من هذا المصطفى المشهور، الاسم لا يخبرنا بشيء، قد رأيناه يعرفك، واستحيينا أن نسأله عن نفسه.

قلت: أجيبوا عن سؤالي أولاً أخبركم عنه تفصيلاً فهو شيخنا وصديق قديم.

قالوا: اسأل.

قلت: ما العجيب والعجب الذي أثار اهتمامكم؟

قالوا: شكله، وموضوعه، فهو مهيب الشكل، لكنه لين الجانب، عالم ومرب.. قضينا معه يوماً وليلة فقط قبل حضورك، فجذبنا إليه بطريقة عجيبة، إذا حادثته لا تمل من حديثه، وإذا سألته أجابك بالجواب الذي تطمئن إليه ويشبع حاجاتك دون تكلف، ولكن العجب العجاب أنه لم يكن من المحاضرين ولا من الذين صعدوا على المسرح!.

قلت: الأستاذ مصطفى مشهور هو من العاملين الجادين، خفي تقي، له إسهاماته العديدة في جماعة الإخوان المسلمين في مصر الشقيقة، وقد تولى كثيراً من المهام والأعباء على المستوى القطري والمستوى العالمي، وهو كما رأيتموه قوام الليل قارئ للقرآن، يألف ويؤلف، إذا رأيته أحببته ولا تملك إلا أن تحبه، متواضع جم في تواضعه، وكما رأيتم، قام للقائي وما كان لمثله أن يقوم لي وأنا في سن أبنائه، وقد كان يسعني منه وهو يتكلم معكم أن ينظر لي بابتسامة حتى ينهي حديثه، هذا هو العالم العامل مصطفى مشهور عليه رحمة الله. ■

عزّ السجين

في رثاء الشيخ مصطفى مشهور

شعر: محمد عبد الله بن الشيباني

على نهج أهل الهدى الأولين ... وسيرة إخوانك المخلصين
وفوق عوالي الخطوب عبرت ... لفجر قد اسفر للملهمين
نظرت إلى أمة غالها ... مع الجهل، مبتدعات السنين
و إخلادها لأراضي الخنوع ... وتنكيبها عن صراط مبين
ومزقها كيد أعدائها ... ومستكبر تلّها للجبين
وأحرق آمالها في النهوض ... وأعلى أكابرها المجرمين
فكنتم لآمالها المنقذين ... وللحق والعز حصناً حصين
وبين ظلال سيوف الطغاة ... وإرهاب كفر وفكر مشين
صرخت بها في وجوه الطغاةِ ... لن ننحني لن نهي لن نلين
بانشودة العز لا لن نموت ... و«الله أكبر» لن نستكين
بإسلامنا وبقرآننا ... نشق الطريق لعز مكين
على سنة المصطفى لن نحيد ... شاهت بها أوجه المرجفين
عجبت لعشرين عاماً دهت ... لتبلو فيك علا المؤمنين
فعلمتها بثبات الجنان ... بين الغياهب عزّ السجين
وسرت بها آية في الثبات ... سيراً على ملة المرسلين
وكنت معلم جيل الهدى ... وليث العقيدة حامي العرين
و«قائده القدوة» المستقيم ... و«زاد الطريق» لدنيا ودين
وودعت مليار باك يحنّ ... وباكية غرقت في الأنين
بكوا فيك - مشهور - وتضحيةً ... وعطفاً ولطفاً وخلقاً رزين
ورحمى وروض حنان يغيض ... دمع اليتيم وكرب الحزين
بكت فيك قائدها المستنير ... ومرشدها والقوي الأمين
وهذي دموع الجموع تنيب ... إلى ربها، وبدمع سخين
ليدخلك الله في الصالحين ... ويقبلك الله في المتقين
تداعب روحك بين الجنان ... نسائم ما بين حور وعين
بما كنت غيظ قلوب اليهود ... وحرباً على الطغمة المفسدين
ونوراً لأبنائك العاملين ... وعزاً لإخوانك المسلمين

عدة المسلم في النصر على عدوه

بقلم: د. توفيق الواعي

لم ير علماء الاجتماع مثل الإسلام في تساميه على القهر النفسي، وفي طلبه للعزة والكرامة، لأن الإسلام جعل هذا التسامي والعزة ديناً يدين الإنسان به لرب العزة سبحانه، قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين (١٣٩)﴾ (آل عمران)، **وما هذا إلا لأن الإسلام يتنافر مع الهوان، ومع التسفل والتضعضع والذلة، ويتعانق مع الرجولة والعزيمة والرفعة، ويقرن المؤمن العزيز بالدرجات العليا في قوله تعالى:** ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (المنافقون:٨).

والإسلام الذي حضّ على القوة والرجولة، جعل قوة النفس والعزيمة أعلى درجات القوة وأولاها بالرعاية والعناية، وجعل ملامح الظفر والنصر، ترفرف على رؤوس أصحابها مهما كانوا قلة أو قليلي العدة، فقال تعالى: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ (الأنفال:٦٥)، ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين (٢٤٩)﴾ (البقرة).

فالأمة إذن تنتصر قبل أن تخوض المعركة لأنها انتصرت نفساً، وعزّت روحاً، وانتفضت عزماً، وهان عندها كل صعب، ووهن في عينها كل عدو، وعزت بعزة الله ووثقت بتأييده فارتفعت إلى عنان المجد واشرأبت إلى مواقع النجوم لتقتنصها اقتناصاً، وتمتلكها امتلاكاً، فأنّى لمثل هؤلاء أن يجاروا ويباروا ولو كانت الدنيا كلها في كفة وهم في كفة، ولهذا نسمع الرسول ﷺ يقول لابن عباس: «واعلم أن الدنيا لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

هكذا كانت تُربّى أطفال المسلمين وتُلقن من الصغر وتدرب على القوة، وكان المجتمع المسلم يحافظ على كرامة أفراده وعلى أن يسقيهم لبان الرجولة والفتوة والفروسية، حتى في عبادتهم لله سبحانه ودعائهم وتضرعهم إليه، ولهذا نسمع الرسول ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، أي من كل ما يضعضع النفس ويوبقها ويحنيها سواء كان هماً وحزناً أو كسلاً وعجزاً، أو جبناً وقعوداً، ومن أجل هذا، وقع في خاطري موقف المسلمين عند لقاء عدوهم وكأنهم مقبلون على عرس يزفون إليه أو إلى لقاء تهفو إليه النفوس وتتبعانق، أتصور هذا في قوله تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ (الأحزاب).

كان أحدهم يتمنى الشهادة ويخاف أن يموت في غير لقاء، أو بدون معركة، ولهذا نرى بطل الإسلام خالد بن الوليد عند موته يقول متحسراً لموته على فراشه: «لقد حضرت زهاء مئة معركة وما في جسدي موضع لشبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو طعنة برمح، وهانذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء»، وكان أحدهم إذا أحسّ برد الرمح في صدره قال: «فزت ورب الكعبة»، همة وإحساس ونفس توّاقة إلى المجد والعلا، كان المسلم لا يخيفه إلا ربه، ولا يرهبه أحد سواه، ولهذا كان ينصر بالرعب على عدوه مصداقاً لقوله ﷺ: «نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر».

أما اليوم، فإنه يعيش فترة غثائية لا قوة له ولا ساعد، ولا عزم له ولا همّة، مهزوم النفس، مرتعد الفرائص، ساعده على ذلك أسباب عديدة منها:

١ ـ ذهاب هويته وضياع رسالته ونسيانه لهدفه وغايته، تلك المقومات التي هي معين لا ينضب للنشاط الموصول والحماسة المذخورة واحتمال الصعاب ومواجهة الأخطار، وتلك طبيعة المسلم إذا تغلغل الإيمان في قلبه واستحكم، فإنه يضفي على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله وتجعله راسماً لا ذيلاً، وقد نهاه دينه عن أن يكون إمّعة، قال ﷺ: «لا يكن أحدكم إمّعة، يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت!! ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم» أجل يجب أن يكون المسلم شاعراً بقوة اليقين في شخصه، وروعة الإيمان في نفسه، وأن يفرض ذلك على من حوله حتى يكون الجسد المسلم عظيماً قوياً قويماً.

٢ ـ هوان المسلم في وطنه، وضياعه في أمته، وفرض الأخطاء عليه وعلى حياته، وامتهان رجولته ومحاولة إذلاله وإذهاب كرامته، وفرض الخنوع عليه حتى يكون طبيعة حياة، وسليقة نفس، فيتعود السكوت بدون كلام، والخضوع بدون رأي حتى قال من قال:

يا قوم لا تتكلموا
إن الكلام محرّمُ
ناموا ولا تستيقظوا
ما فاز إلا النوّمُ

فصمت الناس وقطعت السنتهم، وناموا وضاعت عزائمهم وصاروا دمى حتى قال قائلهم:

هَا هُمْ كَمَا تَهْوَى فَحَرِّكْهُم دُمَى
لاَ يَفْتَحُونَ بِغَيْرِ مَا تَهْوَى فما
إِنِّي أَرَاهُمْ هَهُنَا قَدْ جُمِّعُوا
لِيُصَفِّقُوا إِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَكَلَّمَا

نعم دمى تتحرك وتصفق وترقص حتى على الجراح، وتقيم للمصائب الأفراح والليالي الملاح، وترضى بالتعذيب والسجون والمعتقلات، وقد يدهش الإنسان لسلطات تدعي الإصلاح بغير حياء تسطو على المساجد وتاخذ العباد لتعذبهم في العشر الأواخر من رمضان بالضرب المبرّح والصعق بالكهرباء بعد خلع الملابس تماماً، وتسلط الكهرباء على الأماكن الحساسة وبخاصة الخصيتان والمخ، وهم معلقون كالذبائح تماماً، ويصاحب كل هذا القذف والسب والامتهان، وذلك كله بغير ذنب أو جريرة إلا الإخلاص وحب الإسلام والاتجاه إلى الله، أظن أن هذا ما لا يفعله مستعمر أو عدو، فهل تكون بعد ذلك رجولة أو عزم، تقابل الأمة به عدواً، أم أن هذه الشعوب قد هزمتها سلطاتها قبل أن يأتي العدو، وعن أي شيء يستطيع أن يُدافع المسلم بعد ذلك؟!!، نعم يحدث ذلك والأمة في حاجة إلى بنيها المؤمنين، ليردوا الهجمة عليها.

أيها السادة هل يمكن أن تسيروا في الطريق الصحيح؟ نسأل الله ذلك.■

دور الأدب في خدمة الدعوة

إعداد: مبارك عبدالله

د. وجيه يعقوب

الدعوة إلى الله، هي أجلُّ الأعمال وأشرفها، لأنها مهمةُ الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (٣٣)﴾ (فصلت)، ولذلك فهي جديرة بأن نكرّس لها كلّ ما نستطيع من وسائل، لكي تؤتي ثمارها، وتصل إلى غايتها المنشودة، وأهمُّ ما يمكن أن نكرّسه في هذا الجانب المهم هو الأدب، ذلك أن الأدب الجميل، له سلطانه على النفوس، وتأثيره في القلوب، ولذلك لم يكن مستغرباً من الرسول ﷺ أن ينتبه إلى الشعر ودوره في الدعوة، فقال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة، فإذا ألبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنه عربي».

كما كان يحثّ الشعراءَ المسلمين على الرد على المشركين، والتصدي لهم بكل ما أوتوا من بيان وفصاحة، وأصبح الشعر سلاحاً قوياً، يُشهره المسلمون في وجوه الأعداء، بل إن الأعداء صاروا يرهبون شعر المسلمين، أكثر من رهبتهم أسلحتهم وقوتهم، ففي الخبر أن الرسول ﷺ قال للأنصار، يحضهم على الجهاد بالكلمة ضد قريش: «ما يمنع قوماً نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟» فقام حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة، فقال فيهم ﷺ: «هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل».

وفي السيرة النبوية، أن جماعة من بني تميم، قدموا على الرسول ﷺ لمفاخرته بشعرهم وخُطبهم، فقام خطيبهم فخطب، فانتدب الرسول ﷺ «ثابت بن قيس» للردّ عليه، ثم قام شاعرُهم فأنشد قصيدته، فبعث الرسول ﷺ إلى «حسان بن ثابت» فجاء وأنشد قصيدته، فلما انتهى من إنشاده، أُعجب وفد بني تميم بشعره، وقال أحدهم: «والله إن هذا الرجل لمؤتىً له: لخطيبُه أخطب من خطيبنا، ولشاعرُه أشعر من شاعرنا، ولأصواتُهم أحلى من أصواتنا»، ثم أسلموا جميعاً.

وفي هذا الخبر دلالة واضحة على دور الأدب في مساندة الدعوة الإسلامية، وتأييدها في الجهاد ضد المشركين، وأنه كان سلاحاً فعالاً، لا يقلّ في أهميته عن السيف والرمح، بل كان يفوقهما في بعض الأحيان.

وإذا كان الشعر قد أدّى دوره ومهامّه - على أكمل وجه - في خدمة الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام، في تلك الفترة العصيبة، التي كان الإسلام يخوض فيها معارك حاسمة ضد الشرك والوثنية، فقد ظل الشعر يؤدّي هذا الدور العظيم على مرّ العصور، ويدافعُ عن الإسلام، وينشرُ قيم العدل والحق والجمال، ويسجلُ الأحداث المهمة في تاريخ المسلمين، وبذلك أصبح الشعرُ وثيقة تاريخية مهمة، لا غنى عنها لمنْ يريد أن يتعرف على الإسلام.

ويكفي أن ننظر إلى قصائد أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ومحمود حسن إسماعيل، وعلي محمود طه، وأبي القاسم الشابي، والمناهضة للاستعمار في بدايات القرن العشرين، ودفاعها عن قيم الحق والعدل، وصمودها في وجه الظلم والطغيان، لنعرف أن الأدب قام بدور مهم للغاية في مؤازرة الدعوة وفي لفت انتباه الآخرين لقضايانا المصيرية.

الشعر... لتفسير القرآن

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى أن الصحابي الجليل عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - كان يستعين بالشعر على تفسير القرآن الكريم، ولم يجدْ غضاضةً في أن يُنشده في المسجد، وقد اقتفى كثير من المفسرين أثرَه في الاستشهاد بالشعر في تفسير معاني القرآن الكريم وشرح غريبه، مما يدل على دور كبير وهائل للشعر، والأدب عموماً في خدمة الدعوة والتراث الإسلامي.

أجناس أدبية جديدة

ولا شك أنه في العصر الحديث، قد ظهرت أجناسٌ أدبية جديدة، كالرواية والقصة والمسرحية، وهي منتشرةٌ على نطاق واسع، وقادرةٌ على تجسيد قيم الإسلام وأخلاقه، نظراً لما تتمتع به من

الصمت يخيم على الأجواء

عادل شلبي

الصمت يخيم على الأجواء
والليل يشيع الرهبة في الأرجاء
والبرد القارس جعل الكل يجلس القرفصاء
ترتعد الأطراف، تصطك الأسنان، الكل
يريد أن يشعل ناراً تدفئ تلك الأحشاء
لكنّ منادٍ نادى لا يشعل أحدكم النار
فأنا الذي سأشعل تلك النار
وستأكل تلك النار كل الأغوار
وستكوي الكل كباراً وصغار
وستأكل كل الزرع وكل الضرع وتلتهم الثمار
فأنا الذي له الحق كل الحق أن يشعل نارا
وبحركة إصبع مني تنطفئ النار
وسأمر الجنود، ليحفروا الأخدود، ويشعلوا الوقود
سنشعل الوقود!! سنشعل الوقود!!
سأحرق فيها من شئت لا من شاء
أينما كانت تؤويه أرضٌ أو تظلله سماء
فأنا البطل وأنا من شاء
أكرر بصوت عالٍ يتردد في كل الأرجاء
أنا البطل.. أنا من شاء.. أنا البطل أنا من شاء
ولا يرد عليه أحد.. ولا يتفوه أحد.. بل لا يتنفس أحد.. الكل يجلس القرفصاء.. يتمنى أن تبلعه الأرض أو تجذبه السماء.. يتمنى أن يأتيه الموت.. أن يصدر نعيه.. أن يُحفر قبره، لكن لا أحداً يحدث حركة.. لا أحداً يصدر صوتاً، إلا الببغاء، يردد ويحاكي ما يتردد في الفضاء، والبوم تنعق تنذر بالخراب، لا ينتبه إليها أحدٌ إلا الغراب، فيرفرف بجناحين حزينتين قد غطاهما التراب. وفحيح النار يذكر بيوم الحساب.

فانتبهوا يا أولي الألباب
فالنار لن تأكل العاصي وحده، بل العاصي والأواب
والصادق قبل الكذاب
والمؤمن قبل المرتاب
فشمروا الساعد وشدوا المئزر وعضوا على دينكم بالنواجذ والأنياب
وأخرجوا المال صدقةً وزكاةً لا تنتظروا

خصائص فنية وجمالية، تجذب القارئ بسهولة إلى عالمها، وقد استغلها الأدباء أيضاً في خدمة الدعوة، ويمكنُ الإشارة في هذا الصدد إلى كتابات علي أحمد باكثير، ومحمد فريد وجدي، ونجيب الكيلاني وغيرهم، فقد أدرك هؤلاء الأدباء، أن الأدب يجب أن يكون في خدمة العقيدة، وأن الأديب يجب أن يسخر موهبته للدعوة إلى القيم النبيلة والأخلاق الحميدة، في شكل فنّي جذاب.

لقد أوصت بعض المؤتمرات المهتمة بالدعوة الإسلامية، بضرورة تدريس مادة «الأدب الإسلامي» في كليات الدعوة وأصول الدين، وقد أصابتْ بهذه التوصية، لأن الأدب له تأثيره الكبير على النفوس، وهذا مدخل مهمّ يلجُ منه الداعيةُ إلى الموضوع الذي يريده، ويمكنُ أن نستشهد - في هذا الصدد - بكتابات روّاد الدعوة وأحاديثهم، كالشيخ محمد الغزالي، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والأستاذ خالد محمد خالد - رحمهم الله تعالى - فقد كان الأدب - بمعناه الشامل - من أهم الوسائل المتّبعة لديهم للتأثير في القارئ، ومازالت أحاديث الإمام الراحل محمد متولي الشعراوي - رحمه الله تعالى - تطوف بنا في عالم الأدب، فتأتي بالمثل والحكاية والنادرة والأشعار الجميلة، التي تؤثر في السامع والقارئ، وتستميلهُ إلى عالم القرآن، وتفتح الطريق أمامه لتذوق معانيه وأسراره.

وعلى هذا، فالأدب وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، يجبُ أن يتسلح به الدعاة في أداء رسالتهم السامية، ويجبُ على الأدباء المعاصرين أن يكونوا امتداداً طيّباً لشعراء الدعوة الإسلامية السابقين، وأن يدركوا أن الأدب ليس مجرّد وسيلة للتسلية والمتعة، بل يجبُ أن يكون أدباً موجّهاً لخدمة قضايا الدعوة، ونشر قيم الخير والحق والجمال.

ولا أحب أن أختم حديثي هذا، قبل أن أشيرَ إلى ضرورة مراعاة كلّ الخصائص الفنية والجمالية في أدب الدعوة، فالنيةُ الطيبة وحدها لا تكفي، بل يجب على الأديب أن يجوّدَ في أدبه، وأن ينوّع في تجربته، وأن تكون له خصوصيته، حتى لا توجه سهامُ النقد إلى ما يكتبهُ.■

النصاب

أكثروا الصوم حباً وقربى لا خوفاً من العقاب
وأقيموا الصلاة بعزة لا تواروا بالحجاب
ويا نساء الإسلام تمسكن بالحجاب
واتقين الله بقلب خاشع أواب
وأطعن الزوج بحب واتركن السباب
فبطاعته ستفتح لكم أعظم الأبواب
أبواب الجنان جميعاً بعد يسر الحساب
وعودوا إلى الله جميعاً، عودوا إلى الله
بصدق يكشف الغمة ويرفع عنكم العذاب
ويدحر العدو الغاصب خاسراً مرتاب
فهو سبحانه مجري السحاب وهازم الأحزاب
وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، يوم القارعة والغاشية والحاقة. يوم الحساب.■

شُيعت منّا بأرواح وأفئدة

شعر: سعد خضر

كفكفْ دموعَكَ، واكبحْ ثورة الشّجنِ ... ودعْ أساكَ، وواجهْ صولةَ الزمنِ
هذا الزمانُ زمانٌ أمرُهُ عجبٌ ... لا يستفيقُ من الأهوالِ والمِحَنِ
ذو القلبِ فيه يعيشُ العُمْرَ مضطرباً ... ولا يزالُ بأمواجٍ من الفتنِ
فارفعْ اكُفَّكَ للرحمنِ مُلْتَمِساً ... منه المعونةَ في الأوحالِ والدّخَنِ
وكن قوياً صبوراً غيرَ ذي خَوَرٍ ... ونحِّ عنكَ طيوفَ الضعفِ والوَهَنِ
واجعلْ مثالكَ طوداً شامخاً، عجزتْ ... ريحُ الحوادثِ عنه، فهو ليس يني

•••

في ذمة الله يا «مشهورُ»، كم مُهَجٍ ... تدعو لكَ الواحدَ الرحمنَ ذا المِنَنِ
عشتَ الحياةَ جهاداً غيرَ منقطعٍ ... ترجو انتصاراً لدين الله والوطنِ
جاهدتَ، ما عرفت رجلاكَ راحتها ... وقُمتَ حتى هفتْ عيناكَ للوَسَنِ
تابعتَ مَنْ سبقوا، ما كنت مبتدعاً ... بل كنتَ مجتهداً في غير ما رَعَنِ
وسرتَ خلف كتاب الله مقتدياً ... بهدي أحمدَ في الأخلاقِ والسُّنَنِ
أوفيتَ للحسنِ البنّاءِ بيعتهُ ... وللهُضيبي، فمنْ حسنٍ إلى حَسَنِ
والتلمساني، ومَنْ بالنصرِ كُنيتهُ ... فكم حملت هموماً ثمّ لم تَلِنِ
قُدْتَ السفينةَ والأمواجُ عاتيةٌ ... بالصبرِ والحكمة الشهباء والفِطَنِ
نالتْكَ بالثُّهَمِ البتراءِ السنةُ ... الزُّور رائدها للمنطقِ الأسنِ
واجهتَ ظلمتهم بالنور مُؤتَلقاً ... وذدتَ باطلهم بالمنطقِ الحَسَنِ
كذاكَ جُنْدُ الذي أيديه مُبْدِعةٌ ... كلُّ الجمالِ بهذا الكون والفِتَنِ
وافتْ مَنِيَّتُهُ والبندُ في يدهِ ... يقتادُنا لحياةٍ دونما دَرَنِ
كالدوحِ يبقى لحينِ الموتِ منتصباً ... فلم يَحِدْ عن عطاءٍ قطُّ أو يهنِ

•••

شُيِّعتَ مِنّا بأرواحٍ وأفئدةٍ ... حاطتك قبل مياه الغُسْلِ والكَفَنِ
العهدُ في القلبِ نرعاهُ ونحفظهُ ... حتّى يُفَرِّقَ بين الروح والبَدَنِ
نرجو الإقامةَ في الفردوسِ صُحْبَتَهُ ... والله نسألُهُ التوفيقَ للثَّمَنِ
وسوف نمضي على ما مات مرشدنا ... عليه، حتى نكسّرَ هامةَ الوَثَنِ

•••

جزاك ربكَ خيراً عن قيادتنا ... على طريقٍ قويمِ القصدِ مُتَّزِنِ
فلا غُلُوَّ ولا تَفريطَ بل وَسَطٌ ... على طريقِ الهُدَى والحقِّ والسُّنَنِ
مازلتَ فينا أبا «مشهورَ» ترشدنا ... فالكُتْبُ نقرؤها، والقولُ في الأُذُنِ

•••

يا ربِّ أسكنْ بدار الخلد مرشدنا ... فجنّةُ الخلدِ خيرُ الدارِ والسكَنِ
واختم لنا بختامِ السعدِ، في غدنا ... إنّا نلوذُ بذي الإنعامِ والمِنَنِ
وصلِّ يا فاطري على الرسول متى ... ما سبّح الطير فوق الأيكِ والفَنَنِ

قصة قصيرة

رؤية جميلة

محمد علي وهبة

بقيت أسئلته كلها بلا أجوبة، لا يشعر بالرغبة في التفكير في أي شيء، يشعر فقط بخمود وجمود كل شيء من حوله داخل غرفة نومه، التي يتمدد فيها على سريره، حتى جو المساء الخارجي، الذي يظهر جانب كبير منه من خلال زجاج النافذة المغلقة، لا يرى فيه سوى جزء من قبة السماء المعتمة، تنتشر فيها ثقوب كثيرة بيضاء لأضواء النجوم، وبعض رؤوس المباني تبتلعها ظلمة المساء.

- إنه المساء الأخير لإجازتك.

وسأل نفسه، وهو يلوي شفتيه بامتعاض:

- أستخرج غداً؟!

ترك السؤال بلا إجابة. لم يشعر بالرغبة في التحدث إلى نفسه، أو حتى مجرد النظر لأحد، فلم ينظر لزوجته، التي دخلت عليه، وهي تضم طفلهما الصغير بلفائفه في حضنها.

- قضيت إجازتك كلها في النوم... ألم تشبع نوماً؟ الجو جميل.

ثم قالت وهي تتجه للنافذة:

- لماذا لا تفتح هذه؟

فصاح فيها:

- اتركيها!

فتركتها، ووقفت تتأمله مستغربة، سألته:

- ماذا بك؟!

هبطت على رأسه فكرة غريبة في تلك اللحظات، بأن يستقيل من عمله.

ظل منشغلاً بها، دون أن يجيبها على سؤالها.

دار حوار طاحن بينه وبينها بعد أن أخبرها بها.

- لماذا؟

- ربما للتغيير!

- وماذا ستفعل بعدها؟

- لم أحدد بعد!

- ونفقات البيت؟

ظل غارقاً في تأملاته.. أخرجته من داخل رأسه.

- أراك على غير طبيعتك! لماذا؟!

- أحتاج للانعزال!

- ما ينقصك الاندماج وليس الانعزال.

هبطت على رأسه فكرة أخرى مثيرة، بأن يسافر لمكان بعيد، ظل منشغلاً بها دون تعليق على قولها، أحس ببريقها يغوص في نبض قلبه إلى آخر الأعماق، واحتواه شعور مفاجئ بالارتياح، فنهض منتفضاً، وهو يتمطى للخلاص من إحساسه بالكسل.

تقدم نحو طفله الصغير. حمله عنها، ضمه إلى حضنه، غمره بالقبلات، احتواه شعور مفاجئ بالقلق على مستقبله، وهي تنظر إليه مستغربة وتسأله:

- لماذا تحتضنه بكل هذا الشوق؟ كأنك تودعه!

قال مبتسماً، وهو يعيده لحضنها:

- فعلاً! قررت أن أسافر.

- إلى أين؟

- ربما إلى مكان بعيد!

صاحت بصوت مشحون بالقلق:

- أهناك جريمة ارتكبتها؟!

- أبداً!

- أيضايقك أحد في العمل؟

- لا!

- لماذا تريد السفر؟!

انفجر صائحاً:

- أهو تحقيق؟!

غامت نظراتها الحائرة، وهي تتأمله، ثم وهي تسأله:

- لماذا لا تفكر في أصل المشكلة... وتحاول حلها؟

تجمدت ملامحها وأوصالها، وهو يقول لها:

- أرجوك... أريد الاختلاء بنفسي.

امتلأ فراغ المكان فجأة بصوت بكاء وليدها، فضمته لحضنها، وهي تجاهد لإخفاء لوعة قلبها، وأدارت له ظهرها، ثم انصرفت من الغرفة بهدوء.

نام عميقاً حتى الثلث الأخير من الليل بعد أن تناول وجبة غداء خفيفة بشهية غير مفتوحة.

نهض من نومه على صوتها، الذي شعر به يتردد بقوة داخل رأسه.

«ينقصك الاندماج وليس الانعزال».

تكررت الكلمات في رأسه مرات بلهجات متصاعدة برفق، ثم بشدة، بطريقة مثيرة للانتباه، فبدأ يتذكر أنه قضى إجازته الطويلة بكاملها قابعاً بين جدران بيته المغلقة، وانفجر صوت مفاجئ داخل نفسه، قائلاً له:

«الحالة المؤسفة التي أصابتك هي بسبب احتباسك في الأماكن المغلقة!».

وصار الصوت نفسه منغوماً، حالماً، ساحراً، جاذباً لنبض قلبه وروحه، وهو يقول له:

لا تنعزل. اخرج. اندمج بالناس، وبسمة شفتيك ممطوطة لآخر وجنتيك. اندمج بنسائم هواء الجو المنعشة، وأشعة الشمس البارقة في علياء السماء، وضياء النجوم الطوافة في مسافات الفضاء بتسابيحها الضوئية، الكاشفة عن مباهج روح الحياة.

انتفخ صدره بشهيق طويل، أخرجه في زفرة واحدة بطيئة، ممدودة، منعشة، أحس بعدها بفرحة كبيرة تغمر نبض قلبه بعد طول انقباض، ووجد نفسه ينهض، وإحساسه بالسعادة يسبق خطواته، وهو يتجه للنافذة، التي انفتحت سريعاً بعد أن دارت بمقبضها.

وقف يستنشق هواء الجو الليلي المنعش الطليق.

ظل واقفاً لبعض الوقت يتأمل حشود النجوم الهائلة في أعالي السماء، وهي تشارك بكل حماس نبضها الساخن، لتغيير وجه العتمة إلى أطياف ضوئية مبهجة.

كادت أنفاسه تتقطع من فرط إحساسه بالسرور، وهو يحاول الاندماج بسحر ضوئها البهيج، ظل يتأملها، وهي ثابتة في أماكنها الظاهرة، لا يفكر أي نجم منها في ترك مكانه، والانسحاب من الحياة، أو ينعزل بضوئه عن أضواء النجوم المحيطة به، تمنى أن يكون مثلها، ممتلئاً بأطياف الضوء، ليملأ الحياة نوراً على الأرض.

ارتسمت صورة قرار جديد جميل داخل نفسه، وهو سابح في تأملاته السارة، بأن يذهب ليتوضأ حالاً، ويقرأ ما يتيسر من القرآن، ثم يصلي الفجر، ويخلد قليلاً للنوم حتى الصباح، ليخرج بحماس جارف، عاصف بالشوق للمشاركة في العمل مع الزملاء، مع بدء امتلاء الدنيا بمباهج ضياء السماء. ■

حوار في الثقافة والأدب

الاختراقات العولمية

محمد السيد

يتكلم البعض عن العولمة وكأنها قدر من الأقدار التي لا يمكن تفادي اختراقاتها، وإذا أراد هؤلاء أن يجملوا الكلمات قالوا لك: لابد من فهم هذا القدر النازل، لنستطيع استيعاب منتوجاته، والانخراط في فعله الذي لا مندوحة لنا من الدخول في تياره.

ومما يقولونه من أجل تسويق هذا الفكر المهزوم: ها هي ذي العولمة تمشي في أسواقكم، تدخل بيوتكم بلا استئذان، تفرض عليكم البضاعة بدون أخذ رأيكم، وها هي تجلس سيدة أمرة في دور أموالكم، في حفلاتكم، في أعراسكم، في حفلات اختيار ملكات الجمال، وفي عروض الأزياء، إنها تزرع فيكم التقدم، وتوطئ الأكناف لقبول الواقع المتمدن، تفرض اتجاه الاستهلاك فيكم، لترتفع هامات الجوع في جماهيركم المكتظة. فهل أنتم في منأى عنها كي تتمتعوا بالهوية؟! أم هل ترضون أن تكونوا الهوامش المنسية على حافات الغزو؟! إن كنتم تريدون ذلك، فلتنغمسوا في غموض الهوية والخصوصية الماضوية، ولتغرقوا أنفسكم في «الخطاب الماضوي الموروث باعتباره يمثل أساً متيناً من أسس الهوية الحضارية» كما يقول الحبيب الجنحاني في مقاله للزمان اللندنية ٢٠٠١/٤/٢٧م، ناقداً فيه «هذه الخصوصية التي يستميت البعض في الدفاع عنها لأسباب مختلفة، لأنها ليست محل إجماع فئات النخبة السياسية والفكرية»، مغضياً بذلك الطرف عن أن الاختلاف الداخلي والحوار البيني داخل مجتمع ما حول عناصر هويته هما علامة حياة، ليس علامة يأس، يتيح لكل الانسحاب من مواقف الصلابة والصمود والقتال، التي تحافظ على «استحكامات» الأمة، إذ بدونها تصبح الأمة في العراء، تجاه الاختراقات المبتغية تعويم الوضع العام وتغريبه.

إن أخطر الاختراقات، ما تعلق منها بالثقافة، إذ تعمل تلك الاختراقات على تغييب مميزات الأمة، ليصبح وجهها ذا سمات جينية هجينية، ولا أدل على ذلك من وقوع الحداثة النقدية في فخ العولمة، محولة بذلك النقد إلى عملية ترجمة غامضة، وغير مفهومة للنقد الغربي، فراح نقادنا يتكلمون عن الأدب العربي بلغة «طلسمية» مترجمة، بعيداً عن أساسات

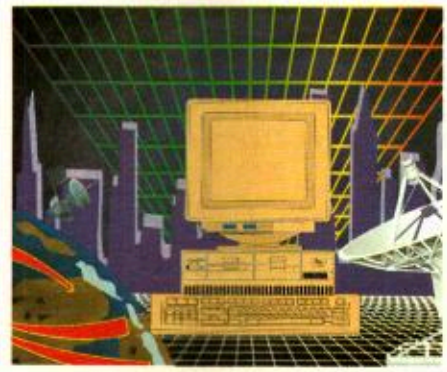

النقد العربي الممتد مع القرون، مستغنين عن البناء فوق تلك الأساسات وتطويرها داخل السياق العام للخصوصية.

إن إدارة الظهر لمقتضيات الزمان والمكان والظروف والإمكانات والحاجات الخاصة، بحجة عدم الغياب أو عدم القدرة على مقاومة التيار الجارف لعولمة كل شيء، إنما تشكل عملية إلقاء للنفس في التيار الطاغي بدون تبصر بالعواقب، فالذي يلقي نفسه بهذه الطريقة سوف تكون نهايته الضياع في التيار واللجة، وفقدان المكان والزمان المناسبين، وخسارة الدور الفاعل المحسوب.. إن العالم لا يقدر إلا من يحترم نفسه وخصوصياته ومميزاته، ويقاتل دونها بالفكر والنص والواقع، مهما لمعت شعارات الحداثة، أو حاولت تسويق انقضاضها على الخصوصية المبنية فوق الأسس، بعيداً عن حسابات الجماهير، وحاجات المجتمع، وما يخوضه من نضال فكري ويواجهه من عدوان، وما يتمسك به من ثوابت وأساسات، ترسي له مكانة ومكاناً بين المجتمعات. ويظل الفنان أبداً ماتحاً من تجربته الشعورية كل نصوصه ونتاجه، في حين، تتعلق هذه التجربة إلى حد بعيد بمعتقداته وفهمه، وما يحيط به من واقع حياتي.

وهذا ما يحدد دور هذا الفنان وأثره في محيطه، وما إذا كان يتبنى مكنونات قومه المتطورة مع الزمن، أم أنه قد فرغ عقله وقلبه وفكره من كل ذلك، فامتلأت جعبته من حقول الآخرين... فأصبح يتكلم بلسانهم، ويفكر بعقولهم، مغادراً هموم قوم ومشاغلهم، فأنى لهذا الفن أن يمثل البيت الذي يقيم فيه هذا الغائب، وقد وضح الصورة المطلوبة أحد دعاة الحداثة المتوارثة، إذ قال حسام الخطيب: «لابد للحداثة إذا رغبت أن تتمتع بدفء الجمهور أن تمس قضايا الأمة والمجتمع والعصر...».■

إصدارات

حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون

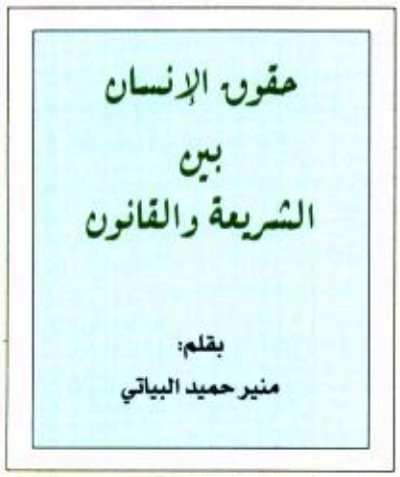

في سلسلة كتاب الأمة التي يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، صدر الكتاب الثامن والثمانون بعنوان: «حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون» لمؤلفه د.منير حميد البياتي.

هذا الكتاب... يعتبر إلى حد بعيد استمراراً واستكمالاً للكتاب الذي سبقه: «حقوق الإنسان... محور مقاصد الشريعة»، ذلك أنه من المفيد أن يُستكمل الموضوع في النظر إلى حقوق الإنسان بين القيم المنزلة من الله خالق الإنسان العالم بأحواله، وبين القوانين الوضعية التي لم تخرج عن أن تكون - في كثير من الأحيان - جسراً لممارسة الظلم، وبين الواقع الذي عليه المسلمون.

إن واقع حقوق الإنسان في العالم الذي يدعي التحضر، حيث القتل الجماعي، والاغتيال السياسي، وتدمير المدن، تحت شعار: الانتصار لحقوق الإنسان، رهيب رعيب.. ومعركة واحدة من معارك من يتباهون بحماية حقوق الإنسان ويمتلكون قدرات تكنولوجية هائلة، توقع من الضحايا ما لم يقع بعضه في تاريخ الإسلام، بل ما وقع في تاريخ البشر كله، ومع ذلك يُتهم الإسلام والمسلمون بالإرهاب!. إن البقية الباقية من العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، مازالت تحقق لمجتمعاتهم الأمن والأمان بأقدار لم يتمتع بها أصحاب الحضارات الأخرى حتى اليوم، حيث الرعب، والقلق، والجرائم الاجتماعية، والأزمات النفسية، فكيف لو عاد المسلمون، إلى الهدي الإسلامي، وحملوه لإلحاق الرحمة بالعالمين؟.■

إعداد: عبدالحميد البلالي

الخطابة .. دعوة وفن وذوق وسلوك

وضوح الدعوة.. سعة الاطلاع .. الموضوعية .. والتوثيق العلمي ركائز أساسية للخطيب الناجح

يحكى أن أحد الخطباء «من أهل الحظوة» كان يلقي إحدى خطبه العصماء على منبر الجمعة ويقول فيما يقول عن وعيد الله لمن غير منار الأرض بإحباط العمل ويعرج على قول رسول الله ﷺ «الظلم ظلمات يوم القيامة » وفيما هو وذاك، إذ دخلت المسجد عجوز على المصلين وقالت لهم لا تصدقوه لقد اغتصب مني كذا وكذا من الأرض.. فانفجرت جموع المصلين في ضحك عارم..

د. أمير الحفناوي

وبعيداً عن هذه الرواية فلست ممن ينتقص من دور الكلمة الجادة في إصلاح فساد الأمة وانتشالها مما هي فيه، وأنى لي أن انتقص من قوم رائدهم محمد ﷺ وخيرة البشر: أبوبكر، عمر، عثمان وعلي وغيرهم ..

كما أن الخطابة والكلمة الجادة الصادقة أخرجت الأمة من دوامات عديدة وكانت مشاعل نور ومنارات هدى.

على أن قيمة الخطابة والمنبر لا تنبع من تماثيل براقة منتصبة عليه، وإنما العبرة بقيمة ما يقال، وقد أثنى النبي ﷺ على قس بن ساعدة وهو القائل:

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يمضي الأكابر والأصاغر
أيقنت أني لا محالة
حيث صار القوم صائر

إذ قال النبي ﷺ «يرحم الله قساً. إني لأرجو أن يُبعث يوم القيامة أمّة وحده».

كلمة وبيان وثورة ومؤتمر صلح

لقد فهم القدماء ما لهذا اللقاء الأسبوعي من قيمة في تبصير المسلمين بأحوالهم، ومعالجة مشكلاتهم الآنية الدينية والحياتية وفضح أعداء الأمة، فهي نفحة إيمانية وكلمة توجيهية، وهي مؤتمر صلح عند اشتعال الفتنة.

هذه هي خطبة الجمعة عند القدماء .. ليست ذنباً أو عقاباً مفروضاً من الله كما يظن بعض الخطباء وكما يعبر عنه أديب العروبة والإسلام الرائد مصطفى صادق الرافعي في كتابه الرائع «وحي القلم» تحت عنوان «قصة الأيدي المتوضئة» ، قال الراوي: «وصعد الخطيب المنبر وفي يده سيفه الخشبي يتوكأ عليه - وكان السيف سنة قديمة ثم استبدل مع الزمان بسيف خشبي ثم انتهى تماماً الآن - فما استقر في الذروة حتى تخيل إليّ أن الرجل قد دخل في سر هذه الخشبة، فهو يبدو كالمريض تقيمه عصاه وكالهرم يمسكه ما يتوكأ عليه، ونظرت فإذا هو كذب على الإسلام والمسلمين صريح، كهيئة سيفه الخشبي في كذبها على السيوف ومعدنها وأعمالها».

وسائل للرقي بالكلمة

ولما كان للخطابة من الأهمية ما لها منذ فجر الدعوة، ولما كان دور الكلمة له الريادة كان من الواجب لفت النظر إلى بعض الأمور التي ترتقي بدور الخطبة أو الكلمة أو اللقاء أو الندوة لتصويب الاتجاه ودعم الهدف المعول عليه من ورائها، وسنوجز هذه الأمور في عدة نقاط:

١ - وضوح الدعوة: أي أن يعيش الخطيب فكرة الدعوة التي إليها يدعو الناس بروحه وعقله وجسده وأن تشغل وعيه وتملك جماع قلبه وتأخذ بلبه فتصبح نصرتها والعيش في محرابها هدفاً سامياً.. وتصبح الدعوة إليه مطلباً عزيزاً، إن إعداد نفوس المتلقين وشحنهم بعزيمة وهمة يحتاج إلى عزيمة أكبر وطاقة خلاقة نفتقدها كثيراً..

ولعل في قصة الصحابي النبيل مصعب بن عمير أول سفراء الإسلام حين أرسله النبي ﷺ إلى أهل المدينة، وهو لا يحمل إلا عقيدته الراسخة وإيمانه المتأجج وأسلوبه الخلاق المبدع أوضح مثال.

ولقناعته الشخصية أن دوره أن يبني لبنات الدولة الجديدة، وأن يمهد طريقاً ويفتح الأبواب المغلقة للعصبة المؤمنة كان ما كان لدعوته من تأثير وعجب.

وإن مما يساعد على شحذ همم الموهوبين من الدعاة ممن فقدوا الثقة في أنفسهم أن يتبصروا في إحداق المؤامرة بأبناء هذه الأمة وأن يروا كيف يعمل أعداؤها على محو هويتها وجرأة بعضهم على التعبير عن دعوته رغم باطلها.

٢ - تفرد الداعية: الخطيب أو الداعية يؤدي دور الأنبياء والصديقين والمصلحين في كل زمان في قضية التوجيه، وشاء أم أبى فهو محط الأنظار ومرجع الأفكار.. فلابد أن يكون كما قلنا مقتنعاً بما يدعو الناس إلى الاعتقاد فيه والعمل به. فالريادة في هذا الباب تنبع من القدوة الحسنة والمثل الأعلى الذي يضربه للناس، فلا يصلح أبداً أن يأمر الناس بشيء ولا يأتيه أو ينهاهم عن شيء ويأتيه.

وفي الحديث الصحيح عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ قال:«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحاء فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول بلى: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه» متفق عليه.. وتندلق أقتابه: أي تخرج أمعاؤه..

وشخصية الداعية أو الخطيب شخصية فريدة تجبر الآخرين على تبني فكرته في التغيير، فلا يذوب أو يتحلل في شخصيات الخطباء الآخرين أو يتحول إلى بوق أو ببغاء يردد أسلوبهم أو يتملق للناس بألفاظهم، وطريقة إخراج الحروف، ولكنه يفرض شخصيته أو كما كان يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله «أنت نسيج وحدك».. في كتابه الرائع جدد حياتك.. إن أيسر شيء على المقلد أن يفنى في شخصية من يقلده ومن واجبات الخطيب الداعية المعاصر أن يأخذ بيد المرضى والعصاة والجهلة وعبدة الدنيا بيد حانية رقيقة، فلا يبطش بالمسلمين فالبطش والعنف أثبت فشله وانصراف الناس عنه..

فلا يصح أن يقف خطيب على منبر يوجه الناس فيقول: «اتق الله لعلك تنجو.. ولست أراك ناجياً» طبعاً هذا حدث بالفعل.

كما يجب أن يكون حال الداعية خيراً من مقاله وسلوكه أوقع أثراً من حديثه وأن يأسر الناس بأخلاقه حتى يحدث التفاعل والتغيير والارتقاء الذي من أجله شرعت الدعوة والخطابة.. وكم رأينا من خطباء ترتج الحلوق خلفهم بالدعاء ثم ينتهي كل شيء كأن لم يكن، نتيجة لفقدان المعايشة والقدوة خارج أسوار المسجد.

والعكس صحيح، فقل أن تجد داعية أو خطيباً خلقه الصبر ومنهجه اللين والرفق ثم هو ناجح في حياته العامة والشخصية.. خدوماً للناس والمجتمع.. بسيط التكوين والطباع ثم تجده فاشلاً أو غير مؤثر فيمن حوله من الناس كافرهم قبل مؤمنهم.

٣ - سعة الاطلاع: أنت أيها الخطيب الداعية عندما تقف مستشرفاً فوق الجموع الغفيرة يجب أن تراعي أموراً عدة. منها أن هذا الجمع الغفير يضم فيما يضم أطباء ومهندسين ومحامين وأساتذة جامعة ومدرسين وعلماء ومثقفين.. كل واحد من هؤلاء ينظر لك على أنك أرفع منه في العلم درجة..

خطبة الجمعة نفحة إيمانية وكلمة توجيهية.. ومؤتمر صلح

وبما أنك تقف للناس في موقف التوجيه والتربية وهما أمران عظيمان يحتاجان إلى خصوصية في الفكر والمعرفة وسعة الأفق، فيجب عليك أن تقف على قدر معقول من الثقافة في مختلف العلوم قدر المستطاع.

المتابعة والمداومة على معرفة الجديد والمناقشة مع أهل الاختصاص في آخر الأخبار وأبعادها وتبصير المسلمين بما يحاك أو يدار خاصة مع القضايا المصيرية، قضايا المسلمين المستمرة والمتلاحقة، والمصيرية كالجهاد والصحوة الإسلامية وبث الأمل في وقت اليأس والتحذير والتنبيه في زمن الغفلة.

٤ ـ الموضوعية: من الأمور الخطيرة في الخطيب أو الداعية أن يعتمد منهج التهييج والإثارة الزائفتين وأن يعتمد على القصص التافهة لمجرد جذب الاستماع، وإنما عليه أن يلزم العقل والمنطق، فليس فيما ورد لنا من صحيح الأخبار أن الرسول وأصحابه والسلف الصالح اعتمد لفت الانتباه ـ وهم أساتذته ـ عن طريق الخرافات والهراء والإسرائيليات المغلوطة وفيما تركوه لنا من تراث لو اتعبنا العقول والعيون في البحث والاستزادة منه.

ـ إن المستمع والمتابع ليجد في الواقع وقصص الحياة ما يغنيه الف مرة عن الإحماء الكاذب الزائف.

إذن فموضوعية الداعية تخرجه من حيز ضيق الأفق إلى سعة الدعوة وحقلها الممتد الوارف لكل البشر، وإن ترتيب الأفكار وجدية الطرح لأمر مهم، ومن الموضوعية أن يعطي كل أمر وكل قضية حجمها الطبيعي وأن يرتب الخطيب والداعية أفكاره وأولوياته حسب احتياج مجتمعه ومحيطه الخاص، فليس من المنطق أن يبدأ بالتكفير لتارك الصلاة و٩٠٪ من المجتمع لا يصلون وإنما عليه التدرج فيبدأ من العقيدة الصحيحة وينتقل إلى العبادة السليمة ثم إلى الأصول فالفروع.

ومن الموضوعية عدم تحويل نقاط الخلاف إلى معارك من خلال المنابر أو التركيز على فئة أو شريحة ومخاطبتها كأن يخاطب المثقفين دون الجهال أو العكس.

ومن الموضوعية مناقشة الأقرب فالأبعد فإذا كان هناك حدث قريب من المجلة التي هم فيها فهو أولى بالطرح والعرض وإبداء الراي الصحيح أو كما يقال: لكل مقام مقال وقد أوصى أبو بكر.. عمر رضي الله عنهما قائلاً: «إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار وإن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل» أي أن يكون ميزان الحكم على الأمور هو المنطق لا شهوة الكلام أو الفعل.. وميزان الحكم هو ميزان الصواب والخطأ لا المزاجية..

ومن الموضوعية البعد عن التعصب البغيض أو الأخذ براي مفرد وتجريم ما عداه وخاصة فيما يتسع به الراي.

فنحن جميعاً جنود لهذا الدين العظيم وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل والشافعي والإمام مالك وتلاميذهم كلهم جنود مخلصون مجتهدون في الراي لتوسيع ما ضاق، واختلافهم رحمة لنا وليس وبالاً علينا كما يحلو للبعض أن يصور..

٥ ـ التوثيق والدقة: هذا الأمر غاية في الخطورة والأهمية لأنه يعني بكل بساطة الثقة أو عدمها فيما يقول الخطيب أو الداعية فإما الانصراف عن كل شيء إليه أو الاشتغال بكل شيء عنه.

فهناك دعاة وخطباء لا يعرفون بل يجهلون معنى التوثيق والتدقيق لكل ما يسردون بل ربما لجأ إلى الاختراع أو التأليف أو التلفيق لمجرد جذب الانتباه.

إن عدم التوثيق العلمي للأرقام والتواريخ ورواية الأحداث والأسماء أمر غاية في الخطورة ومزلق شديد وقلّ أن تجد من يقول لك إن هذا القول محض ظن أو راي لبعض العلماء أو أن هذا التاريخ تقريبي أو أن الرقم مشكوك فيه بل يطلق الأرقام والأسماء بلغة الواثق المسيطر على الأوضاع فيخرج الناس ليقراوا بالكتاب اسماء وأرقاماً وروايات أخرى!.

ـ إن ثقة البسطاء بل والمثقفين في شخصك أيها الخطيب أو الداعية تحملك أمانة الصدق فيما يدخل هذه العقول، واحترامك لدعوتك يفرض عليك احترام عقول الناس.

واذكر انني حضرت جمعة لخطيب ظل يتكلم طيلة الخطبة عن «هرقل» ملك المانيا الذي أهلك اليهود عن بكرة أبيهم وكلما شككت في أنني أعاد نفس الاسم . فهو يجهل الفرق بين هتلر الزعيم النازي الأشهر وهرقل الملك الروماني الطاغية.

إن توثيق الروايات خاصة فيما يتعلق بصدر الإسلام يحتاج إلى تنقيح وحرص شديدين لأنه يمس العقيدة أيضاً وما قد نتقبله في الأمور الاعتيادية من خطأ غير مقصود أو أمور تضاربت بها الآراء لا ينبغي في حضرة صدر الإسلام الأول، والأولى إن لم نتأكد من صحة الرواية وخلوها من عوامل البلبلة والحيرة ألا تروى أصلاً.

٦ ـ المنهجة: إن الخطيب يجب أن يسأل نفسه كلما صعد المنبر: لماذا أنا هنا ولماذا يفرض الإسلام على هؤلاء الناس الاستماع والإنصات ويشدد تشديداً لا نجده إلا في الحث على الإنصات لكلام الله؟ إذا أجبت على هذا السؤال فبقي أن تعرف أن عليك في كل مرة تصعد فيها لتكلم الناس أن تضيف إليهم شيئاً جديداً أو تبين لهم أمراً قديماً.

ومنهج الإسلام في الوعظ مميز فهو منهج عاقل مبصر، لايعتمد على رجل واحدة أو يتبنى مبدأ (قل كلمتك وامش)..

وإذا أردت أن تستكشف هذا المنهج فعليك برائده محمد ﷺ فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» (رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح) فالأمر بدأ بموعظة قوية ارتجفت لها الأبدان ثم تحولت إلى منهج حياة للأمة وتوجيه بالطاعة والاتباع للمنهج.

إن واجب الخطيب أن «يمنهج» إذا صح التعبير كل فكرة يدعو إليها، فإذا تكلم عن التوبة وجب أن يتحدث عن أهم لوازمها وهي صحبة الخير، وإذا تحدث عن الصلاة فلا يبدأ بقيام الليل بل يبدأ بالفرائض الواجب أداؤها وتحبيب الوقوف بين يدي الله والأنس بالقرب من رب الكون.. وإذا أراد الحديث عن الجهاد تكلم عن لوازمه في واقع الحياة من صبر على سوء خلق البشر وحسن صحبة الطائعين والمداومة على الطاعات.

٧ ـ القصة: يعتمد أسلوب القرآن كثيراً على القصة كوسيلة للتوثيق وتقريب الحال والمقال، وقد استخدمها الرسول ﷺ أيضاً في دعوته المباركة وإرشاده ووعظه.

والقصة مفيدة في إمتاع المستمع سهلة الاستيعاب والحفظ ويرتبط كل جزء من أجزائها ببعض ربطاً متصلاً مما يرسخ تأثيرها في النفس.

غير أن بعض الخطباء والدعاة لا يستعملون القصة للتوثيق وإنما يبنون القصة ويبحثون عنها ويجعلونها هدفاً فيسطحون من قيمة وكمية الثراء في المكتبة الإسلامية.

إن الكلمة أمانة وأداء الأمانة في عصر الفتن يحتاج إلى عزيمة شديدة وصلابة لا يؤدي حقها إلا أحفاد العلماء والرواد العظام كالعز بن عبدالسلام وابن تيمية ممن نهضوا بالأمة وأعادوا لها مجدها وعزتها وإن أمتنا اليوم لهي في أحوج أزمانها إلى مثل تلك العزائم حتى تخرج بإذن الله مما هي فيه.■

يجب أن يكون حال الخطيب خيراً من مقاله.. وسلوكه أوقع أثراً من حديثه.. وأن يأسر الناس بأخلاقه..

رسائل النور والأخلاق الإسلامية (٢ من ٥)

الإخلاص أساس الأخلاق ومحور النجاة

رؤية النورسي للإخلاص تتلاقى مع رؤية الإمام الغزالي

د. حلمي محمد القاعود (*)

ألقينا الضوء في العدد الماضي على جوانب من حياة بديع الزمان سعيد النورسي، وتعرفنا على ملابسات مولده وكيف أنه شب في ظروف سياسية محلية وعالمية غير مواتية، حيث أسقطت الخلافة، وتمزق شمل الدول العربية والإسلامية، وانفرط عقدها، وكيف قام منادياً بإصلاح الأخلاق، جاهراً بكلمة الحق، فكاد يتعرض للنفي من أنقرة بعد أن تصدى لمصطفى كمال وجهر بكلمة الحق في وجهه... وكيف كاد أن يُعدم، غير أن الله شاء أن يمتد به العمر ليتم رسائله الأخلاقية الإصلاحية «رسائل النور».. وعرفنا أنه اهتم في رسائله بالحديث عن القيم الإيجابية والسلبية معاً.. داعياً إلى الأولى، ومحذراً من الثانية، ونواصل في هذا العدد حديثنا عنه فنقول:

بديع الزمان النورسي

كانت أولى القيم الإيجابية وعمدتها لدى النورسي، قيمة «الإخلاص»، ولأهميتها، أفرد لها رسالتين في «اللمعات» (العشرين، والحادية والعشرين)، فضلاً عن إشارات أخرى عديدة في أكثر من «لمعة»، وأكثر من مكان في رسائله.

ويقوم تناوله لقيمة الإخلاص على تأمل الآية الكريمة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر)، وقد جاء في الأثر «هلك الناس إلا العالمون. وهلك العالمون إلا العاملون، وهلك العاملون إلا المخلصون. والمخلصون على خطر عظيم».

ويرى أن الآية الكريمة تدلنا - مع الحديث الشريف - على مدى أهمية الإخلاص في الإسلام، ويتحدث عن اختلاف أصحاب الدين والعلم وأرباب التصوف -، وهم أهل حق ووفاق ووئام - بالتنافس والتزاحم، في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة والضلالة والنفاق من دون مزاحمة ولا حسد فيما بينهم، مع أن الاتفاق من خصائص الأولين والخلاف ملازم لأهل الشقاق والنفاق!

إن الأسباب السبعة للاختلاف - التي ذكرها - تستغرق اللمعة العشرين كلها على طولها وإفاضتها، ولكنه يستطرد في اللمعة الحادية والعشرين لمزيد من تجلية قيمة الإخلاص من خلال المفاهيم القرآنية في قوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (الأنفال:٤٦)، وقوله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين ۝٢٣٨﴾ (البقرة)، وقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها ۝٩ وقد خاب من دساها ۝١٠﴾ (الشمس)، وقوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا﴾ (البقرة:٤١)، ويضع على ضوئها ثلاثة أسس للإخلاص، وأيضاً ثلاثة موانع له.

ويرى النورسي أن اختلاف أهل الحق غير نابع من فقدان الحقيقة، كما أن اتفاق أهل الغفلة ليس نابعاً من ركونهم إلى الحقيقة، بل إن وظائف أهل الدنيا والسياسة والمثقفين وأمثالهم من طبقات المجتمع قد تعيّنت وتميّزت، ولكل منهم مهمته الخاصة التي ينشغل بها، وأجرته عليها متميزة ومتعينة أيضاً، فضلاً عمّا يأخذه من أجرة معنوية كحب الجاه ونيوع الصيت والشهرة.. فليس هناك إذاً ما يولد منافسة أو مزاحمة أو حسداً فيما بين هؤلاء، وليس هناك ما يوجب المناقشة والجدال، لذا تراهم يتمكنون من الاتفاق مهما سلكوا من طرق الفساد.

أما أهل الدين وأصحاب العلم وأرباب التصوف، فإن وظيفة كل منهم متوجهة إلى الجميع، وإن أجرتهم العاجلة غير متعينة وغير متخصصة، كما أن حظهم من المقام الاجتماعي وتوجه الناس إليهم والرضا عنهم لم يتخصص أيضاً، فهناك مرشحون كثيرون لمقام واحد، وقد تمتد أيد كثيرة جداً إلى أية أجرة، مادية كانت أو معنوية، ومن هنا تنشأ المزاحمة والمنافسة والحسد والغيرة، فيتبدل الوفاق نفاقاً، والاتفاق اختلافاً وتفرقاً.

علاماته:
إيثار الحق والهدى على اتباع النفس والهوى

الإخلاص... «مرهم» ناجع

ويرى النورسي أنه لا يشفي من هذا المرض العضال إلا مرهم الإخلاص الناجع، أي أن ينال المرء شرف الامتثال للآية الكريمة: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (يونس:٧٢)، بإيثار الحق والهدى على اتباع النفس والهوى، وبترجيح الحق على أثرة النفس، وأن يحصل له امتثال بالآية الكريمة: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝٥٤﴾ (النور)، باستغنائه عن الأجر المادي والمعنوي المقبلين من الناس، مدركاً أن استحسان الناس كلامه، وحسن تأثيره فيهم، ونيل توجههم إليه هو مما يتولاه الله سبحانه وتعالى، ومن إحسانه وفضله وحده، وليس داخلاً ضمن وظيفته التي هي منحصرة في التبليغ فحسب، فمن وفقه الله إلى ما ذكر آنفاً يجد لذة الإخلاص وإلا يفوته الكثير.(١)

إن الدنيويين الغافلين، يحصرون نظرهم حصراً في الحياة الدنيا، فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم، وتراهم يرتبطون معها بأوثق رباط، وبكل ما لديهم من مشاعر روح وقلب، فأيما شخص يمد لهم يد المساعدة يستمسكون بها بقوة، فهم يحصرون وقتهم الثمين جداً في قضايا دنيوية لا تساوي شيئاً في الحقيقة لدى أهل الحق».(٢)

من ثمار عدم الإخلاص.. الحسد والمنافسة

إن النورسي، ومن خلال خبرته الحياتية والدعوية، يرى أن الحسد والمنافسة نتاج لعدم الإخلاص، وأن الأعمال الصالحة التي تفضي إلى الآخرة لا مجال فيها للتنافس أو التحاسد، فمن تحاسد فهو لا شك مراءٍ يتحرى مغانم دنيوية تحت ستار الدين، ويبحث عن منافع باسم العمل الصالح، أو أنه جاهل صادق لا يعلم أين وجهة الأعمال الصالحة، ولم يدرك بعد أن الإخلاص روح الأعمال الصالحة وأساسها.(٣)

ويشير النورسي إلى أن العلاج الوحيد للتحاسد ويسميه بـ«المرض»، هو: اتهام المرء نفسه، والانحياز إلى جهة رفيقه في نهج الحق وعدم الانحراف عن دستور الإنصاف، أي أن طالب الحق المنصف يسخط نفسه لأجل الحق، وإذا ما رأى الحق لدى خصمه رضي به وارتاح إليه.(٤)

ويخاطب النورسي تلاميذه قائلاً:
«اعلموا أن قوتكم جميعاً في الإخلاص والحق،

(*) رئيس قسم اللغة العربية بجامعة طنطا- مصر

نعم! إن القوة في الحق والإخلاص، حتى إن أهل الباطل يحرزون القوة لما يبدون من ثبات وإخلاص في باطلهم.

نعم! إن خدمتنا هذه في سبيل الإيمان والقرآن هي دليل بذاتها على أن القوة في الحق والإخلاص، فشيء يسير من الإخلاص في سبيل هذه الخدمة يثبت دعوانا هذه ويكون دليلاً عليه»(٥).

موانع الإخلاص

ويحدد النورسي في نهاية الأمر ثلاثة موانع للإخلاص هي:

أولاً: الحسد الناشئ من المنافع المادية، وسبقت الإشارة إليه، وإلى طرق العلاج منه.

ثانياً: حب الشهرة وذيوع الصيت أو إعطاء ما يُداعب أنانية النفس الأمارة بالسوء.

ثالثاً: الخوف والطمع.

ويضرب. هذا المثل لإدامة الإخلاص.

يقول:

«يحصل الصناعيون وأهل الحرف على الإنتاج الوفير وعلى ثروة هائلة نتيجة اتباعهم قاعدة «المشاركة في الصنعة والمهارة».. وإليك المثال:

قام عشرة من صناعي إبر الخياطة بعملهم، كل على انفراد، فكانت النتيجة ثلاث إبر فقط لكل منهم في اليوم الواحد.. ثم اتفق هؤلاء الأشخاص حسب قاعدة «توحيد المساعي وتوزيع الأعمال»، فأتى أحدهم بالحديد والآخر بالنار، وقام الثالث بثقب الإبرة والآخر بإدخالها النار والآخر بدأ بحدها، وهكذا فلم يذهب وقت أحد سدى، حيث انصرف كل منهم إلى عمل معين وأنجزه بسرعة، لأنه عمل جزئي بسيط أولاً، ولاكتسابه الخبرة والمهارة فيه ثانياً، وحينما وزعوا حصيلة جهودهم رأوا أن نصيب كل منهم في يوم واحد ثلاثمائة إبرة بدلاً من ثلاث إبر... فذهبت هذه الحادثة أنشودة يترنم بها أهل الصناعة والحرف، الذين يدعون إلى توحيد المساعي وتوزيع الأعمال»(٦).

وإذا كانت هذه الفوائد العظيمة نتيجة الاتفاق في الأعمال الدنيوية فكم يكون يا ترى ثواب أعمال أخروية ونورانية! وكم يكون الثواب المنعكس من أعمال الجماعة كلها بالفضل الإلهي في مرآة كل فرد منها!.

إن الفوائد العظيمة دنيوياً وأخروياً كفيلة بإدامة الإخلاص بين المسلمين، ثم إنها تدفعهم إلى التعاون والتلاحم لتجاوز صعوبات الحياة، والتغلب على مشكلاتها، والتساند لإقامة الدين ونشره ومواجهة خصومه، ومن هذا المنطلق، فإن المسلم يترك أوجه الاختلاف ويحض على أوجه الاتفاق، خاصة وأن دساتير الإخلاص تحقق وحدة الأمة، أو الجماعة، وترابط المسلمين في كل مكان.

الإخلاص.. محور النجاة ومدارها

إن النورسي يعد الإخلاص محور النجاة ومدارها بالنسبة للمسلمين، والإخلاص يجب أن يشمل كل شيء في حياة المسلم، ويرى أن ذرة من حب خالص تفضل على أطنان من الحب الصوري

موانعه:
الحسد.. حب الشهرة..
والخـــوف والطمع

الشكلي، وهو ما عبّر عنه شاعر قديم بقوله:

وما أنا بالباغي على الحب رشوة
ضعيف هوى يبغي عليه ثواب(٧)

إن رؤية النورسي تتلاقى في مجملها مع رؤية أبي حامد الغزالي للإخلاص، وإذا كان النورسي، قد انطلق من الواقع الذي يحياه تلاميذه، ومجتمعه معتمداً على المعطيات القرآنية والسنة النبوية وأحداث التاريخ والحياة، فإن الغزالي يبدو أقرب إلى «الأكاديمية» التي تلجأ إلى منهجية التعريف والأدلة والبراهين ثم الوصول إلى النتائج، من خلال لغة تبدو موجهة للخاصة قبل العامة.

يبيّن الغزالي حقيقة الإخلاص فيقول:

«اعلم أن كل شيء يُتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سُمي خالصاً، ويسمى الفعل المصفى المخلص إخلاصاً، قال الله تعالى: ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (النحل)، فإنما خلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به، والإخلاص يضاده الإشراك، فمن ليس مخلصاً فهو مشرك، إلا أن الشرك درجات، فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية، والشرك منه خفي ومنه جلي، وكذا الإخلاص، والإخلاص وضده يتواردان على القلب... فمحله القلب، وقد ذكرنا حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث، فمهما كان الباعث واحداً على التجرد سمي الفعل الصادر إخلاصاً، بالإضافة إلى المنْوي، فمن تصدّق وغرضه محض الرياء فهو مخلص، ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب...»(٨).

ويستمر الغزالي في شرح حقيقة الإخلاص وما يلتبس به من مفاهيم، حتى يصل إلى مفهوم التجريد قصد التقرب إلى الله تعالى، وتخليص العمل من كل الشوائب قليلها وكثيرها، وهو ما لا يفعله إلا محب لله مستغرق الهم بالآخرة، بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار.(٩)

إن الغزالي يمضي في شرح حقيقة الإخلاص، متتبعاً دقائقه مستعيناً بأمثلة وحكايات تؤكد ما يذهب إليه، كما يسجل أقاويل الشيوخ في الإخلاص، ثم يتحدث عن درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص، وهي تعادل «موانع الإخلاص» التي ذكرها النورسي، ومنها: الرياء، والخوف، والرجاء، ويفيض الغزالي في شرح دور الشيطان ووسوسته للمؤمن كي يشوب إخلاصه بهذه الموانع.(١٠)

ولا شك أن التقارب في الحديث عن حقيقة الإخلاص وشوائبه بين النورسي والغزالي يؤكد وعي الرجلين بقيمة الإخلاص بوصفها أساساً خلقياً تقوم عليه حياة المسلم، ونهضة المسلمين وعزتهم وقوتهم في الدنيا، وقبولهم عند الحق سبحانه في الآخرة.

ويمكننا أن نعد هذه المقارنة السريعة بين تناول قيمة الإخلاص لدى الرجلين موجودة بمشابهها المتعددة في تناول بقية القيم الخلقية الإسلامية، سواء في رسائل النور للنورسي، أو إحياء علوم الدين، وأسماء الله الحسنى للغزالي.■

توحيد المساعي وتوزيع الأعمال أهم ضمانات التغيير والإصلاح

الهوامش

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات: ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط٢، سوزلر للنشر، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص ٢٢٥ - ٢٨٨.
(٢) السابق، ص ٢٣٥.
(٣) نفسه، ص ٢٣٧.
(٤) نفسه، ص ٢٣٩.
(٥) السابق، اللمعة الحادية والعشرون، ص ٢٤٤.
(٦) نفسه، ص ٢٤٩.
(٧) اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، ص ٢٠١.
(٨) أبوحامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، ٣٦٧/٤.
(٩) السابق، ٣٦٨/٤.
(١٠) نفسه، ٣٧٠/٤ - ٣٧٤.

فتاوي المجتمع

دكتور عجيل النشمي
عميد كلية الشريعة . جامعة الكويت سابقا

يجوز طلب الطلاق لمن امتنع عنها زوجها

● **سيدة امتنع زوجها من إعطائها حقها الشرعي من المعاشرة الزوجية، وسمعت من يقول: إن الزوج إذا امتنع عن زوجته اربعة أشهر أو أكثر فإنه يجب التفريق بينهما، بحكم ما يسمى «الإيلاء»، فما الحكم الشرعي في هذه المسألة؟**

○ ما دام الزوج قد امتنع عن ذلك دون أن يحلف على الامتناع مدة أربعة أشهر فأكثر، فإن ذلك لا يكون إيلاءً، ولو زادت المدة على أربعة أشهر، لكن هذا يعتبر من سوء العشرة، وهذا يعطي الزوجة الحق عند بعض الفقهاء في طلب التطليق من القاضي، وهذا كله إذا لم يكن هناك سبب أو عذر يمنع الرجل من المعاشرة.■

حكم تسمية المولود الميت والصلاة عليه

● **سقط الجنين بعد مضي ٦ أشهر من الحمل، وقد تكفلت إدارة المستشفى بالقيام بامور دفنه، فهل هناك امور يجب علينا القيام بها حالياً، إذ سمعت أنه كان يجب علي تسمية المولود والعق عنه، حتى يكون شفيعاً لنا يوم القيامة، وهل يُغسّل السقط ويصلى عليه؟**

○ العقيقة سنة مؤكدة، وأنت لا عقيقة عليك، مادام الجنين لم يولد حياً، لأن العقيقة هي ما يذبح عن المولود شكراً لله تعالى، فالمولود ميتاً لا يُعق عنه.

أما دفنه فمتفق عليه، بأن يُلف في خرقة ويدفن، وأما تغسيله والصلاة عليه فمُختلف فيه، فالحنفية قالوا يغسّل ويسمى، ويدرج في خرقة ويدفن، ولا يصلى عليه، سواء تم خلقه أم لم يتم، وقال المالكية: لا يغسّل ويغسل دمه ويلف بخرقة ويدفن، وقال الشافعية: إن لم يتم أربعة أشهر كُفن ودفن، وإن أتمها فيصلى عليه، وإن أتم ستة أشهر فيجب فيه ما يجب على الكبير.

وقال الحنابلة: إن أتم أربعة أشهر أو بان فيه خلق آدمي غُسّل وصُلي عليه وتمت تسميته لقوله ﷺ: «والسقط يصلى عليه» (أبو داود ٣٣١٣، وصححه الحاكم والذهبي).■

المطلقة قبل الدخول بها .. لا يمكن مراجعتها

● **امرأة طلقها زوجها قبل أن يتم الدخول، ولكنهما كانا يخرجان معاً، ويعدان احتياجات بيت الزوجية، فماذا يكون من حقوق والتزامات شرعية؟**

○ الطلاق إذا تم قبل الدخول، فلا عدة على المرأة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ (الأحزاب). وإذا كانت المطلقة قبل الدخول لا عدة لها، فلا يمكن مراجعتها، وهذا الطلاق يعتبر من أنواع الطلاق البائن وهو بائن بينونة صغرى، ويحتاج إلى عقدة ومهر جديدين، إلا إذا كان بينهما خلوة، كما هو حال السؤال، فإن الخلوة كالدخول الحقيقي، فتثبت العدة بالطلاق بعد الخلوة، ويترتب على ذلك كل ما يترتب على ثبوت العدة من: وجوب النفقة، وحرمة نكاح محرم للزوجة حتى تنتهي عدتها، وحرمة تزوج أربعة غيرها في أثناء العدة.■

المشاركة في الغُنم والغُرم جائزة

● **هل تجوز المشاركة في شركة تحدد لنا نسبة الربح مقدماً؟**

○ لا مانع من المشاركة في هذه الشركة، لأن أعمالها مشروعة، كما لا مانع من تحديد نسبة الربح، ما دام الربح سيوزع حين حصوله، وفي الخسارة يتحمل كل شريك منها، حسب نسبة مشاركته في رأس المال، كما يشترط ألا يوجد في العقد شرط تضمن الشركة بموجبه رأس مال الشركة أو الشريك، وهذا العقد هو عقد مضاربة شرعية، وهو عقد يدفع بموجبه شخص أو أكثر مالاً لمن يعمل به، وللعامل نسبة من الربح إذا وجد ربح، وقد يكون العامل شريكاً ومضارباً، وإذا خسرت الشركة يخسر العامل - وهو الشركة هنا - جهده، ويخسر صاحب المال ماله.■

إمامة الصبي تصح في النافلة دون الفريضة

● **ما حكم إمامة الصبي في الصلاة، نافلة كانت أو فريضة؟**

○ لا تصح إمامة الصبي لصلاة الفريضة، بل يشترط أن يكون الإمام بالغاً، هذا رأي جمهور الفقهاء، وهم الحنفية والمالكية والحنابلة، ولكن تجوز إمامته - على رأيهم - في غير الفريضة، وقد استندوا إلى حديث ضعيف وهو: «لا تقدموا صبيانكم». وقال الشافعية: تجوز إمامته - إذا كان مميزاً - سواء في صلاة الفريضة أم النافلة، لحديث عمرو بن سلمة أنه «كان يؤم قومه على عهد رسول الله ﷺ وهو ابن ست سنين» (أخرجه البخاري ٢٢١٨)، لكن إمامة البالغ عندهم أولى، وإن كان الصبي أقرأ أو أفقه، أما إمامة الصبي المميز لأمثاله فجائزة وصحيحة في النافلة والفريضة.■

الإجابة للشيخ يوسف القرضاوي من موقع: islam-online.net

مسابقات محرمة لأنها قمار

● **ما الحكم في المسابقات المليونية أو ما دون المليون عبر الهواتف الدولية والمحلية؟**

○ هذه المسابقات التي يشترك فيها الناس عن طريق الاتصال بالهواتف الدولية أو المحلية، على أمل أن يربحوا المليون، أو ما دون المليون، ثم تكون النتيجة أن الملايين منهم يخسرون أجرة الاتصالات الهاتفية التي يدفعونها لشركات الهاتف، وتتقاسمها مع منظمي المسابقة، ولا يحصلون في النهاية إلا على الريح.

وليست هذه المسابقات إلا لونًا من القمار - أو الميسر بلغة القرآن - تدخله الملايين الطامعة في المليون أو ما دونه بما تدفعه للهاتف، على احتمال أن تربح أو تخسر، ثم تخسر الأغلبية الساحقة، ويكسب واحد في المليون أو في كل ملايين عدة!

صحيح أنه لا يخسر مبلغاً كبيراً، ولكن العبرة بالمبدأ، وليس بحجم الخسارة، والمهم أنه دخل العملية مقامرًا، لعله يكسب ويصبح مليونيرًا في لحظة.

والإسلام يحرم القمار أو الميسر تحريمًا باتًا، ويقرنه بالخمر في كتاب الله، ويجعله - مع الخمر والأنصاب والأزلام - رجساً من عمل الشيطان، مما يدل على أنه من كبائر المحرمات لا من صغائرها، وما ذلك إلا ليحمي الناس من التعلق بالأوهام والأحلام الزائفة، التي تُبنى على غير أساس، والإسلام لا يمنع الإنسان من أن يكسب المال، ضمن شبكة الأسباب والمسببات، ووفق سنن الله في الكون والمجتمع، إذ الأصل في هذه السنن أن يكسب الإنسان المال بكد اليمين، وعرق الجبين، وإعمال الفكر، وإجهاد الجسم، ومواصلة الليل بالنهار، حتى يحقق الآمال.

أما أن ينام على أذنه، ويغرق في الأحلام، ويحصل الثروة عن طريق (ضربة حظ) تواتيه، فليس هذا من هدي الإسلام، ولا من نهج الإسلام، ولا من خلق المسلمين.

ثم إن هذه الشركات التي تنظم هذه المسابقات وأمثالها تجمع من الناس أضعاف ما تدفع لهم، لأنهم أعداد كبيرة، فهي - من ناحية أخرى - تأكل أموال الناس بالباطل، أي إنها - بصريح العبارة - عملية سرقة مُقَنَّعة، ومُغَلَّفة بالمسابقة.

ومما يؤسف له أن يشيع في مجتمعاتنا المسلمة هذا النوع من المسابقات وجوائز السحب الكبرى والوان اليانصيب ونحوها، مما ينكره الإسلام ويحرمه، وينشئ شبابنا المسلم على هذه التطلعات غير المشروعة، ليسبح في غير ماء، ويطير بغير جناح. وقد حذر سيدنا علي رضي الله عنه قديماً من ذلك ابنه الحسن في وصية له إذ قال: «وإياك والاتكال على المُنى، فإنها بضائع النوكى (أي الحمقى)». وقال الشاعر:

ولا تكن عبد المُنى فالمنى
رؤوس أموال المفاليس!■

الإجابة للشيخ فيصل مولوي من موقع: mawlawi.net

كيف أحافظ على مالي بالحلال؟

● **لدي مبلغ من المال حصلت عليه من بيع قطعة أرض، وانوي به شراء منزل للسكن؛ إلا أن المبلغ غير كاف، ويتطلب الأمر وقتاً طويلاً للتمكن من ذلك. فهل يمكن لي أن أضع هذا المبلغ في صندوق للتوفير يؤدي فوائد عليها؟**

وإذا كان الأمر حراماً فكيف يمكن لي أن أحتفظ بالقيمة الفعلية للمبلغ علماً بأنني موظف لا يمكنه المتاجرة من ناحية ومن ناحية أخرى لا أريد ضياع مالي من جراء التضخم المالي الذي تعرفه بلادي، كما لا يُوجد لدينا بنوك إسلامية؟

○ أخذ الفائدة على المال حرام حرمة قطعية لا خلاف فيها عند أهل العلم المعتبرين أما إذا أردت الحفاظ على مالك فأمامك الاختيارات التالية:

١- يمكنك وضعه في صندوق المدخرات دون أخذ الفائدة، بل تصرفها للفقراء، وفي مصالح المسلمين العامة.

٢- يمكنك أن تدفع به إلى تاجر تعرفه فيتاجر لك به على أن يكون بينكما عقد واضح يحدد نسبة المشاركة في الربح والخسارة.

٣- يمكنك أن تحوله إلى عملة أجنبية فإنها أقوى من عملات بلادنا. واقترح عليك اليورو أو الفرنك السويسري أو غيرهما باستثناء الدولار، فإنّه مشمول بدعوتنا لمقاطعة البضائع الأمريكية.■

الإجابة للشيخ عطية صقر من موقع: alazhr.com

الشرك الخفي والوقاية منه

● **ما الشرك الخفي؟**

○ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال»؟ فقلنا: بلى يا رسول الله فقال: «الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل». (رواه ابن ماجة والبيهقي). وجاءت فيه روايات بألفاظ متقاربة كلها تفيد أن الرياء مذموم، كأن يشرك الإنسان مع الله غيره في أداء العبادة، قال تعالى في ذم المرائين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ (النساء) وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ (الماعون).

والأحاديث في ذم الرياء كثيرة، منها حديث مسلم في الثلاثة الذين يكونون أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، المجاهد والعالم والجواد، إذ كانوا يحرصون على ثناء الناس عليهم. وحديث البخاري ومسلم: «من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به» أي من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة يوم القيامة، وفضحه على رءوس الأشهاد.

وحديث ابن خزيمة في صحيحه: «يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر»؛ قالوا وما هو؟. قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً، لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر». وجاء في حديث أحمد والطبراني أن النبي حذّرهم من هذا الشرك الخفي فسألوه كيف يتقونه؟ فقال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه». وفي بعض الروايات: يُقال ذلك ثلاث مرات كل يوم.■

رفقاً بالقوارير

معدلات الكآبة أعلى بين الفتيات

أظهرت دراسة جديدة، أن الفتيات أكثر عرضة من الصبيان للإصابة بالاكتئاب في حياتهن اللاحقة.. وفسَّر العلماء في جامعة فلوريدا الأمريكية، ذلك بأن الفتيات يتعاملن مع مشاعر الحزن والتوتر بشكل ضاغط وبطريقة أكثر تعقيداً من الأولاد.

وبعد توزيع استبانات خاصة بتقييم أنماط الاستجابة المختلفة للنفسية الكئيبة، على ٢٠٥ أطفال تراوحت أعمارهم بين ٩ - ١٢ سنة، تبين أن البنات أكثر ميلاً للتفكير في مشاعرهن السلبية، بينما يحاول الأولاد إلهاء أنفسهم للتخلص من هذه المشاعر.

ولاحظ العلماء عند تحليل إجابات الأطفال عن سؤال حول إمكان تفكيرهم في مشكلة يواجهونها كالحصول على علامة منخفضة في الامتحان، أو عدم دعوتهم لحفل مثلاً أن البنات يملن للتفكير في المشكلة أكثر وأكثر، وهذا السلوك هو الذي يزيد خطر إصابتهن بالكآبة.

وأوضح الخبراء في الدراسة التي سجلتها مجلة «علم النفس السريري للأطفال والمراهقين»، أن هذا الاكتشاف يتفق مع نظرية أنماط الاستجابة التي تقول إن الأشخاص الذين يظهرون أعراض الكآبة ومضاعفاتها وأسبابها، يصابون بأعراض مزمنة أكثر شدة، بينما يواجه الأشخاص الذين يحاولون الالتهاء عن هذه المشاعر بأعراض أقل شدة.

ودعا الباحثون إلى تطبيق ما يعرف بالتدخل الوقائي، ومناقشة أساليب التحمل وحل المشكلات في المدارس الابتدائية، ومراقبة استجابات الأطفال لمشاعر الحزن، وتشجيعهم على اللعب وممارسة النشاطات بدلاً من التفكير في المشكلات، مشيرين إلى أن ١٥ - ٢٠ ٪ من المراهقين يصابون باكتئاب رئيس، وهي النسبة نفسها الموجودة بين البالغين.■

ومازال الخبل العلمي الغربي مستمراً..

الحيوانات الأليفة أفضل من الأزواج!

يحث ديننا الحنيف على الزواج، وقد ورد هذا عن النبي ﷺ «يا معشرَ الشُباب! من استطاع منكم الباءَةَ فليَتَزَوَّجْ، فإنَّهُ أغضُّ للبَصَر، وأحْصَنُ للفَرْج، ومَنْ لم يستطعْ فعليهِ بالصَّوم فإنَّه له وجاءٌ»، وقال أيضاً: «إنَّ سُنَّتَنا النكاحُ، شراركم عُزَّابكم، وأراذلُ موتاكم عُزَّابكم، أبالشيطان تَمرَّسون، ما للشيطان من سلاح أبلغ في الصالحين من النساء، إلا المتزوجون أولئك المُطَهَّرون المبرؤون من الخَنَا»، لكن بعض الأبحاث الغربية يخرج علينا بنظريات علمية مغلوطة ينقصها البرهان، تشير إلى أن الزواج يرفع مستوى التوتر والقلق عند النساء، مما قد يدفعهن عملياً إلى الجنون، وأن القطط والكلاب تمنح وجوداً أكثر راحة للنفس من وجود زوج أو زوجة، وأن الأطفال الذين يعيشون في أسر تقتني الحيوانات الأليفة يتمتعون بجهاز مناعي قوي، كما أنهم أقل عرضة للإصابة بالأمراض!.

فما حقيقة هذه الأبحاث وما المغزى من ورائها؟!

د. وجدي عبد الفتاح سواحل(*)

الزواج من منظور إسلامي: الزوجية هي وجود زوجين.. من كل شيء في هذا الوجود، وهي سنَّة من سُنَن الله في خلقه، قال تعالى: ﴿ومن كُلِّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلَّكم تذكَّرون (٤٩)﴾ (الذاريات)، وقال تعالى: ﴿سبحانَ الذي خلق الأزواجَ كلَّها مما تُنبتُ الأرضُ ومن أنفسهم ومما لا يعلمون (٣٦)﴾ (يس)، فإذا ما تأمل الإنسان في مخلوقات هذا الكون، وجدها كلها تخضع لسنة الزوجية، بدءاً من الذرات التي هي أصغر المخلوقات ومنها يتركَّب كلُّ شيءٍ في الكون، وهي تتكوَّن من زوجين متباينين من العناصر: نوع موجب «البروتونات»، ونوع سالب «الإلكترونات»، وكذلك النبات والحيوان والإنسان وغيرها خاضعٌ لقانون الزوجية!.

وقد اقتضت حكمة الخالق عزَّ وجلَّ أن يكون الزوجُ من مختلف المخلوقات في حالة من القلق وعدم الاستقرار حتى يلتقي زوجُه، فالذرة مثلاً حين تفقد أحد إلكتروناتها تصبح في حالة قلقة يسميها أهل الكيمياء: الشاردة، وقد لاحظوا أن هذه الشاردة لا تستقر حتى يعود إليها الإلكترون الحبيب! وكذلك هم بنو البشر، فإن الرجل والمرأة كليهما يظلان في حالة من القلق والشوق حتى يلتقي كلٌّ منهما بالآخر، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحالة أبلغَ تعبير بقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢١)﴾ (الروم).

الحيوانات الأليفة..

وتزعم إحدى الدراسات الأمريكية أن القطط والكلاب تمنح وجوداً أكثر راحة للنفس من وجود زوج أو زوجة، وأنه حتى الأصدقاء الحميمين ليس لهم التأثير المهدئ نفسه في موقف يثير التوتر مثل الحيوانات المنزلية. وعلى الرغم من الأسلوب العلمي الذي حاولت هذه الدراسة انتهاجه، فقد رفضها العديد من العلماء لقلة عدد المشاركين فيها وإهمالها للأمراض التي يمكن أن تنتقل للإنسان من الحيوانات. كما اعتبرها البعض دعاية للثقافة الغربية الداعية إلى الانفرادية وعدم الزواج.

ومن جانب آخر، قالت دراسة أخرى.. بريطانية هذه المرة إن الأطفال الذين يعيشون في أسر تقتني الحيوانات الأليفة يتمتعون بجهاز مناعي قوي، كما أنهم أقل عرضة للإصابة بالأمراض، وأكثر انتظاماً في حياتهم الدراسية مقارنة بغيرهم من الأطفال الذين تخلو بيوتهم من هذه الحيوانات. وتشير الدراسة إلى أنها وجدت أن أحد الأجسام المضادة يعرف اختصاراً بـ(آي جي إيه) ويوجد في لعاب الأطفال ويستخدم كمؤشر على قوة جهاز المناعة - موجود بمعدلات أكثر ثباتاً لدى أطفال الأسر التي تقتني الحيوانات الأليفة، مقارنة بغيرهم مما يدل على قوة جهازهم المناعي وقدرته على الوقاية من العديد من الأمراض.

وعلى الرغم من أن الدراسة تعزز الفرضية الشائعة التي يعوزها البرهان من أن النظافة المفرطة في مراحل العمر المبكرة تضعف جهاز المناعة، وهو سبب يمكن أن يفسر تفشي مرض الربو بمعدلات كبيرة بين الأطفال هذه الأيام، إلا أنها حذَّرت من أن الالتصاق الشديد بالحيوانات الأليفة ومعايشتها لفترات طويلة قد يسبب مشكلات صحية من بينها دودة طفيلية توجد في الكلاب وتؤدي إلى آلام بالمعدة وأضرار بالعين.

هل الرجال يحصدون ثمار الزواج؟!

في المقابل، أظهرت دراسة جديدة أن

(*) المركز القومي للبحوث. القاهرة

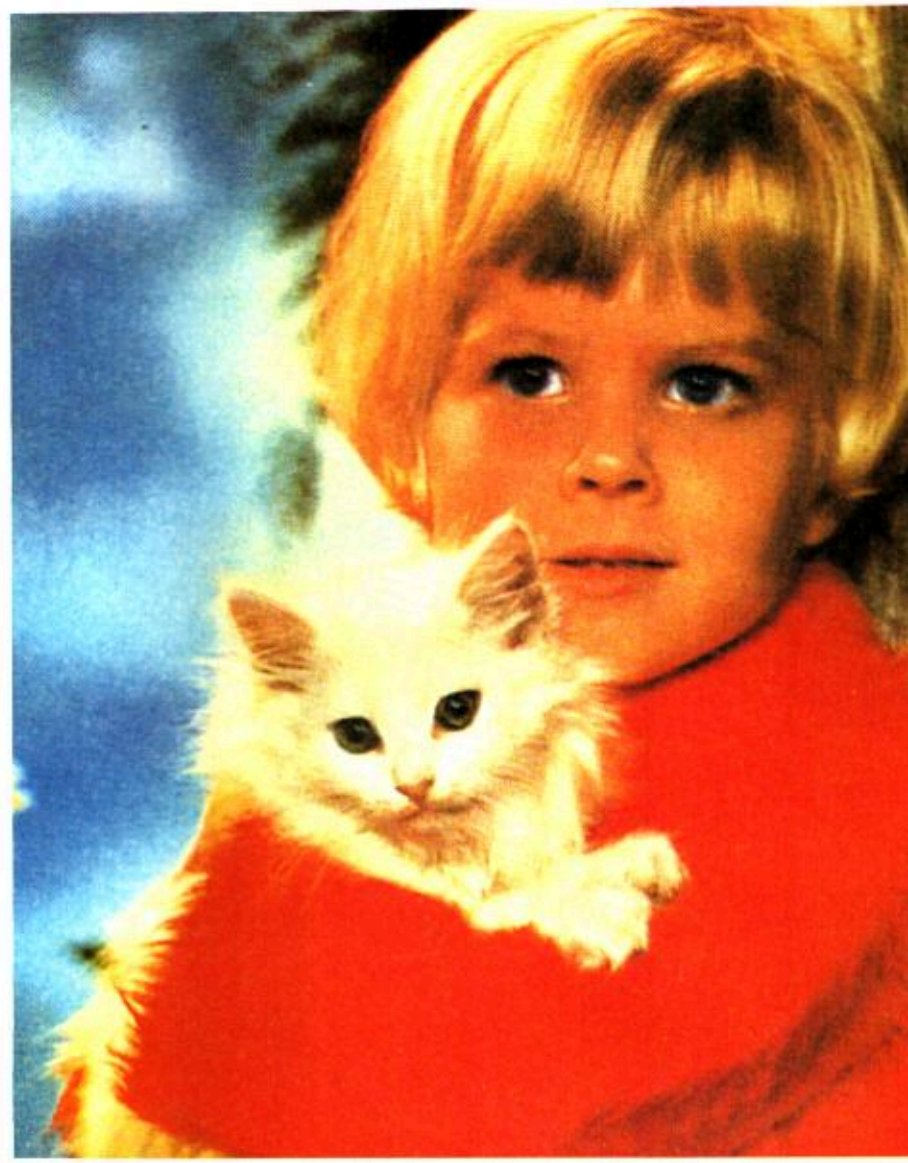

الزواج يعطي دفعة للصحة الذهنية والنفسية للزوجين معاً. هذا البحث القادم من استراليا يظهر أن ١٣٪ فقط من الرجال والنساء المتزوجين يعانون من ضغوط نفسية، ويدحض نتائج دراسة أجرتها عالمة الاجتماع جيسي برنارد في عام١٩٧٢م، وخلصت فيها بعد تناول حالات القلق والاكتئاب والاضطراب العصبي بين المتزوجين وغير المتزوجين إلى أن الرجال يحصدون ثمار الزواج على حساب النساء.

وقد وجهت الدراسة الجديدة لطمة إلى فكرة أن الرجل يستفيد من الزواج، بينما تعاني المرأة من كل الضغوط. وقال ديفيد دي فوس أخصائي الطب النفسي بجامعة لا تروب في ملبورن باستراليا: إن الفارق بين النتائج التي توصل إليها في بحثه والنتائج التي توصلت اليها برنارد قد تعود إلى تعريف ماهية الضغوط والاضطرابات الذهنية التي قد تظهر لدى الرجال كما لو كانت ناتجة من تعاطي المخدرات والكحوليات.

وعندما درس بيانات استطلاع للصحة الذهنية، شمل أكثر من عشرة آلاف من البالغين في مسح قومي للصحة الذهنية أُجري في أستراليا في عام ١٩٩٦م، خلص فوس إلى أن ربع الرجال والنساء من غير المتزوجين يعيشون حياة بائسة. وفي العينة النسائية كانت السيدات المتزوجات اللائي أنجبن أطفالاً أقل إصابة بمشكلات الصحة الذهنية.

هل يؤدي زواج المرأة إلى الجنون؟!

يشير فريق من العلماء الأستراليين، إلى إن الزواج يجعل الرجل والمرأة أكثر سعادة وعلى المستوى نفسه، ويختلف ذلك مع ما هو شائع على نطاق واسع خصوصاً في الثقافات الغربية، من أن الزوج في العموم أكثر سعادة من الزوجة.

وكانت دراسات أجريت في السبعينيات من القرن الماضي، لا تزال تلقى الكثير من الرواج حتى الآن، أشارت إلى أن الزواج من شأنه رفع مستوى التوتر والقلق عند النساء، ويمكن أن يدفعهن عملياً إلى الجنون، إلا أن الطبيب النفسي ديفيد ديفو من جامعة لاتروبيه في ملبورن الأسترالية يقول إن بحثه يناقض هذه النظرية. ويشير إلى أنه درس معطيات ومعلومات تتعلق بأكثر من ١٠ آلاف بالغ من سجلات الصحة النفسية في أستراليا منذ عام ١٩٩٦م، ولاحظ أن الرجال المتزوجين عانوا من نفس مستويات التوتر والقلق، وتبين أن واحداً من ثمانية منهم فقط اشتكى من أعراض التوتر والقلق بسبب الزواج.

كما وجد أن واحداً من كل أربعة رجال ونساء يعاني من البؤس والتعاسة النفسية بسبب كونه عازباً أو عازبة. واستنتجت الدراسة أن المتزوجة المنجبة أقل عرضة للأمراض والمشكلات النفسية من قرينتها التي لم تنجب.

..سر الحياة السعيدة

وقد أظهرت دراسة جديدة أن «العازبين» أكثر تعرضاً للأمراض والوفاة حتى من المدمنين أو المدخنين. ووجد الباحثون في جامعة وورويك البريطانية، أن الرجال والنساء المتزوجين يتمتعون بصحة أفضل من نظرائهم العازبين، ويعتقدون أن السبب في ذلك يرجع جزئياً إلى الدعم الاجتماعي والعاطفي لوجود زوج أو زوجة،أو لأن العازبين من الجنسين يعيشون حياة غير صحية، ولا أحد يهتم بهم أو بصحتهم.

ويتضح يوماً بعد يوم، أن الزواج هو السر وراء التمتع بحياة طويلة وليس المال، إذ بيّنت آلاف السجلات الطبية المشمولة في مسوحات التقاعد والمسوحات المنزلية البريطانية، التي دامت سبع سنوات، أن الرجال المتزوجين أقل عرضة للوفاة بحوالي ٩٪ مقارنة بغير المتزوجين، حتى بعد الأخذ بعين الاعتبار آثار التدخين، وشرب الكحول، وأنماط الحياة غير الصحية، إذ قلت النسبة إلى ٦,١ ٪، أما بالنسبة للنساء، فقد كان أثر الزواج أقل، حيث انخفض خطر الوفاة بنحو ٢,٩٪ فقط.

ووفقاً لحسابات باحثي ووريك، فإن خطر الوفاة عند الرجل المدخن يصل لأكثر من ٥,٨٪، والمرأة المدخنة إلى حوالي ٥,١٪، لذلك ينصحون الرجال المدخنين بالزواج في أقرب وقت ممكن لعكس هذا الخطر. ويعتقد الباحثون أن انخفاض هذا الخطر يرجع إلى أن الزواج يزيد استقرار الحياة، ويخفف التوتر والمشكلات المصاحبة له، كما أنه يشجّع اتباع أنماط الحياة الصحية المفيدة، وتجنب السلوكيات الضارة كالشرب، واستخدام المخدرات، كما أن وجود شريك في الحياة يؤمن الراحة، والاطمئنان، والعناية الصحية للشخص، وخاصة في أوقات المرض.■

﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾

تجارب علمية تؤكد تأثير القرآن فسيولوجياً في نفوس سامعيه

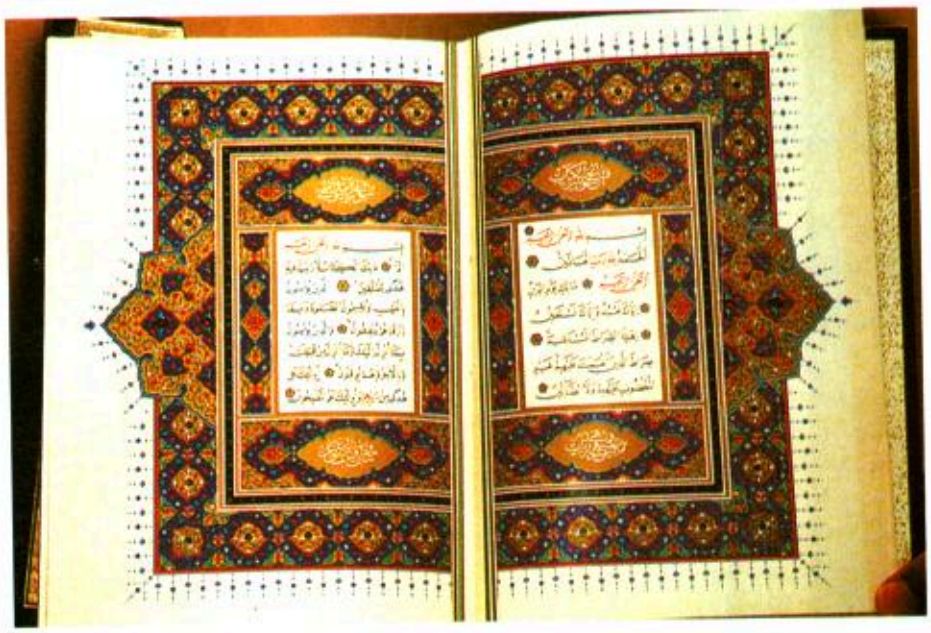

كان القرآن الكريم ولا يزال.. المعجزة الباقية الخالدة.. كما أراد الله سبحانه وتعالى له أن يكون، وها هو في كل عصر تظهر كنوزه ويبدو على العالم منه إعجازه، فهو المتجدد الذي لا تبليه الأيام وهو المعجز الذي لا يظهر عليه أحد من الأنام، قضى الله بحفظه وقيّض له من يجمعه في صدره، وتعهده الناس بتلاوته والتعبد به، والغوص في بحوره لاستخراج ما تيسر من درره.

د. عاطف الحسيني

وتحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفُسهم ﴾ (فصلت:٥٣). ولقوله سبحانه: ﴿ فيه شفاءٌ للناس ﴾ (النحل:٦٥).

نشير هنا إلى أحد البحوث التي أجراها الدكتور أحمد القاضي في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا، لبيان تأثير القرآن الكريم على وظائف أعضاء الجسم البشري، وذلك لمعرفة القوة الشفائية للقرآن الكريم، ولمعرفة هل هذا التأثير عضوي أم روحي أم خليط من الاثنين؟

وفي محاولة منه للإجابة عن هذا السؤال، قام بتلاوة بعض آيات القرآن الكريم على بعض الأشخاص، منهم المسلم ومنهم غير المسلم، ومنهم الأصم الذي لا يسمع، ومنهم من يتكلم اللغة العربية، ومنهم من لايعرفها، كما قام أيضاً بتجربة نصوص أخرى غير قرآنية باللغة العربية ومشابهة لفظاً لآيات القرآن الكريم.

ولكي يعرف تأثير القرآن الكريم على هؤلاء الأشخاص قام باستخدام جهاز كمبيوتر صُمّم لهذه التجارب خصيصاً، وتم توصيل هذين الجهازين إلى أجسام الأشخاص الذين شملهم البحث، حيث تم قياس كل من النبض والضغط ودرجة التعرق، ودرجة الحرارة بالجلد ودرجة التوصيل بالعضلات لديهم.

يخفض درجة التوتر ويهدئ الأعصاب ويطرد القلق

ولكي لا تكون هناك نتائج غير دقيقة، كأن يكون الهدوء مثلاً بسبب أن المتلقي يعرف مسبقاً أن ما يسمعه هو القرآن، أو أن صوت المتكلم كان جميلاً، أو أن الجلسة التي فيها المتلقي مريحة مثلاً، عمل الباحث على أن يكون المتكلم واحداً في جميع الأحوال، وألا يعرف المتلقون إذا كان ما يتلى عليهم قرآناً أم لا، حيث قام أولاً بقياس التغييرات عليهم دون أن يسمعهم أي شيء، ومقارنة ذلك بالنتيجة بعد إسماعهم آيات القرآن الكريم ونصوص عربية أخرى مشابهة.

تغييرات فسيولوجية! وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود اثر مهدئ للقرآن الكريم في ٩٧٪ من التجارب، وهذا الأثر ظهر في شكل تغييرات فسيولوجية تدل على انخفاض درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي.

ولقد عرضت تفاصيل هذه النتائج المبدئية على المؤتمر السنوي السابع عشر للجمعية الطبية الإسلامية في أمريكا الشمالية، الذي عقد في مدينة «سانت لويس» بولاية «منزوري» في أغسطس ١٩٨٤م، ولما كان التأثير المهدئ للقرآن الكريم ربما بسبب سماع الكلمات القرآنية باللغة العربية سواء فهمها المستمع أم لا، أو ربما كان بسبب فهم معنى الآيات أو فهم ترجمة معناها للغة الإنجليزية، فقد حاول الباحث في المرحلة الثانية من بحثه أن يعرف ما إذا كان للكلمات القرآنية في حد ذاتها تأثير فسيولوجي، بغض النظر عما إذا كانت مفهومة لدى السامع أم غير مفهومة، ولذلك فقد قام بإجراء ٢١٠ تجارب على خمسة متطوعين صُمّ «لا يسمعون» وتُليت عليهم قراءات قرآنية وقراءات عربية «غير قرآنية» مشابهة للقراءات القرآنية، من حيث الصوت واللفظ والوقع على الأذن، كما جرب عليهم عدم تلاوة أي شيء عليهم، وهم جالسون في هدوء وأعينهم مغمضة لمعرفة أثر الجلسة المريحة عليهم التي ربما تكون السبب في نقص التوتر، وظهر بالنتائج أن ٦٥٪ من تجارب قراءة القرآن على الصم كانت إيجابية، وأن الجلسات الصامتة التي لم يُتل فيها أي شيء على الصم كانت بدون أي تأثير مهدئ، مما يدل على أن كلمات القرآن الكريم بذاتها - وبغض النظر عن مفهومها - لها تأثير فسيولوجي مهدئ للتوتر في الجسم البشري.

هذا ما أثبتته التجارب المحايدة عن التأثير المهدئ لآيات وكلمات القرآن الكريم على جسم الإنسان، ويعد هذا تحقيقاً لقول الحق: ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفُسهم ﴾ (فصلت:٥٣). وقوله تعالى: ﴿ وفي أنفُسكم أفلا تُبصرون ﴿٢١﴾ ﴾

(الذاريات). وإن نتائج هذا البحث تتفق مع ما قاله الحق سبحانه وتعالى في كتابه المنزل منذ ١٤ قرناً حيث يقول سبحانه: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾ (الزمر).

ونلاحظ هنا ما لقراءة القرآن من أثر على جلد الإنسان وهو ما أثبته البحث.

وقد قال الله تعالى في محكم آياته عن بعض فضائل وآثار القرآن العظيم:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء:٨٢).

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾ (القدر).

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (فصلت:٤٤).

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ (العنكبوت).

﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) ﴾ (الفرقان).

وهناك الكثير من الآيات ـ الدالة على ما للقرآن الكريم من أثر طيب مهدئ للنفس وللفؤاد وللأعصاب بلغة العصر، قد لا يتسع المقام لذكرها.

.. والأحاديث النبوية أيضاً

كما أن الأحاديث النبوية فيها الكثير الدال على هذا الأثر الطيب لآيات القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

فما أجمله من قرآن معجز، وما أجملها من آيات بيِّنات، وما أقوى دلائل قدرة الله تعالى على عظمة هذا القرآن الكريم الذي كان وسيظل معجزة الله الباقية الدائمة كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾ (الزمر).

وكما قال عزّ من قائل: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ (ص). ■

شكراً يا طفلي الرضيع

د. عبدالدايم الشحود

كانت أشبه بالمأساة تلك الحالة التي كانت تعاني منها الأم، لقد شخص لها الأطباء حالة من أنواع الصرع، وذلك لأنها كانت تنتابها بين الحين والآخر نوبات من الاختلاجات والتشنجات تفقدها وعيها في بعض الأحيان، خاصة إذا طال أمد هذه النوب التشنجية، ولذلك كثر عدد الأطباء وتنوعت اختصاصاتهم ممن تابعوا حالة المريضة حتى أن أطباء الأمراض النفسية كان لهم باع في وصف بعض العلاجات التي كادت تزيد الأم المريضة تعباً وإنهاكاً، فتراها طيلة اليوم منزوية في أحد أركان المنزل وكأنها تتوجس خوفاً أن تداهمها نوبة تشنجية تفقدها وعيها، وتخيم على جو تلك الأسرة الصغيرة بوادر من الترقب والخوف.. ممزوجة بدموع التضرع إلى الله أن يشفي سند البيت ويعيد الصحة والعافية إلى الأم المريضة.

ولم يكن يمضي شهر دون أن تصاب الأم بنوبة وكم كان منظر الأولاد الذين يحيطون بأمهم وهي على هذه الوضعية يثير الشفقة ويبعث في النفس كوامن الخوف والرجاء، وهكذا كانت الأدوية المضادة للتشنجات تتغير وتتبدل مع تبدل الأطباء الذين أشرفوا على العلاج، حتى أن بعضهم كان يضطر في بعض الأحيان إلى تخفيف جرعة الدواء وأحياناً تغييره وبعضهم كان يقطع الدواء فجأة دون تدرج مما كان يعرض الأم المسكينة لحدوث اختلاجات مفزعة.

ومع مرور الوقت كانت الحالة النفسية للمريضة تزداد سوءاً ولذلك أصبحت ترى في عيون أفراد الأسرة جميعهم تعابير البؤس والكآبة، وأخذ المستوى الدراسي للأطفال يتراجع يوماً بعد يوم.

وذات يوم ساءت حالة الأم وأصبحت تعاني من غثيان وقيء، وضعف في الشهية، راجعت طبيبها وكانت النتيجة غير متوقعة، فالأم حامل وفي شهرها الثاني غالباً ولكن العقبة: هذا الكم الهائل من الأدوية كيف سيتم تنظيمه مع وجود الحمل؟!.

وبعد مناقشات طويلة مع الأطباء المعالجين تم التوصل إلى حل يقضي بإبقاء المعالجات التي لا تؤثر على الحمل بشكل ضار، وهكذا مضت الشهور التسعة من الحمل بطيئة ثقيلة الظل على الأم، برغم سعادتها بالحمل، كانت خائفة من أن تؤثر هذه الأدوية على فلذة كبدها.

وحانت ساعة الولادة وكان المولود ذكراً يتمتع بكامل الصحة والعافية، ومع الصرخة الأولى نسيت الأم كل آلام الولادة، ثم خرجت من المستشفى بصحبة وليدها، ومرت الأيام الأولى بعد الولادة هانئة، إلى أن جاء اليوم الثالث حيث أصيب المولود بحالة تشنجية شبيهة بتلك التي كانت تصيب الأم! كادت الأم تفقد صوابها لكنها تمالكت نفسها وأسرعت إلى طبيب الأطفال حيث كانت علامات التشنج قد زالت إلى حد ما، وبعد إجراء بعض التحاليل الدموية، تم تشخيص الحالة عند المولود على أنها نقص في أملاح الكالسيوم وعولجت الحالة بسرعة في قسم العناية المشددة للمواليد، وبقي المولود عدة أيام للمراقبة والتأكد من صحة التشخيص، وقبل خروجه من المستشفى اكتملت التحاليل لتثبت تشخيص نقص وظيفة «جارات الدرق» وهي الغدة المسؤولة عن تنظيم كالسيوم الدم في البدن، ولكن الأم بادرت قائلة:

ولكن يادكتور هذه نفس الشكايات التي أعاني منها ومنذ فترة طويلة وقد شخص لي الأطباء حالة صرع.

فكر الطبيب ملياً وهو يستمع إلى حديث الأم، وبعد نقاش متبادل بينهما طلب من المرضة أن تجري فحصاً مخبرياً للأم وتراجع لاحقاً لمعرفة النتيجة التي تحتاج عدة أيام لتكون جاهزة.

وبعد أيام، وفي الوقت المحدد لمراجعة طبيب الأطفال حضرت الأم إلى العيادة لتعرف نتيجة الفحوص المخبرية التي أجريت لها، استقبلها الطبيب بوجه باش وبادرها قائلاً:

لا تقلقي يا أختاه، لقد وجدنا حلاً لكل مشكلاتك الصحية وستودعين عما قريب كل أدوية الصرع التي تستخدمينها.. ولم تدع الأم له مجالاً ليكمل حديثه:

ـ ما النتيجة يا دكتور؟

ـ لقد كشف التحليل أنك تعانين من نفس الحالة التي اكتشفت عند ابنك وهي نقص في وظيفة الغدد جارات الدرق وسوف نحاول تدريجياً إيقاف أدوية الصرع حتى نوقفها تماماً وسوف تتخلصين من هذه النوبات إن شاء الله.

كانت الأم تنظر إلى رضيعها وهو في حضنها نظرات ملؤها الحب والحنان وكأنها توجه له كل شكرها وامتنانها لأنه كان السبب الرئيس في كشف معضلتها الطبية التي استمرت سنوات وكادت تكون سبباً في تفكك العائلة وتدهورها، ثم طبعت على جبينه قبلة طويلة حملت كل معاني الحب والشكر والامتنان. ■

استراحة

إعداد
سعيد الأصبحي
asbahiat@hotmail.com

الإخوة القراء

نأمل أن تأتينا اختياراتكم موثقة بحيث يُذكر المصدر الذي نُقلت عنه، واسم صاحبه.

الفنمة القاصية

تراه يتخبط يمنة ويسرة، تائهاً، لا يعرف طريقه، ولا يرى دربه، متقلب الأحوال، غير مستقر البال، فوضوي العمل، عشوائي القرارات، فكانت النتيجة أن شتت نفسه ومن معه.

إنه ذلك الشخص الذي لا يسير على طريقة عمل معينة، أو منهج ثابت، أو مع جماعة منظمة.

إذا رأيته انتقل ذهنك فوراً إلى مثال مطابق له، انتقل فوراً إلى تلك الغنمة القاصية عن الركب، أو الرجل المخالف لجماعته.

هذا مثال من بعض الأمثلة لشخصيات رفضت الانتظام والترتيب مع جماعة تضع خططها ومنهجيتها وفق آراء وضوابط مدروسة، وطريقة عمل ثابتة.

فما رأيك - عزيز القارئ - ؟!!

أنا - وأعوذ بالله من كلمة أنا - متأكد من تيقنك بعاقبة فعله الوخيمة.

فاسلك سريعاً، الدرب والمنهج الذي يوافقك لتسير على خطى ثابتة، ولتضع قدمك في مكانها الصحيح، ولتصل إلى النتائج المرجوة بإذن الله.

وفقك الله، وأعانك، وعلى طريق الخير سدد خُطاك.■

ميّاس الحمد

أنواع البكاء

البكاء آية من آيات الله، قال تعالى في سورة النجم: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى ﴿٤٣﴾﴾ (النجم)، وقد حث النبي ﷺ على البكاء في مواضع عدة، منها عند قراءة القرآن، فقال ﷺ: «اقرؤوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا».

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - أنواع البكاء عند حديثه عن هدي النبي ﷺ في البكاء فقال:

والبكاء أنواع:

أحدها: بكاء الرحمة والرقة.

الثاني: بكاء الخوف والخشية.

الثالث: بكاء المحبة والشوق.

الرابع: بكاء الفرح والسرور.

الخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله.

السادس: بكاء الحزن.

السابع: بكاء الخور والضعف.

الثامن: بكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس، فيظهر صاحبه الخشوع وهو من أقسى الناس قلباً.

التاسع: البكاء المستعار والمستأجر عليه كبكاء النائحة بالأجرة.

العاشر: بكاء الموافقة وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون.

«زاد المعاد لابن القيم ١/٤٧».■

اختيار: طيبة أسعد الهندي

ثمانية العلم أحلى من العسل

قال الإمام ابن الجوزي: كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، وكنت في زمن الصبا، آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نمر عيسى «وهي بئر ذات ماء نمير» في بغداد فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ﷺ، وأحواله وآدابه وأحوال الصحابة وتابعيهم.

وقال أيضاً: لم أقنع بفن واحد بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم إلا وأحضره، وأتخير الفضائل. ولقد كنت أدور على المشايخ لسماعي الحديث فينقطع نفسي من العدو لئلا أسبق.■

أمرنا عجيب

عندما يحين وقت الأخبار، نجلس أمام التلفاز ونسمع أخبار إخواننا المسلمين في فلسطين، وما يتعرضون له من قتل وذل وتشريد، نتوقف مشاعرنا نحوهم ونتكلم عن مقاطعة المنتجات الأمريكية والإسرائيلية، وبعد دقائق أو ساعات من الأخبار والحوار الذي دار بيننا عن المقاطعة نذهب إلى «سوبر ماركت»، أو بقالة ونشتري «كولا» وعندما نتذكر المقاطعة نقول في أنفسنا: إنها مجرد عبوة واحدة! ثم أقاطع مشروبات الكولا!؟ وتدور الأيام ولا نزال في عاداتنا... متى نكون صارمين مع أنفسنا؟! إلى الله نشكو قسوة قلوبنا وضعف إيماننا، والله المستعان.■

عمر مبارك - جدة

إجابة العدد الماضي

من هو:

محمد المنشاوي

أخير زمانه!

روي أن غلاماً لقي أبا العلاء المعري فقال: من أنت يا شيخ؟ قال: فلان، قال: أأنت القائل في شعرك:

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائلُ

قال أبو العلاء: نعم، قال الغلام: يا عماه، إن الأوائل قد رتبوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً؟ فدهش أبو العلاء وقال لمن حوله: إن هذا الغلام لا يعيش لشدة حنقه وتوقد فؤاده.■

طلب العلم

روي أن إبراهيم بن المهدي دخل على الخليفة المأمون وعنده جماعة يتذاكرون في مسائل من العلم، فقال: يا هذا، هل لك معرفة بما يقول هؤلاء؟ قال: يا أمير المؤمنين، شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر، قال المأمون: لِمَ لَمْ تتعلم اليوم؟ قال أو يحسن بمثلي طلب العلم؟ فقال المأمون: نعم، والله لأن تموت طالباً للعلم خير من أن تعيش قانعاً بالجهل، قال: وإلى متى يحسن طلب العلم؟ رد المأمون: ما دامت بك الحياة.■

القرآن.. روح الأمة

«إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»، هذا ما أخبرنا به نبي الرحمة ﷺ.

ولقد استطاع الأمجاد في فترة من الزمن لا تحسب من عمر الزمان، أن يقيموا مدينة فاضلة عادلة يؤخذ فيها من الغني للفقير، ومن القوي للضعيف، وينتصف فيها من الظالم للمظلوم، وتؤدى فيها الحقوق كاملة موفاة، وينتشر في ربوعها العلم، ويسودها الأمن والسلام.

كان العهد بالأميين العرب أنهم رعاة الشاء، غلاظ القلوب، قساة الأكباد، لم يدرسوا علماً، ولم يطلعوا على شؤون الحضارة، ولم يعرفوا عن المدنية إلا ما كانوا يسمعونه ممن جاورهم من الفرس والرومان، فإذا بهم يسبقون كل من عداهم في مضمار الترقي والتقدم، ويوجهون الحياة وجهة الحق والعدل والخير والكمال، ثم مضوا مرضياً عنهم من الله ومن الناس.

صدق رسول الله ﷺ وهو يخبرنا عن هذا الكتاب أنه «من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم».

نعم، فأهل القرآن أولى الناس بالله، وهم أهل الله وخاصته، ولذا أصبح لزاماً على أبناء أمتنا أن يعودوا لدعوة القرآن في عصر هُجر فيه القرآن، حتى انتهى الأمر بالكثير إلى أن جعلوا حظهم منه الاستماع للطرب، ويقرؤونه في المقابر والمآتم لأرواح الموتى وللاستجداء على أبواب المساجد والطرقات، يقرؤونه للبركة دون العمل به ويعلقونه تعاويذ وتمائم. وبهذا الهجر أجدبت القلوب، وانقسم الناس وتفرقوا وتشعبت الضلالة، وذلت الأمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذه هي الطامة الكبرى، أن خلف من بعد من أعزهم الله بالقرآن خلف هجروا كتاب الله هجراً غير جميل، وأعرضوا عن هدايته بضروب من التأويل، ولم يجعلوه أصلاً يرجع إليه ويعول عليه، بل جعلوا آراءهم هي المرجع فانقسموا أحزاباً وشيعاً، وتفرقوا طرائق قدداً، وقامت بينهم الحروب الجدلية، وعظمت بينهم بدعة التعصب للمذاهب الكلامية والفقهية، وإذا أراد الله بقوم سوءاً أورثهم الجدل.

بعد هذا الذي نرى ونسمع، وبعد الضياع والتشتت والتشرذم والذل والهوان والخيبة والخسران، أصبح لزاماً على أبناء الإسلام أن يعودوا إلى كتاب ربهم، فإنه لا منجاة إلا به لأنه الروح الذي به الحياة وبفقده الموت.

وأخيراً، انظر إلى ما قاله الفضيل: «حامل القرآن، حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلهو مع من يلهو، تعظيماً لله تعالى، ولا ينبغي أن يكون له إلى أحد حاجة، بل ينبغي أن تكون حوائج الناس إليه».

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿١٧﴾ ﴾؟ (القمر). ■

الشيخ رياض عمشة. إمام مسجد الوزان. الكويت

أقوال وكلمات

احذر هؤلاء الثلاثة

يقول الإمام الشافعي:

- مَنْ نم لك نم عليك.
- مَنْ نقلَ إليك نقلَ عنك.
- مَنْ إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك، كذلك إذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك. ■

داعية مخلص

لن أنسى تلك الجلسات الرائعة التي عشتها في بلاد الغربة عندما كنت طالباً فيها مع تلك الداعية المخلص، الذي تأثرت به أيما تأثر.

لم تكن الدولة مشجعة على مجالس العلم، بل كانت محاربة للدعاة والمخلصين فيها، بينما كان يُسمح لأماكن الفسق والفجور أن تنتشر، وأخذ الهم يؤثر في هذا الداعية، مما يراه، فقرر أن يجمع الطلاب الذين يتوسم فيهم الخير، ويحدد لهم يومين في الأسبوع يعلمهم ويوجههم، والله لقد كانت تلك الجلسات من أروع لحظات العُمر. ولم يكن الرجل ميسور الحال، ولكن مع هذا كان يذهب قبل اللقاء بساعة إلى السوق لينتقي من أطايب الحلوى، ثم يرجع ليستقبلنا بها، وليجذبنا إلى اللقاء.

وأعلم كم كلّفَ نفسه من الجهد والوقت والمال الذي يدخره لقلة ذات اليد، ولكن هذا كله من أجل أن نحب اللقاء ونتعود عليه.

وكان بعض الطلاب جاهلاً حتى أحكام الفاتحة، فكان يُعلّم ويوجه، ويبين لنا الأحكام، حتى إذا حان وقت صلاة المغرب قدم أحدنا إماماً ليعتاد الوقوف بين يدي الله، وحتى لا يرهب الموقف.

وكم كانت تصدر من الطلاب صور من صور الحماقة مع المربي من كلمات تبرم وطلبات مؤذية محرجة، ولكن كان يتقبلها بصدر رحب، ويتحمل جميع الصدمات حتى ينجح في استمالة طلابه.

فكان يأخذنا في بعض الأحيان إلى إحدى المزارع الجميلة ذات الخضرة والجمال، وبها مسبح وملعب رياضي، فكان فرحنا عظيماً للغاية، وكان يعظنا لبضع دقائق، وكان لذلك أثره الكبير علينا.

ومع هذا كان يصبغ هذا الترغيب بالمداعبة واللعبة، وأشكال الطعام، بمواعظ وفوائد، ودعوة إلى المحافظة على الصلاة في وقتها، ودرس في التفسير والفقه مبسط جداً.

كان داعية حقاً، عاش هموم إخوانه وأحبابه، وتفطن لوضعنا الدراسي وأننا بحاجة إلى تنفيس وتسلية، ولكنها تسلية في جو محفوف بالطهر.

وعلم أن الإنسان يفتر ويضعف، فما كان يرضى إلا بالمواعظ المذكّرة من القرآن الكريم، لتكون زاداً لإيمانه وإيماننا.

وعلم أن النفس تحب اللذة الحلال، فكان يجلب من صنوف الطعام المباح على قدر استطاعته لنحب اللقاء. ■

عبدالعزيز بن محمد التهامي

مكة المكرمة. السعودية

الشبكة اللولبية

١ ـ مؤلف كتاب البخلاء.

٢ ـ غزال.

٣ ـ يرجع.

٤ ـ جمع دكان.

٥ ـ علم مذكر.

٦ ـ نبي.

٧ ـ خير من ألف ليلة.

٨ ـ إحدى صفات الله.

٩ ـ الاسم الأول لخاتم الأنبياء.

١٠ ـ مفرد دواوين.

١١ ـ فوز المكاسب.

١٢ ـ التي بين يديك بدون أل التعريف.

١٣ ـ كرم الله وجهه.

١٤ ـ مؤذن الرسول.

١٥ ـ إحدى الحمضيات.

١٦ ـ نظير.

إعداد: ناصر عبدالله حوشبي. الجمهورية العربية اليمنية

المشروع الإسلامي (٥ من ٦)

الإسلام والآخر

بقلم:
د. فتحي يكن

بعد استعراض النظرية التي يقوم عليها المشروع الإسلامي، وخصائص هذا المشروع ومنهجيته والمحاور الأساسية له، نعرض هنا لموقف الإسلام من الآخر غير المسلم.

من الشبهات والإشكالات التي تطرح في مواجهة المشروع الإسلامي قول البعض إن الإسلام لا يقبل التعددية، ولا يسمح للآخر بممارسة أي دور في الحياة السياسية والتشريعية، إلى حد خنق حرية التعبير.

ومطلوب من المشروع الإسلامي أن يقدم صوراً واضحة حول هذه الإشكالات المطروحة، موثقة بأدلة شرعية، تبيّن ما لغير المسلمين وما عليهم في المجتمع الإسلامي.

الإسلام والآخر

إن وظيفة الإسلام الأساسية هي دعوة الناس إلى الإسلام، واستيعابهم في حركته ومشروعه ومسيرته.. والخطاب القرآني لرسول الله ﷺ جاء بالصيغة التكليفية عبر العديد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ (المائدة:٦٧).

أما دليل الاهتمام بالآخر فيزخر به كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، من زوايا وأوجه مختلفة، فمن الأدلة القرآنية على الاهتمام بالآخر، الحض على أن تكون الدعوة بالحكمة وبالتي هي أحسن، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل:١٢٥)، ولقد بلغ حرص الإسلام على الآخر، ما جاء من نهي قرآني عن مجادلة حتى غير المسلمين إلا بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (العنكبوت:٤٦)، بل إن السياق القرآني الذي جاء به التكليف الرباني لموسى - عليه السلام - في مخاطبة فرعون - وهو الذي قال لقومه أنا ربكم الأعلى - ليعتمد أسلوباً يتجلى فيه منتهى الحرص على مخاطبة هذا الطاغية ومحاولة استيعابه، فقال تعالى: ﴿فقولا له قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى ﴿٤٤﴾﴾ (طه).

أما شعور البعض بصعوبة قبول الآخر، فيعود من وجهة نظري إلى التربية المفرطة في الانغلاق التنظيمي، والتي تستصعب قبول الآخر الإسلامي، فكيف بالعلماني والنصراني، وسواهما؟ بل إن هذه التربية تدفع أحياناً إلى اعتبار من يترك التنظيم، لسبب أو لآخر، عدواً تجب مقاطعته ومحاربته!.

إن قبول الآخر واستيعابه يجب أن ينطلق من قاعدة حب الخير للآخرين، والحرص الصادق على هدايتهم واستنقاذهم من ضلالاتهم، ومن القناعة الصادقة بشرعية هذا الأمر ووجوبه، كما من خلال تأصيله وتجذيره في المشروع الإسلامي وفق العناوين العريضة التالية:

- أن الإسلام يعترف بوجود الأضداد من خلال قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ (هود:١١٨).

- وهو يدعو إلى التلاقي والتعارف، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات).

- والإسلام يدعو الكل للتعاون على الخير، من خلال قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴿٢﴾﴾ (المائدة).

- والإسلام ينهى عن اعتماد سياسة القمع والإكراه مع الآخر، من خلال قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة:٢٥٦)، وهذا منتهى الانفتاح على الآخر والاعتراف به.

- والإسلام يحذر من الإساءة إلى الآخر، ولو كان مشركاً، أو غير ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ (الأنعام:١٠٨).

- والإسلام يدعو إلى البحث عن القواسم المشتركة في دعوة الآخرين حرصاً على استجابتهم واستيعابهم فيقول: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله﴾ (آل عمران:٦٤).

- والإسلام يدعو إلى التعاون والتضامن مع الآخر، كائناً من كان لدرء المفاسد وجلب المصالح، كرفع الظلم، وتعزيز الحرية، والعدالة، والمساواة، وصون حقوق الإنسان. ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «لقد حضرت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت».

- ومن دلائل حرص الإسلام على الآخر، دعوته وحضه على الاستفادة مما عنده من خير وما لديه من حكمة، حيث يقول الرسول ﷺ: «خذوا الحكمة من أي وعاء خرجت» و«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها»، و«اقبلوا الحق ممن جاء به من صغير أو كبير ولو كان بغيضاً بعيداً، وارددوا الباطل على من جاء به من قريب أو بعيد ولو كان حبيباً نسيباً».

والحقيقة أن المسلمين عموماً والإسلاميين خصوصاً، مدعوون لامتثال الإسلام ومبادئه وأحكامه وأخلاقه في التعامل مع الآخر، بصرف النظر عن معتقده وفكره وفلسفته ما لم يحمل عليهم السلاح ويقاتلهم، وليتدبروا بإمعان قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴿٨﴾﴾ (الممتحنة). ■